



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية  
عليه صلوات الله  
عليه وآله

WWW. **Ghaemiyeh** .com  
WWW. **Ghaemiyeh** .org  
WWW. **Ghaemiyeh** .net  
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

# زبدة الحلب من تاريخ حلب

للمصاحف كمال الدين  
عشر بن أحمد بن أبي جواد  
للتوفى سنة ٦٦٠ هـ

حققه وهنّده  
الأستاذ الدكتور سمير زكار

الجزء الأول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# زبدہ الحلب من تاریخ حلب

کاتب:

کمال الدین عمر بن احمد بن ابی جراده حلبی ( ابن  
العديم )

نشرت فی الطباعة:

دار الكتاب العربی

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

# الفهرس

٥	الفهرس
٧	زبده الحلب من تاريخ حلب المجلد ١
٧	اشاره
٧	اشاره
١٢	[مقدمه المحقق]
٣٧	[حلب فى قديم الزمان]
٣٧	اشاره
٥٣	فتح حلب
٦٩	[ابتداء دوله العباسيين]
٨٩	[عصر الدوله الطولونيه]
١١٧	[عصر الدوله الحمدانيه]
١١٧	اشاره
١٥٢	[عهد سعد الدوله]
١٧٤	[عهد سعيد الدوله]
١٨٣	[عهد منصور بن لؤلؤ]
١٨٦	[قيام الدوله المرداسيه]
١٨٦	اشاره
١٩٤	[الحكم الفاطمى لحلب]
٢٠٣	[إماره صالح بن مرداس]
٢١٠	[إماره نصر بن صالح]
٢٢١	[عهد أنوشكتين الدزبرى]
٢٢٨	[إماره شمال بن صالح]
٢٤٠	[إماره محمود بن نصر الأولى]
٢٥٣	[إماره عطيه بن صالح]

٢٥٩ ..... [إمارة محمود بن نصر الثانيه]

٢٨٦ ..... [إمارة نصر بن محمود]

٢٩١ ..... [إمارة سابق بن محمود]

٢٩٤ ..... [التسلط التركمانى]

٢٩٤ ..... اشاره

٣٠٩ ..... [إمارة مسلم بن قريش العقبلى]

٤٣٩ ..... تعريف مركز

سرشناسہ: ابن عدیم، عمر بن احمد، ۵۸۸-۶۶۰ق.

عنوان و نام پدید آور: زبدہ الحلب من تاریخ حلب / کمال الدین عمر بن احمد بن ابی جرادہ؛ حقیقہ و قدم له سہیل زکار.

مشخصات نشر: بیروت: دار الکتب العربی، ۱۴۱۸ ق.= ۱۹۹۷ م.= ۱۳۷۶ -

مشخصات ظاہری: ج.: نمونہ.

وضعیت فہرست نویسی: برون سپاری.

یادداشت: عربی.

یادداشت: ج. ۲ (چاپ اول: ۱۴۱۸ ق.= ۱۹۹۷ م.= ۱۳۷۶).

یادداشت: کتابنامہ.

یادداشت: نمایہ.

موضوع: حلب (سوریہ) -- تاریخ

موضوع: حلب (سوریہ) -- اوضاع اجتماعی

شناسہ افزودہ: زکار، سہیل

ردہ بندی کنگرہ: DS۹۹/ح ۸ الف ۲۴ ۱۳۷۶

ردہ بندی دیویی: ۹۵۶/۹۱۳

شمارہ کتابشناسی ملی: م ۷۸-۲۶۸۰۷

ص: ۱











ص: ٦

## [مقدمه المحقق]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تعدّ مدينه حلب من أعرق مدن بلاد الشام و أكثرها أهميه، و قد شغلت أعظم الأدوار فى تاريخ هذه البلاد فى الاسلام، و على محورها و محور دمشق دارت الأحداث الرئيسيه لتاريخ الشام الاسلامى، و منها استردت الشخصيه الشاميه الثقافيه ذاتها بعد ما لحق بها التدمير أثر سقوط الدوله الأمويه.

و صحيح أن الأدوار السياسيه و العسكريه لحلب عاليه جدا، لكن دورها الحضارى أكثر تميزا و تأثيرا و شموليه، و كان التاريخ بين أبرز الحقول الثقافيه التى أسهم فيها الحلبيون، و لا أعنى سكان المدينه فقط بل سكان الشام الشمالى، لأن حلب غدت منذ القرن الرابع للهجره/ العاشر للميلاد مركزا لإماره، غالبا ما امتدت حدودها جنوبا حتى بلده الرستن على العاصى.

و كان أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن المهذب المعرى، أهم مؤرخى القرن الخامس هـ/ الحادى عشر م، هذا و لم أستطع الوقوف على ترجمه منفصله له، و لكن ابن العديم الذى نقل أجزاء كبيره جدا من تاريخه

فى كتابه بغيه الطلب، قد ذكره بين تلاميذ أبى العلاء المعرى [ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م] و توحى النقول الطويله التى قام بها ابن العديم بطبيعه كتابه، حيث يبدو أنه كان يتألف من تاريخ حولى عام ركز على تدوين أخبار الأحداث التى وقعت فى معره النعمان و حلب، و تعلقت المعلومات المنقوله بتأسيس الدوله المرداسيه فى حلب من قبل صالح بن مرداس، ثم بحكم شمال بن صالح بن مرداس و علاقته بالخلافه الفاطميه، و بيدايات استيلاء السلاجقه على بلاد الشام بعد العراق، مع حمله السلطان ألب أرسلان ضد حلب.

و كان من معاصرى ابن المهذب الطبيب المسيحى أبو الخير المبارك بن شراره، و كان ابن شراره كاتباً بالاضافه إلى كونه طبيباً، و قد عاش فى مدينه حلب حتى أيام رضوان بن تتش (١٠٩٥ - ١١١٣ م)، و قد هجر مدينته و ذهب أولاً إلى أنطاكيه و من هناك إلى صور بسبب سوء معامله رضوان له و طغيانه، و فى صور توفى حوالى سنه ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م، و كتب المبارك تاريخاً روى فيه بشكل أساسى الحوادث التى وقعت فى أيامه، لا سيما الوقائع التى شهدتها حلب، و كان من شهودها. و يبدو أن هذا التاريخ لم يرج كثيراً، و لذلك فقدت نسخه بعد وفاه مؤلفه بأمد قصير، ذلك أن القفطى [ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م] قال إنه أخفق فى الحصول على نسخه منه، و أنه تلقى من مصر نسخه سيئه و مختصره من هذا التاريخ، كان قد اختصرها مصرى غير معروف.

و من معاصري ابن شراره كان منصور بن تميم بن الزنكل، الذي كان شاعرا من سرمين، شهد أحداث وفود التركمان إلى الشام الشمالي، و دَوّن بعضها لكن لا نعرف وفق أى منهج، و الذي نعرفه أن ابن العديم نقل عنه بعض الأخبار في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب.

و قام في القرن السادس هـ/ الثاني عشر م على الأقل ثلاثة من الحلبيين بكتابه تواريخ خاصه بمدينه حلب و هم: حمدان بن عبد الرحيم الأثاري [ت ١١٤٧ م] و علي بن عبد الله بن أبي جراده [ت ١٥٥١ م] و محمد بن علي العظيمي المتوفى حوالي سنه ١١٦١ م، و من المؤسف أنه لم يتعد ما وصلنا مما كتبه هؤلاء عن حلب بعض النقول الموجوده لدى ابن العديم في كتابه بغية الطلب.

كان حمدان طيبيا و شاعرا، و قد امتلك ذخيره كبيره من معارف عصره، و قد خدم في حقب متفاوتة في إداره كل من المسلمين في حلب (أيام زنكي بشكل خاص) و إدارات الصليبيين في أنطاكيه و المناطق المحيطة بها، و قد سفر لزنكي حيث بعثه إلى الصليبيين في أنطاكيه و إلى مصر و دمشق و لربما إلى بغداد، و قابل في القاهره الخليفه الفاطمي الأمر [١١٠١-١١٣٠ م] و لكن بعد ما برهن أنه شيعي إمامي، و أنه لم يكن من أفراد الاسماعيليه الحشيشيه، و تمنحنا سيره حياه حمدان بعض المعلومات المفيده حول حياه كل من المسلمين و الصليبيين في الشام الشمالي، و حول العلاقات بينهما في النصف الأول من القرن الثاني عشر.

أرخ حمدان لقدوم الفرنجه إلى بلاد الشام، كما و حمل واحد من كتبه عنوان المفوف، و يرجح أنه أوقفه على تاريخ حلب، و اهتم فيه بشكل خاص بالأحداث التي وقعت بعد سنه ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م.

و كان من معاصري حمدان على بن عبد الله بن أبي جواده، و كان مثله مثل حمدان شاعرا و عالي الثقافة، و أيضا أمامي العقيدة، و قد كتب بالتاريخ كتابا دعاه «تاريخ ملوك حلب»، و عن هذا الكتاب نقل ابن العديم بعض المعلومات المتعلقة بسقوط الاماره المرداسيه، و حول الأوضاع الداخليه في مدينه حلب آنذاك.

و كان أيضا من معاصري حمدان و ابن أبي جواده محمد العظيبي، الذي كان بدوره شاعرا و معلم مدرسه، و قد كتب العظيبي عده كتب بالتاريخ، أوقف واحدا منها على تاريخ حلب، و حمل واحد منها اسم «الموصل على الأصل المؤصل» و قد كتب هذا الكتاب على شكل حوليات عامه لتاريخ الاسلام، و قد وصلنا ما يمكن عده مختصرا له، أو هو نفسه في نسخه خطيه وحيد (مكتبه بيازيد استانبول رقم ٣٩٨، و نشر محققا مؤخرا في دمشق سنه ١٩٨٥ باسم تاريخ حلب). و على الرغم من سيطره طابع الاختصار و العموميات على هذا الكتاب، فإنه يحتوى في أواخره على معلومات ثمينه جدا تتعلق بحلب خلال أواخر القرن الحادى عشر م، هذا و نقل ابن العديم في كتابه بغيه الطلب من كتب العظيبي الأخرى موادا تتعلق بعصر الدوله المرداسيه ثم بدايات الحكم السلجوقى لحلب.



و مع أن بعض مؤرخى القرن الثانى عشر م قد صنف كتبا تعالج تاريخ حلب فقط، فإن العدد الأكبر منهم قد تابع السير على مذاهب الأوائل فى كتابه حوليات عامه، و كان من بين هؤلاء يحيى بن على التنوخى، و يعرف عادة بابن زريق، و قد ولد عام ١٠٥١ م فى معره النعمان، و لعله مات فى العقد الأول من القرن الثانى عشر.

و كتب ابن زريق تاريخا حوليا، أوقف أخباره بشكل أساسى على الاحتلال السلجوقى لبلاد الشام، ثم على الغزو الصليبي، و عنه نقل ابن العديم فى كتابه بغيه الطلب، و من خلال ابن العديم تعرفنا عليه، لأن كتابه بحكم المفقود.

و كانت الأسره المنقذيه قد تأسست فى قلعه شيزر، حيث انتقلت إليها من بلده كفر طاب، و فى شيزر أنجبت الأسره المنقذيه عددا من الفرسان و الشعراء و الكتاب، شهر منهم بشكل خاص أسامه بن مرشد [ت ١١٨٨ م]، و مع أسامه أسهم أثنان من أخوانه بكتابه التاريخ هما: على و منقذ، فقد صنف منقذ تاريخا حوليا جعله ذيلا لتاريخ ابن المهذب المتقدم الذكر، و كتب أخوه على أيضا تاريخا حوليا حمل اسمه، أما أسامه صاحب كتاب الاعتبار، فقد صنف عددا كبيرا من الكتب وصلنا بعضها لكن لم يصلنا ما كتبه بالتاريخ العام إلا من خلال النقول التى احتفظ بها ابن العديم فى كتابه بغيه الطلب.

و مثلما نقل ابن العديم عن الأخوه الثلاثة من آل منقذ، نقل عن أبي غالب عبد الواحد ابن مسعود بن الحصين، الذى يرجح أنه كان من أهالى معره النعمان، وقد صنف تاريخا حوليا، و مثله كان من بين مؤرخى معره النعمان عبد القاهر بن علوى، و قد ذكره العماد الأصفهاني الكاتب، و بين أنه كان شاعرا، شغل منصب قاضى معره النعمان، و أنه قد لقيه فى مدينه حماه فى آذار ١١٧٦ م، و كتب ابن علوى كتابا بالتاريخ اسمه «نزهه الناظر و روضه الخاطر»، و كان هذا الكتاب أيضا بين مصادر بغيه الطلب لابن العديم.

و نقل ابن العديم عن مؤرخ حلبى آخر اسمه أبو منصور هبه الله بن سعد الله بن الجبراني، و لا نعرف تاريخ ميلاد أو وفاه هذا المؤرخ، لكننا نعلم أن واحدا من أولاده و اسمه أحمد قد توفى سنه ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م.

مما تقدم عرضه بايجاز نعلم أن المؤرخين الذين أنجبتهام اماره حلب كثير عددهم خصب انتاجهم، و لقد تأوجت أعمال التدوين التاريخى فى الشام الشمالى فى القرن السابع للهجره/ الثالث عشر للميلاد، و أبرز الذين خلفوا لنا العديد من المؤلفات هم: ابن أبى طىء (يحيى بن حميده- توفى سنه ٦٣٠ هـ / ١٢٣١ م)، و القفطى (على بن يوسف- توفى سنه ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) ابن العديم (عمر بن أحمد- توفى سنه ٦٦٠ هـ / ١٢٦١-١٢٦٢ م) و ابن شداد (محمد بن على- توفى سنه ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م).

و يمكن أن نضيف إلى هؤلاء بهاء الدين بن شداد صاحب سيره صلاح الدين لأنه أمضى سنوات حياته الأخيره فى حلب.

و كان القفطى، الذى شغل منصب الوزير بحلب، مصنفًا لعدد من الكتب تتضمن عدده موضوعات منها واحد حمل عنوان «الاستئناس فى أخبار آل مرداس» لا نعرف نسخه عنه، و فيما عدا ما يوحىه عنوانه لا نعرف شيئًا عن محتوياته و لا الطريقه التى كتب بها.

و كتب ابن أبى طىء عدده كتب معظمها بحكم المفقود، و قد ذكر له حاجى خليفه كتابا اسمه «معادن الذهب» فى تاريخ حلب، كما و يرجح أنه كتب سيره لصلاح الدين الأيوبى، و أتى بتفاصيل حوله لا نجدها عند سواه، فقد كان والد هذا المؤرخ من زعماء الشيعة الاماميه بحلب، و قد اضطر إلى مغادره مدينته أيام نور الدين محمود بسبب السياسه الدينيه التى اتبعها و لضغطه الشديد على الشيعة، و لذلك جاءت أخبار ابن أبى طىء مشايحه لصلاح الدين مضاده لنور الدين، و مع ذلك هى هامه جدا اعتمدها و استفاد منها كل من ابن العديم و أبو شامه فى الروضتين.

هذا و كتب ابن شداد كتاب الأعلاق الخطيره، و جل موادها عن حلب نقلها عن ابن العديم، و ابن العديم هو أعظم مؤرخ أنجبته بلاد الشام فى تاريخها الاسلامى كان غزير الانتاج موسوعى المعارف، و هو خير ممثل للحضاره العربيه و الثقافه الشاميه قبيل الاجتياح المغولى المدمر.

و ابن العديم هو الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبه الله ...

ابن أبى جراد، ولد فى مدينه حلب فى ذى الحجه سنه ثمان و ثمانين و خمسمائه للهجره و عند ما بلغ السابعة من عمره حمل إلى المكتب للدراسه، و هناك

ظهرت استعداداته مما بشر بنبوغه المبكر، وقد كان نحيف البنية لذلك عني به أبوه عنايه كبيره، فحذب على رعايه صحته، و سهر على تربيته و تعليمه، و نظرا لمنزله والده و لما تمتعت به أسرته من مكانه نال ابن العديم حظه وافيا من معارف عصره الدينيه و الدنيويه، و يروى بأن اباه حظه على اتقان قواعد الخط، ذلك أنه- أى الأب- كان ردىء الخط، فأراد أن يجنب ابنه هذه الخله، و نجح فى هذا المجال نجاحا كبيرا جدا، و قد وصف ياقوت اتقان ابن العديم لقواعد الخط العربى بقوله: «و اما خطه فى التجويد و التحرير و الضبط و التقييد فسواد ابن مقله، و بدر ذو كمال عند على بن هلال»، و يؤكد شهاده ياقوت هذه المجلدات العشره من كتاب بغيه الطلب التى وصلتنا بخط ابن العديم، حيث نرى واحدا من المع النساخ فى تاريخ العربيه و أكثرهم ضبطا و براعه و أمانه و يقظه و درايه.

و فى باب العنايه فى إنشاء ابنه و تثقيفه صحب أحمد بن هبه الله ولده عمر فى رحلاته و أسفاره، حيث زار دمشق أكثر من مره كما زار بيت المقدس و رحل إلى العراق و الحجاز.

و عندما بلغ سن الشباب وجد ابن العديم السبل أمامه كلها مفتوحه لمستقبل لامع، و كان لمواهبه و ثقافته و أسرته الفضل الأكبر فى تحقيق نجاحاته، و هنا يحسن التوقف قليلا للتعرف إلى اسره ابن العديم، و ذلك قبل متابعه الحديث عن مراحل حياته:

يعرف الجد الأعلى للصاحب كمال الدين باسم ابن أبى جواده، و كان

صاحباً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ينتسب إلى ربيعه من عقيل إحدى كبريات قبائل عامر بن صعصعه العدنانية، و كان يقطن مدينه البصره، و فى هذه المدينه عاش أولاد آل أبى جراده و أحفادهم، و فى مطلع القرن الثالث للهجره قدم أحد أفراد أسرهِ أبى جراده إلى الشام فى تجاره و كان اسمه موسى بن عيسى و حدث أنذ أن ألم بالبصره طاعون، لهذا قرر موسى البقاء فى الشام، و استوطن مدينه حلب، و فى هذه المدينه التى كانت عاصمه شمال بلاد الشام، و مفتاح الطريق إلى العراق و بلاد المشرق الاسلامى مع آسيا الصغرى و الأراضى البيزنطيه، فيها خلف موسى بن عيسى أسرهِ نمّت مع الأيام عدداً و مكانه و ثروه و شهره، و تملكّت هذه الأسره الأملاك، كما ساهمت فى جميع ميادين الحياه فى حلب من سياسه و علم و قضاء و اداره و تجاره و غير ذلك، و بهذا غدت أسرهِ آل أبى جراده من أبرز أسر حلب، و ظلت هكذا حتى حل بحلب الدمار على أيدي جيوش هولاءكو، كما ظلت محتفظه باسمها ذاته طوال تاريخها، إنما فى القرن الأخير من حياتها كسبت اسما اضافيا، أخذ رويدا يعم فى الاستعمال أكثر من الاسم الأصيل، لكنه لم يبلغه و كان الاسم الجديد هو «العديم»، و نحن لا نملك تعليلا لسبب هذه التسميه، فقد قال ياقوت: «سألته أولا لم سميتم ببني العديم؟ فقال:

سألت جماعه من أهلى عن ذلك فلم يعرفوه و قال: هو اسم محدث لم يكن آبائى القدماء يعرفون بهذا».

و دانت أسرهِ ابن أبى جراده بالتشيع حسب مذهب الاماميه، و ظلت هكذا حتى بدأ التشيع بالانحسار فى حلب، و ذلك منذ النصف الثانى للقرن

الخامس / الحادى عشر، هذا و ان كنا لا نعرف بالتحديد تاريخ أخذ هذه الأسره بمذاهب السنه أمكننا أن نقدر ذلك، بحكم سقوط سلطه الشيعة فى حلب مع عصر السلطان السلجوقى الب ارسلان (و هو أمر بحثته بالتفصيل فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه) و نظرا لعلاقات أسره آل أبى جراده الخاصه مع سلطات حلب، لابد أن الحال اقتضى المسايه و التحول إلى السنه، و لربما حسب المذهب الحنفى.

و فى عوده نحو سيره الصاحب كمال الدين نجده يحدثنا بأن والده خطب له و زوجه مرتين، فقد اخفق فى الزواج الأول، لذلك طلق زوجته و تزوج ثانيه بابنه الشيخ الأجل بهاء الدين أبى القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله- المعروف بالعجمى، و كان شيخ أصحاب الشافعى، و من أعظم أهل حلب منزله و قدرا و ثروه و مكانه سياسيه و دينيه و اجتماعيه، و من زواجه الثانى رزق الصاحب كمال الدين أولاده، و لم يمت والده حتى كان ابنه أحمد طفلا يدب على الأرض، و يمكننا التعرف إلى هذا الابن من خلال استعراضنا لكتاب بغيه الطلب حيث سمع الكتاب على أبيه و قام بعد وفاه والده باستدراك بعض المواد التى حالت المنيه بين والده و بين تدوينها فى كتابه، فمن المقرر أن ابن العديم مات دون أن يقوم باعاده النظر فى مؤلفه «بغيه الطلب» و لم يقم بتبييضه، و الذى وصلنا هو مسوده الكتاب، إنما نظرا لبراعه المؤلف و حسن طريقته و جوده خطه، نرى أن مكانه الكتاب و أهميته هى هى، ذلك أن أهميه الكتاب نابعه مما حواه من مواد تاريخيه نهلهما ابن العديم من وثائق و مصنفات غيبتها الزمن عنا، فابن العديم كان مصنفا ممتازا

و لم يكن «مؤرخاً» حسب مصطلحات أيامنا هذه، فهو قد جمع في كتابه المواد الاخباريه و نسقها، لكنه لم يحاول تحليلها و معالجتها كما يفعل الباحث في التاريخ في جامعات أيامنا هذه ...

و منذ أن بلغ الصاحب كمال الدين سن الشباب أخذ يشارك في الحياه السياسيه و العلميه لمدينه حلب، فقد كان يحضر مجلس الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين - صاحب حلب - فيكرمه و يقربه و يقبل عليه أكثر من أقباله على غيره على الرغم من صغر سنه، و فى ذى الحجه سنه ست عشره و ستمائه ولى ابن العديم أول عمل رسمى، لقد ولى التدريس فى مدرسه شاذبخت، و كانت من أجل مدارس حلب و ارقاها، كل «هذا و حلب اعمر ما كانت بالعلماء و المشايخ، و الفضلاء الرواسخ، إلا أنه رثى أهلا لذلك دون غيره، و تصدر، و ألقى الدرس بجنان قوى، و لسان لودعى، فأبهر العالم و أعجب الناس» و يبدو أنه تولى بعد هذه المدرسه التدريس بالمدرسه الحلاويه، التى كانت أجل مدارس حلب، و هى مدرسه ما زالت قائمه حتى الآن، تعلقوا واحدا من جدرانها لوحه حجرية كتبها ابن العديم بخطه.

و مع مرور الأيام علت مكانه ابن العديم، فسفر عن ملوك حلب إلى ملوك الدول المجاوره فى بلاد الشام و الجزيره و آسيه الصغرى، و إلى سلاطين القاهره و خلفاء بغداد، و كانت خزائن كتب و وثائق كل بلد زارها تحت تصرفه، فنهل منها ما لم ينهله سواه، و اودع جل ذلك فى كتابه بغيه الطلب، و من هذه الزاويه يمكن أن نرى أهميه هذا الكتاب، و من ناحيه أخرى يمكننا

أن نرى المدى الذى وصلت إليه خزائن المشرق العربى قبيل وقوع الطامه الكبرى على يد المغول بسنوات.

و فى كل مكان زاره ابن العديم كان يلقى الحفاوه من رجال السلطه، و كان فى الوقت نفسه يلتقى بالعلماء و شيوخ العصر فيأخذ عنهم، و لقد أودع ما أخذه عن علماء عصره، و ما رآه من أحداث أو شاركت به، أودعه فى كتابه بغيه الطلب، حتى غدا هذا الكتاب أشبه بمنجم للمعلومات لا ينضب معينه.

و ظل نجم ابن العديم يصعد فى سماء السياسه فى حلب و سواها حتى وصل إلى مرتبه الوزير، و لكن مشاغل السياسه و الحياه العامه لم توقف العمل الفكرى و لم تعطله، و هكذا صنف ابن العديم عددا كبيرا من الكتب، غلب على معظمها سمه التاريخ، و لعل أشهر كتبه «كتاب زبده الحلب من تاريخ حلب» و «كتاب الانصاف و التحرى فى دفع الظلم و التجرى عن أبى العلاء المعرى» و كتابه بغيه الطلب الذى أشرنا إليه حتى الآن كثيرا، و قد طبع كتاب زبده الحلب فى أجزاء ثلاثه فى دمشق، و أعدت الآن تحقيقه، أما كتاب الانصاف فقد طبعت قطعه منه للمره الأولى بحلب ثم اعيد طبعها فى القاهره، و أقول قطعه ذلك أن الكتاب لم يصلنا كاملا بشكل مباشر.

و عندما قلت بشكل مباشر اردت أن أقول بأن الكتاب وصلنا بشكل غير مباشر، فقد روى لى منذ سنوات أن واحدا من أحفاد ابن العديم ممن عاش بعد جده فى القاهره، صنف كتابا حول القاضى الفاضل دعاه باسم



«سوق الفاضل فى ترجمه القاضى الفاضل»، و توجد من هذا الكتاب نسخه خطيه فى مكتبه شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينه المنوره، و قيل لى إن فى ثنايا الكتاب ورد فى احدى رسائل القاضى الفاضل بيت شعر من شعر المعرى، و اراد حفيد ابن العديم أن يعرف بالمعرى، فقال: قال جدى فى كتابه الانصاف و التحرى: و أثبت نص الكتاب بكماله، و يوجد هذا الكتاب مصورا على شريط فى معهد المخطوطات التابع لجامعه الدول العربيه بالقاهره، و مضيت إلى المدينه المنوره للتأكد من هذا الخبر، فتيقنت من عدم دقته و ان حفيد ابن العديم نقل قليلا من كتاب جده الانصاف و التحرى.

و يعود سبب انتقال ابن العديم إلى القاهره، إلى تعرض مدينه حلب إلى الدمار سنه ٦٥٧ هـ على يد جيوش هولوكو، و كان ابن العديم غادر مدينته إلى دمشق، ثم منها إلى غزه فالقاهره، و يبدو أنه عاد بعد عين جالوت إلى دمشق، و ربما اراد التوجه إلى حلب، أو توجه إليها فعلا. ليعاين الدمار الذى لحقها، و فى أثناء ذلك عرض عليه هولوكو منصب قاضى حلب، فرفض، و عاد إلى القاهره، حيث أمضى بقيه حياته، و قد وافته منيته فى مصر فى العشرين من جمادى الأولى سنه ستمائه و ستين للهجره.

و كنت فى عام ١٩٨٨ قد حققت الموجود من كتاب بغيه الطلب و نشرته بدمشق، و كنت من قبل قد تعاملت مطولا مع كتاب «زبدہ الحلب من تاريخ حلب» الذى انتزعه ابن العديم و استخلصه من مواد كتاب «بغيه الطلب»، و جاء هذا التعامل لى اعدادى لرساله الدكتوراه فى جامعه لندن عن اماره

حلب فى القرن الخامس هـ/ الحادى عشر مىلادى، و عندما بدأت بعملى باعداد اطروحتى كان المنشور من كتاب زبده الحلب الجزء الأول [نشر فى دمشق ١٩٥١] و الثانى [نشر فى دمشق ١٩٥٤] لذلك قمت بتصوير المتبقى من المخطوط من باريس [نشر الجزء الثالث فى دمشق ١٩٦٨].

لقد تولى المرحوم الدكتور سامى الدهان تحقيق كتاب زبده الحلب، و نشره فى / ١٠٥٤ / ص وزعها على ثلاثه أجزاء، و قدم لنشرته بمقدمه مسهبه عن حياه ابن العديم و عن مؤلفاته، و لا شك أنه بذل جهودا طيبه فى تحقيق الكتاب الزبده، لكن يؤخذ على عمله الاطاله، لا بل الاسراف بالاطاله، فهو كان مغرما بالحواشى و باقحام العناوين، و أقحم العناوين فى نص الكتاب و كأنها منه، و لم يضعها بين حواصر للأمانه، و فى هذا العمل تدليس و تزيف.

أما الحواشى فأكثر من تكرارها فضلا عن أنه اختلق بعضها بلا سبب، حتى أنه كان يدعى وجود طمس بالمخطوط، و من ثم اجتهاده بالقراءه و الضبط، هذا و أخفق الدكتور الدهان فى عده أماكن فى قراءه النص إلى حد أن «عين الجر» جاءت عنده «عبر الجسر».

و كان المرحوم الدهان قد وصف المخطوطات التى اعتمدها خاصه الأساسيه منها و هى مخطوطه المكتبه الوطنيه فى باريس (رقم ١٦٦٦- الرقم القديم ٧٢٨ مخطوطات عربيه) و هى تقع فى ٢٦٨ ورقه بحجم ٢٥\* ٥، ١٧ سم، و كتبت هذه النسخه «الإحدى عشره ليله خلت من ربيع

الآخر سنه ست و ستين و ستمائه» أى بعد وفاه ابن العديم بست سنوات، و قد اعتمد ناسخها على نسخه ابن العديم التى كتبها بخط يده.

و كنت قد اشترت منذ أكثر من عامين بعض مصورات مكتبه المرحوم الدكتور الدهان من ذلك مصوره كتاب زبده الحلب، و على هذا اعتمدت المصوره نفسها التى اعتمدها.

و من المرجح أن ابن العديم انتزع مواد زبده الحلب من مواد بغيه الطلب لكن قبل اكماله لتصنيف كتاب البغيه، و لهذا نلاحظ وجود بعض الفوارق بين روايات الكتابين أحيانا حول الخبر نفسه، و صنف ابن العديم الزبده تلبيه لرغبه الملك العزيز بن الظاهر الأيوبي [٦١٣-٦٣٤هـ] لكنه لم يقيد نفسه بتاريخ عهده، بل زاد عليه، و من المؤكد أنه لم يبيض كتابه بغيه الطلب، بل إن بعضهم يرى إنه لم يكمل تصنيفه.

و كتاب زبده الحلب يختلف فى منهجه عن كتاب البغيه، و هو يشبه من بعض الوجوه تاريخ دمشق لابن القلانسي، و كتب الحوليات، و لا شك أنه أهم مصدر فى بابيه، ظهر فيه ابن العديم بمظهر المؤرخ الأصيل.

و انصب اهتمامى لدى تحقيقى لهذا المصدر الهام على ضبط النص و اخراج جميع الشوائب منه، و خففت من الحواشى قدر الامكان، لكن اضطررت لأسباب فنيه إلى اضافته بعض العناوين، فوضعت ما أضفته بين حاصرتين و نبهت على ذلك، و لعل مما ساعدنى فى عملى أننى أعمل فى تاريخ

حلب منذ أكثر من ثلاثين سنة، و أننى حققت كتاب بغيه الطلب، و توفر لى مصادر جديده، ثم إن اختصاصى الأساسى هو التاريخ الإسلامى.

و الله الموفق إلى السداد و الصلاه و السلام على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

دمشق ٥ جمادى الأولى ١٤١٧ هـ

١٧ أيلول ١٩٩٦ م

الصفحة الأولى من زبده الحلب - نسخه باريس -

الصفحة الغلاف لمخطوط زبده الحلب - نسخه باريس -

الصفحة الأخيرة من مخطوط زبده الحلب - نسخه باريس -

الصفحة الأولى من الدرارى بخط ابن العديم



نموذج من خط ابن العديم بغيه الطلب



زبدہ الحلب من تاریخ حلب تألیف المولیٰ صاحب سفیر الخرقہ النبویہ کمال الدین أبی حفص عمر بن أحمد بن هبه الله (١)

---

١- جاء على هذه الصفحة من مخطوط باريس: - قرى فى هذا الكتاب بطرس بن ديب الحلبى من طائفه الملكيه رحمه الله عليه و على أهله، و على قارىء ذا الخط فى باريس فى بيت الوزير كولبيرت سنه ألف و ستميه و ثمانين مسيحيه. - رأيت بخيل صان سنداس دارهى و لم نر قبله شخص يحرس الخلا. و ما ذاك إلا- النهر ضن النهر يعود طعامك مثل ما كان. رمت أمراء فاحذر عداوته. من يزرع الشوك لا يحصد به مدو و إن أبدى مسالمه إذا رأى منك يوماً فرصه و غيرهه. فى سبع و عشرين ليله بشهر هلال شباط أتى فيها أن يكون فإنه صيام النصارى فاعلمن ذاك و ادرين.



## [حلب فى قديم الزمان]

## إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم و ما توفيقى إلا بالله الحمد لله مقلب الأمور. و مصرف الدهور. و مالك الأمير و المأمور.  
و الصيلاه على نبيه محمد المصطفى الصبور. الذى نسخ بدينه سائر الأديان و قمع به كل كفور. و على آله و أصحابه صلاه دائمه  
إلى يوم النشور.  
و بعد فإن بعض من يتعين على امتثال أمره. و يجب على الانقياد إلى موالاته و بزه. التمس منى تعليق ما وقع إلى من ذكر أمراء  
حلب و ولايتها.  
و ملوكها و رعاتها. فسارعت إلى تحصيل غرضه. و قمت من تلييته بمفترضه.  
و علقت فى هذه الأوراق ذكر من ملكها من الولاة. و بعض من عثرت عليه من الوزراء و القضاة.  
و أضفت إلى ذلك ذكر من بناها فى قديم الزمان. و معنى اسمها المختصه هى به من بين سائر البلدان.  
و رسمته: «بزبده الحلب من تاريخ حلب»؛ لأنه منتزع من تاريخى الكبير للشهباء. المرتب على الحروف و الأسماء.

و أرجو أن يكون وصل إليّ من ذلك ما لم يصل إلى سواى. و أن أبلغ من عفو الله و رحمته نهايه سؤلى و أقصى منأى. و بالله أستهدى. و إلى فضله و كرمه أستعدى.

و أقول:

اسم حلب عربى لا شك فيه(١). و كان لقباً لتل قلعتها(٢). و إنّما عرف بذلك لأن إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - كان إذا اشتمل من الأرض المقدسه؛ ينتهى إلى هذا التلّ فيضع به أثقاله، و يبيث رعاءه إلى نهر الفرات

١- حلب مدينه عرييه موغله بالقدم، قامت على ضفه نهر قويق اليسرى، وسط منطقه زراعيه، تنتج الحبوب و الزيتون، فى موقع استراتيجى هام جدا، فقد شكلت صله وصل بين بلاد الشام و بلاد ما بين النهرين و الهضبه الايرانيه و البلدان الآسيويه الشرقيه، من جهه الشرق و آسيه الصغرى فأوربا الشرقيه من جهه الشمال، و شواطىء البحر المتوسط من جهه الغرب. حافظت على اسمها دونما تبديل، فقد وردت فى نصوص مارى باسم حالاب، و خلاب و خالايا و حلبا، و فى النصوص المصريه القديمه خرب، و فى رسائل تل العمارنه حلب، و فى نصوص أوغاريت حلب، و فى النصوص الآراميه الصيغه نفسها، و وردت فى النصوص الحثيه باسم حلب و خالاب و حلباس، و سماها الهلنستيون بيروا، و استردت اسمها الأصيل بعد الفتح العربى، و تعاظمت مكانتها فكانت حاضره الشمال الشامى، و شغلت دوما أهم الأدوار السياسيه و الحضاريه و الاقتصاديه، و تميزت بتل قلعتها و بنشاط سكانها و عبقريتهم و امكاناتهم المتميزه.

٢- هناك اجتهادات جعلت إبراهيم الخليل من اييلا، و هنا يمكن ربطه بتاريخ مدينه حلب، و لا نقيم وزنا للدعاوى الصهيونيه التوراتيه بشأن الانتماء إلى إبراهيم الخليل، فبنو اسرائيل اندثروا منذ عده آلاف من السنين، و ماورد بالتوراه من معلومات تاريخيه لم تثبتة أعمال الكشف الأثرى، و الصهاينه الذين جاءوا من أوربا هم من أصل خزرى.

و إلى الجبل الأسود(١). و كان مقامه بهذا التلّ يحبس به بعض الرّعاء؛ و معهم الاغنام، و المعز، و البقر. و كان الضّعفاء إذا سمعوا بمقدمه أتوه من كلّ وجه، من بلاد الشمال. فيجتمعون مع من اتبعه من الأرض المقدسه، لينالوا من برّه؛ فكان يأمر الرّعاء بحلب ما معهم طرفى النهار. و يأمر ولده و عبيده باتخاذ الطّعام فإذا فرغ له من ذلك أمر بحمله إلى الطرق المختلفه بازاء التلّ، فيتنادى الضّعفاء: «إنّ إبراهيم حلب»، فيتبادرون إليه.

فنقلت هذه اللفظه كما نقل غيرها، فصارت اسما لتلّ القلعه. و لم يكن فى ذلك الوقت مدينه مبنيه.

قيل: إنّ «بيت لاها»(٢) كان يقيم به أيضا إبراهيم - صلى الله عليه - و رعاؤه تختلف إليه. و كان يفعل فيه أيضا، كما يفعل فى تلّ القلعه. لكنّ الاسم غلب على تلّ القلعه دون غيره.

- 
- ١- « جبل دون اللكام من شرقيه، و يقال إن إبراهيم صلى الله عليه و سلم كان إذا أقام بحلب بيت رعاءه إليه ليرعوا غنمه فيه، و فيه أشجار كثيره غير مثمره» بغيه الطلب لابن العديم - تحقيقى ط. دمشق ١٩٨٨ ص ٤٣٨، و المراد هنا جبال الأمانوس.
  - ٢- بهامش الأصل: «و بيت لاها هذا المشار إليه هو جبل اللكام، و يقال له بيت لاها الغربى و بيت لاها الشرقى هو ليلون، و يقال لكل منهما الغربى». و فى بغيه الطلب ص ٤٢٠ لدى الحديث عن جبل سمعان قال ابن العديم: «و فى وسط هذا الجبل جبل عال شاهق على الجبال التى حوله، يقال له بيت لاها، و هو بيت لاها الشرقى، لأن جبل اللكام يقال له بيت لاها الغربى، و معناه بالسريانيه بيت الله، و يقال إن إبراهيم عليه السلام لما هاجر إلى الشام، كان يرعى غنمه من أرض حلب إلى بيت لاها، و يقال لما حوله من الجبال جبل ليلون، و قيل فيه لولون».

وقيل: إنّ إبراهيم - صلى الله عليه - لما قطع الفرات من حرّان (١) أقام ينتظر ابن أخيه «لوطا»، فى كثير ممّن يتبعه فى سنه شديده المحل. و كان الكنعانيون يأتون إبراهيم - عليه السلام - بأبنائهم فيهبونهم منه؛ و يتصدّق عليهم بأقواتهم من الطّعام، و الغنم. و صار إبراهيم - عليه السلام - إلى أرض حلب فاتخذ الركايا، و كرا الأعين؛ و منها: عين إبراهيم - عليه السلام - و هى التى بنيت عليها مدينه حلب.

و كان للكنعانيين بتلّ القلعه فى رأسه بيت للصّينم؛ فصار إليه إبراهيم - عليه السلام - فأخرج الصنم؛ و قال لمن حضره من الكنعانيين: أدعوا إلهكم هذا أن يكشف عنكم هذه الشّده. فقالوا: و هل هو إلا حجر؟ فقال لهم:

فإن أنا كشفت عنكم هذه الشّده، ما يكون جزائى؟ فقالوا له: نعبدك فقال لهم: بل تعبدون الذى أعبد؛ فقالوا: نعم.

فجمعهم فى رأس التلّ؛ و دعا الله، فجاء الغيث. و ضرب إبراهيم - عليه السلام - برأس ظلّه حين أفلع الغيث. و توافت إليه رعاؤه؛ فكان يأمر أصحابه بإصلاح الطّعام، و يضعه بين أوعيه اللّبن؛ و يأمر بعضهم فينادى:

«ألا- إنّ إبراهيم قد حلب فهلّموا» فيأتون من كلّ وجه، فيطعمون، و يشربون، و يحملون ما بقى إلى بيوتهم. فكان الكنعانيون يخبرون عن مقام

---

١- حران الآن قريه مهمله داخل الحدود التركيه، قريه من أطراف محافظه الرقه، و كانت دوما من أهم مدن بلاد الشام لاسيما فى الجوانب الفكرية و العقائديه.



إبراهيم بما كان يفعله. و صار قولهم «حلب» بطول هذا الاستعمال لقباً لهذا التلّ؛ فلما عمرت المدينة تحته سميت باسمه.

و ذكر بعضهم: أنها إنما سميت «حلب» باسم من بناها، و هو:

حلب بن المهر بن حيص بن عمليق من العمالقه. و كانوا إخوه ثلاثة: بردعه، و حمص، و حلب؛ أولاد المهر. فكلّ منهم بنى مدينة سميت باسمه.

و كان اسم حلب باليونانية «باروا» و قيل «بيروأ».

و ذكر ارسطاطاليس (١) في كتاب الكيان (٢): أنه لما خرج الاسكندر لقصد دارا الملك، و مقاتلته، كان ارسطاطاليس فى صحبته؛ فوصل إلى حلب- و هى تعرف بلسان اليونانية «بيروأ»- فلما تحقّق ارسطوطاليس حال تربتها، و صحّه هوائها، استأذن الإسكندر فى المقام بها، و قال له: إنّ بى مرضاً باطنا، و هواء هذه البلده موافق لشفائى. فأقام بها فزال مرضه.

و قيل: إنّ الذى بنى مدينة حلب أولاً ملك من ملوك الموصل يقال له:

١- لأرسطو ترجمه وافية فى بغيه الطلب ص ١٣٤١-١٣٤٥.

٢- قال ابن العديم فى بغيه الطلب أثناء الحديث عن كتب أرسطو: «و أما الكتب التى فى العلوم الطبيعى فمنها ما يتعلم منه الأمور التى تخص كل واحد من الطبائع، فالأمور التى يتعلم منها الأمور التى تعم جميع الطبائع و هو كتابه المسمى «بسمع الكيان» فهذا الكتاب يعرف بعدد المبادئ لجميع الأشياء الطبيعى، و بالأشياء التوالى للمبادئ. و بالأشياء المشاكله للتوالى، فأما المبادئ فالعنصر و الصوره، و أما التوالى فالزمان، و أما المشاكله للتوالى: فالخلاء، و الملاء، و ما لا نهايه له...».

بلوكوس الموصلى(١). و يسميه اليونانيون: «سردنبلوس». و كان أول ملكه فى سنه ثلاثه آلاف و تسعمائه و تسع و ثمانين سنه لآدم- صلوات الله عليه- و ملك خمساً و أربعين سنه. و فى سنه تسع و عشرين من ملكه و هى سنه أربعه آلاف و ثمانى عشره سنه لآدم، ملكت ابنته «أطوسا» المسماه «سميرم»(٢) مع أبيها بلوكوس.

و ذكر أبو الریحان البيرونى(٣) فى كتاب القانون المسعودى، و قال: بنيت

١- نقل ابن شداد فى كتابه الأعللق الخطيره- ط. دمشق ١٩٨٨ ق ١ ج ١ ص ٤٢: «قال كمال الدين ابن العديم: قرأت فى الكتاب الجامع للتاريخ، المتضمن ذكر مبدأ الدول، و منشأ الممالك، و مواليد الأنبياء، و أوقات بناء المدن، و ذكر الحوادث المشهوره، مما عنى بجمعه أبو نصر يحيى بن جرير الطيب، التكريتى النصرانى، من عهد آدم إلى دوله بنى مروان، و نقلت ذلك من خطه قال: ذكر أن فى دوله المواصله أن بلوكوس الموصلى ملك خمساً و أربعين سنه، و أول ملكه فى سنه ثلاثه آلاف و تسعمائه و تسع و ثمانين لآدم عليه السلام، قال: كان فى سنه تسع و عشرين من ملكه، و هى سنه أربعه آلاف و ثمانى عشره لآدم ملكت أطوسا المسماه سميرم مع بلوكوس أبيها، و بلوكوس هذا هو الذى يسميه اليونانيون سردنبلوس، و هو الذى بنى مدينه حلب».

٢- هى سميراميس، بطله أسطوره آشوريه انتشرت فى ايطاليا و بلاد الاغريق، قيل كانت أمها دير كيتوربه عسقلان التى كانت تجمع بين وجه امرأه جميله و جسم سمكه. انظر تفاصيل الاسطوره فى معجم الأساطير اليونانيه و الرومانيه لسهيل عثمان و عبد الرزاق الأصفر، ط. دمشق ١٩٨٢ ص ٢٩٣-٢٩٤.

٣- البيرونى هو أبو الریحان محمد بن أحمد ٣٦٢-٤٤١ هـ / ٩٧٣-١٠٥٠] كان قد عاش فى البلاط الغزنوى، بعد سقوط الدوله السامانيه، و صنف بالعربيه فى الجغرافيه، و الفلك، و اللغه و الفلسفه، انظر كتابى مائه أوائل من تراثنا- ط. دمشق ١٩٨٩ ص ٤٩٦-٤٩٩.

حلب فى أيام بلقورس (١) من ملوك نينوى، و كان ملكه لمضى ثلاثه آلاف و تسعمائه و اثنتين و ستين سنه لآدم- عليه السلام- و مده مقامه فى الملك ثلاثون سنه.

و شاهدت على ظهر كتاب عتيق من كتب الحلبيين بخط بعضهم:

رأيت فى القنطره التى على باب أنطاكيه، من مدينه حلب، فى سنه عشرين و أربعمائه للهجره كتابه باليونانيه، فسألت عنها، فحكى لى أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الحسينى الحرانى- أيداه الله- أنّ أبا أسامه الخطيب بحلب حكى له: أنّ أباه حدّثه: أنه حضر مع أبى الصقر القبيصى، و معهما رجل يقرأ باليونانيه، فنسخوا هذه الكتابه و أنفذ إلى نسختها فى رقعه و هى:

«بنت هذه المدينه، بناها صاحب الموصل، و الطالع العقرب و المشتري فيه، و عطارده يليه، و لله الحمد كثيرا».

و هذا يدل على ما ذكرناه، و هو أن بلوكوس الموصلى هو الذى عمرها.

و كان قبل الاسكندر.

و ذكر يحيى بن جرير التكريتى (٢) فى كتاب له ضمّنه أوقات بناء المدن،

١- نقل ابن شداد ابن العديم قوله: «و بلقوريس هذا هو بلوكوس الذى قدمنا ذكره، غير أن هذه الأسماء الأعجميه لا يكاد المسمون لها يتفقون فيها على صورته واحده لاختلاف ألسنتهم». الأعلام الخطيره ق ١ ج ١ ص ٤٤.

٢- أبو نصر يحيى بن جرير التكريتى، شهر بصناعه الطب، توفى بعد سنه ٤٧٢ هـ، و صنف عده كتب. عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبه- ط. القاهره ١٣٠٠ هـ ج ١ ص ٢٤٣.

ما يدل على أن حلب بعد بناء بلوكوس خربت، و جدد عمارتها غيره، بعد موت الاسكندر فانه قال بعد ذكر دوله الاسكندر و موته باثنتى عشره سنه:

«بنى سلوقس (١) اللاذقيه، و سلوقيه، و أفاميه، و باروًا و هي حلب، و اداسا و هي الزها؛ و كمل بناء أنطاكيه و زخرفها و سماها على اسم ولده انطيوخوس و هي أنطاكيه، و كان شرع فى بنائها قبله أنطيغونوس فى السنه السادسه من موت الاسكندر. و ذكر أنه بناها على نهر أورنطس و سماها: «انطوغينا».

و قال: «كان الملك الأول على سوريا، و بابل، «سلوقس نيقطور» (٢) و هو سريانى؛ و ملك فى السنه الثالثه عشره لبلميوس ابن لاغوس، بعد موت الاسكندر؛ و أزم اليهود أن يقيموا فى المدن التى بناها و قرّر عليهم الجزيه».

و سوريا هى الشام الأولى و هى: حلب و ما حولها من البلاد (٣) - على

١- الاشاره هنا إلى سلوقس الثانى كالينيكوس ملك سوريه و بابل ابن أنطيوخوس الثانى، خاض عدّه حروب و توفى سنه ٢٢٦ ق. م. الموسوعه العربيه الميسره.

٢- كان سلوقس نيكاتور ت ٢٨٠ ق. م] من أبرز قادة الاسكندر المقدونى، أسهم فى حروب خلفاء الاسكندر و ملك سوريه و بابل، و تولى تأسيس عدد من المدن، و سعى إلى التشبه بالاسكندر، و بعد وفاته خلفه أنطيوخوس الأول. الموسوعه العربيه الميسره.

٣- كانت بلاد الشام مقسمه فى عصور ما قبل الفتح العربى الاسلامى إلى عدّه مناطق إداريه هى:

ما ذكره بعض الرواه- و فى طرف بلد حلب، بناحية الأ-حص، مدينه عظيمه، و بها آثار قديمه، يقال لها سوريه و إليها ينسب القلى السورىانى، فلعلّ الناحيه كلّها ينسب إليها، و يطلق عليها اسمها، كما أطلق بعد ذلك على جميع الكوره اسم قنشرين.

و قال بعض المؤرّخين من المسيحيه: الذى ملك بعد الاسكندر بطليموس الأريب(١) و هو الذى بنى مدينه حلب، و سماها «أشمونيت»: و ذلك

---

١- كان بطليموس الأول ( سوتر) المنقذ واحدا من كبار قادة الاسكندر الأ-كبر، أقيم عقب وفاته واليا على مصر، عمل على تفكيك عرى الامبراطوريه المقدونيه، و أسس فى مصر حكم أسره البطالمه، اعتنى بالاسكندريه وود جعلها عاصمه الحضاره الاغريقيه، جعل عباده الاسكندر ديانه رسميه و هى العباده التى تطورت إلى عباده أسره البطالمه، و حمل بعض ألقاب الفراعنه، أشرك ابنه بطليموس معه بالحكم قبل وفاته، و كانت وفاته سنه ٢٨٣ / ٢٨٢ ق. م. الموسوعه العربيه الميسره.

أنه اختار بناء المدينة في موضع، و أراد أن يكون بها الماء، فخرج و دار حولها، حتى رأى الأعين التي «بحيلان»<sup>(١)</sup>؛ فأمر المهندس أن يبنى عليهنّ بناء، و يحكمه، و أن يجريهنّ إلى المكان الذي هو مرسوم بمنزله الملك. و جمع الناس للعمل في عماره المدينة، فاحتفر في وسط المدينة حفيره بثقها إلى النهر الذي أجراه؛ و أمر بالقساطل أن تعمل فاختلّت، فاتخذت من الحجارة؛ فتمّ ما أراد و بنى به بناء في موضع الريحانيين يومنا هذا؛ و اتخذ عليه قصرا، و بنى المدينة.

و آخر ما بناه «باب أنطاكية» ورّتب فيها ابنته «أشمونيت»؛ و سمّى المدينة باسمها و أضاف لها جندا و زوجها «إيلياوس»، أحد أبناء ملوكهم؛ و كان قائد جيش الأريب؛ و صار إلى أنطاكية؛ و ليست من بناء اليونان فإنّ رسمها قديم؛ فتمم بناءها، و أضافها إلى إيلياوس زوج أشمونيت<sup>(٢)</sup>.

و ملك الأريب تسعا و عشرين سنة. و ملك بعده ابنه بطليموس، و لقب باليونانية: «محب أخته»<sup>(٣)</sup>؛ و كانت أخته أشمونيت نائبة عنه؛ فبقي في

١- حيلان: قرية بهضبه حلب، تبعد عنها ٨ كم نحو الشمال، تصلها بحلب طريق مزفته، و هي تتبع اداريا قرى مركز و منطقته جبل سمعان. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.

٢- لم يهتم البطالمة باعمار الجزء الجنوبي الذي حكموه من سوريه، و على عكسهم كانت الدوله السلوقيه، حيث يبدو أن سلوقس قام بالدور الرئيسي في هذا المجال، فإليه تنسب المدن الأربع: أنطاكية، و أفاميه، و سلوقيا، و لاذقيه. مدن بلاد الشام حين كانت ولايه رومانيه- ط. عمان ١٩٨٧ ص ٣٦-٤١.

٣- وقعت حلب في ظل حكم البطالمة و هم: بطليموس الثاني محب أخته (٣٠٨-٢٤٦ ق. م) و قد جاء بعد بطليموس، و حافظ على استقلال مصر و خلفه بطليموس الثالث الخير يورجيتيس [٢٤٦-٢٢١ ق. م] و جاء من بعده بطليموس الرابع فيلوباتور المحب لأبيه، و خلفه بطليموس الخامس (٢٠٣-١٨٠ ق. م) و جاء بعده بطليموس السادس فيلومنور]

الملك ستا و عشرين سنه. و ملك بعده ابنه بطليموس الاورجاتيس [و لُقّب باليونانيه بالفاعل فبقى فى الملك اربعا و عشرين سنه. و ملك بعده بطليموس فليفاطر] و لُقّب باليونانيه محب ابيه، و اشمونيت و زوجها و ولدها يتولون حلب. و ملك بعده «بطليموس محب أمه»<sup>(١)</sup> و هو ابن اشمونيت و كان ينزل حلب، و عمّر على صخرتها قلعه، و حصّنها، فخرج عليه فى آخر أيامه «انطياخوس» ملك الروم؛ و استنجد عليه فلم يكن لمحب أمه به طاقة، فخرج عنها مع أمه، فأسرهما أنطياخوس، و عذبهما، و استصفى أموالهما، و شرع فى هدم ما جدّدت اشمونيت من بناء حلب. فقليل له إنّ الذى يفعله ليس من عاده الملوك، فكفّ عن هدمها؛ و توّعد من يسكن بحلب، فصار الناس إلى غيرها. و عاد إلى أنطاكيه فاستحدث بها أبنيه لنفسه. فلذلك يزعم قوم أن أنطاكيه من بنائه، و ليس الأمر كذلك؛ و إنما له فيها مثل ما لبطليموس الأريب من التميم. و يقال: إن اشمونيت و هى حلب تجاوزت عمارتها مارسمه الأريب، حتى صارت العماره إلى جميع الجوانب. و قيل: إن اشمونيت نصبت حوالىها مائه ألف نصبه من الزيتون، و من التين مائه ألف نصبه و غير ذلك من الأشجار الجبلية الشاميه. و لم يبق بحلب موضع ينسب إلى اشمونيت غير العين المعروفه بأشمونيت. و ماتت اشمونيت و ولدها فى أسر أنطياخوس تحت العقاب.

---

١- المحب لأمه ١٨٠-١٤٥ ق. م] و كان فى السابعه من عمره، فتولت الوصايه عليه أمه كليوبترا الأولى، و بعد وفاتها غزا أنطيوخوس الرابع ١٧٠ ق. م] مصر. الموسوعه العربيه الميسره.

وقيل هو الذى بنى قنسرين، و أجرى الماء إليها فى قناه من عين المباركه، وقيل: بناها غيره، و عرف انطياخوس ببطليموس الرابع.

وقيل: إنَّ أشمونيت حال محاربتها أنطياخوس أتها نجده من مصر، فهزمته فصار إلى الشرق فمات.

ثم ملك حلب بعد أشمونيت «بطليموس ايفانيس»<sup>(١)</sup> و هو قائد العسكر؛ و فى زمانه اشترت اليهود منه موضع القلعه المعروفه اليوم بقلعه الشريف فتحصنوا بها؛ و كانوا يعينون الملك فى القتال و يحملون له الأموال.

ثم ملك بعده بطليموس فيلو بطر<sup>(٢)</sup>، و هلك انطياخوس فى أيامه. ثم ملك بعده جماعه من ملوك اليونان؛ إلى أن صار الملك إلى القياصره ملوك الروم؛ فملك منهم عدده ملوك إلى أن ملك أوغسطس قيصر بن مويوخس، فاستولى على الدنيا، و قهر الملوك، و قصد مصر ليستولى عليها، فلما بلغ حلب و كان أمره قد عظم، قال: إنَّ بطليموس الأريب لم يرض أن ينزل منزلا لغيره. فسار إلى موضع مدينه قنسرين فأمر القواد أن يأمروا من قبلهم بتحويط منازلهم، و أخذ كل واحد ببناء ما حوّطه، فبنى قنسرين و سماها «مدينه العسكر»<sup>(٣)</sup>. و نقل الأسواق من حلب إليها، و لم يبق بحلب إلا من لا

١- كذا، و بطليموس أيفانيس هو الرابع ٢٠٣- ١٨٠ ق. م] فى أيامه فقدت مصر امبراطوريتها. الموسوعه العربيه الميسره.

٢- هذا بطليموس الرابع- المحب لأبيه، و سلفت الاشاره إليه.

٣- تبعد بقايا قنسرين عن حلب ٧ كم و يضم الموقع تلافيه بقايا مدينه مسوره، هذا و كان يطلق على المنطقه ما بين العاصى و الفرات اسم خالدين Chalcidene و كانت قنسرين Chalcis حاضره هذه المنطقه .. ١٨٦٦A classical Dictionary ,London



حاجه للعسكر به. و كانت هذه أعظم من فعل انطياخوس. و قيل: إنه أمر أن ينفق على القناه إليها فأنفق نائبه مالا على القناه، و أجرى الماء فيها من عين المباركه، و ساقها إلى القناطر إلى قنسرين؛ و بنى بها ثلاث برك على شكل المثلث، و فايضها ينحدر إلى الأرضين التي تحتها.

و صار الملك بعده إلى جماعه من القياصره ملوك الروم. و صارت أنطاكيه دار الملك، و بها مقام ملوك الروم؛ و كانوا يدعونها مدينه الله، و مدينه الملك، و أم المدن، لأنها أول بلد ظهر فيه دين النصرانيه(١). و معظم سور مدينه حلب من بناء الروم.

و ملك منهم ملك يقال له: فوقاس(٢) فسفك الدماء، و تتبع حاشيه كسرى، فقتلهم؛ فتوجه كسرى أنو شروان إلى الشام فافتتح حلب، و أنطاكيه، و منبج، و رمّ ما استهدم من سور مدينه حلب بالقرميد الكبار، و هو ظاهر في سور المدينه الكبير، فيما بين بابي اليهود و الجنان. و جدّد كسرى بناء منبج و سماها منبه؛ و هو بالفارسيه: أنا اجود، فعزّبت فقيل منبج.

و استحسن أنطاكيه فلما عاد إلى العراق بنى مدينه على صورتها، و سماها ريد خسره، و هي التي تسمى روميه، و أدخل إليها سبي أنطاكيه، فقيل إنهم

١- في هذه العبارة دقه كبيره، فبعد ما نجح بولس الرسول (شاول) في مزج تعاليم السيد المسيح بالغنوصيه، بات اسم العقيدته الجديده النصرانيه، و على هذا قال بولس لأتباعه في أنطاكيه إثر نجاحه: أنتم آخر الجليليين و أول النصاري. انظر الموسوعه العربيه الميسره.

٢- وصل فوقاس إلى عرش الامبراطوريه البيزنطيه سنه ٦٠٢ م، إثر مقتل الامبراطور موريس، و قد عزل سنه ٦١٠ م من قبل هرقل الذي قدم من قرطاج و نصب نفسه امبراطورا.

لم ينكروا من منازلهم شيئا فانطلقوا إليها إلا رجل اسكاف، كان على باب داره بأنطاكية شجرة فرصاد(١)، فلم يرها على بابه ذلك؛ فتحير ساعه؛ ثم دخل الدار، فوجدها مثل داره.

ولما عاد كسرى عن الشام، قام هرقل بن فوق بن مروقس و جمع بطارقه الروم، و أولى المراتب؛ و ذكر لهم سوء آثار فوقاس ملك الروم؛ و غلبه الفرس على ملكهم بسوء تدبيره، و إقدامه على الدماء؛ و دعاهم إلى قتله فقتلوه؛ و وقع اختيارهم على هرقل فملكوه.

و فى أول سنه من ملكه كانت هجره نبينا محمد- صلى الله عليه و سلم- من مكه إلى المدينه(٢)؛ و استولى على حلب، و على جميع البلاد، التى استولى عليها أنو شروان و كان جلّ مقامه بأنطاكية.

فلما افتتح المسلمون أجناد الشام(٣)، و كانت وقعه اليرموك، و قتل

١- الفرصاد شجر التوت، و توسع ابن العديم فى كتابه بغية الطلب فى هذا الباب انظر ج ١ ص ٦٥، ٩١-٩٢، ١٠٦-١٠٧.

٢- اعتلى هرقل العرش فى بيزنطه سنه ٦١٠ م، و يقابل سنه الهجره الأولى سنه ٦٢٢ م. انظر الدوله البيزنطيه فى عصر الامبراطور هرقل تأليف د. ليلى عبد الجواد اسماعيل - ط. القايره ١٩٨٥ ص ٦١-٧٤.

٣- أشرت من قبل إلى تقسيمات بلاد الشام اداريا قبل الفتح العربى الاسلامى، و بعد الفتح قام العرب باعاده النظر فى هذا التقسيم فى ضوء تبدل الجغرافيه السياسيه لبلاد الشام. فهذه البلاد باتت جزءا من دوله الخلافه التى مركزها الآن المدينه المنوره. و لم تعد تتبع روما الغربيه أو الشرقيه بل تعادىها. لذلك قسم العرب البلاد أولا إلى أربعه أجناد هى: جند دمشق، و جند حمص، و جند الأردن، و جند فلسطين، و فى العصر الأموى أيام يزيد بن معاويه قسم جند حمص إلى قسمين هما: جند حمص و جند قنسرين. - و جند دمشق، حاضرتة دمشق، و فيه من الكور: بعلبك قاعده البقاع، و حوران و مدينته بصرى، و البثيه و مدينتها أذرعاء، و الجولان و مدينته بانياس، و كوره الشراه و مدينتها أذرح و مناطق أخرى، على رأسها المناطق الساحليه لعرقه و طرابلس و جبيل و بيروت و صيدا. و كانت الغالبية العظمى لسكان جند دمشق من العرب من قبائل أصل يمانى. و جند حمص كان يضم وسط بلاد الشام مع الشمال. من أهم مدنه حماه و شيزر و أفاميا، و تدمر و معره النعمان، و حلب و البار، و قنسرين و أنطاكية، مع اللاذقيه و جبله و بانياس و أنطرطوس على الساحل، و كانت تنوخ و طىء تسكن هذه المناطق قبل الفتح و انضاف إليها بعد الفتح القبائل اليمانيه التى شاركت فى اليرموك و بقيه المعارك. جند الأردن و قصبتة مدينه طبريه على شاطئ البحر التى حملت الاسم نفسه. و من مدن هذا الجند فى الداخل بيسان و فحل و جرش، و فى الساحل صور و عكا. و جند فلسطين و قاعدته مدينه اللد و من مدن هذا الجند القدس و عمواس و نابلس و سبسطيه و بيت جبرين. و بات لكل جند خراجة و نواه اداره مستقله و وال و حاميه. فقد تمركزت غالبية القوات التابعه لجند فلسطين فى عمواس. و آثر كبار الصحابه سكنى هذه المدينه لوقوعها على مقربه من بيت المقدس. مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه: ١٠٢-١٠٥ كتاب البلدان لليعقوبى: ٢٢٥-٢٢٧. المسالك و الممالك لابن خردادبه: ٧٥-٧٦- الأعلاق الخطيره قسم دمشق: ٤١. معجم البلدان مواد: عرقه. صيدا، بيروت، طرابلس. الأنس الجليل: ٢٦٦.

المسلمون فيها معظم الروم، و أمير المسلمين عليهم أبو عبيده بن الجراح- رضى الله عنه- انتقل هرقل من أنطاكيه، و عبر الفرات إلى «الرها»؛ و جعل بقنسرين ميناس الملك،- و كان أكبر ملوك الروم بعد هرقل.

فسار أبو عبيده بعد فراغه من اليرموك إلى حمص ففتحها؛ ثم بعث خالد بن الوليد على مقدمته إلى قنسرين؛ فلما نزل بالحاضر زحف لهم الروم؛

و ثار أهل الحاضر بخالد بن الوليد، و عليهم «ميناس»- و هو رأس الرّوم و أعظمهم فيهم بعد هرقل - فالتقوا بالحاضر؛ فقتل «ميناس» و من معه مقتله لم يقتلوا مثلها. و مات الروم على دمه حتى لم يبق منهم أحد.

و أما أهل الحاضر فكانوا من تنوخ، منذ أول ماتنخوا بالشّام، و نزلوه و هم في بيوت الشعر؛ ثم ابتنوا المنازل؛ فأرسلوا إلى خالد: أنّهم عرب؛ و انهم لم يكن من رأيهم حرب؛ فقتل منهم، و ترك الباقين.

فدعاهم أبو عبيده بعد ذلك إلى الإسلام فأسلم بعضهم، و بقى البعض على النصرانية؛ فصالحهم على الجزية. و كان أكثر من أقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة(١).

و يقال: إنّ جماعه من أهل ذلك الحاضر أسلموا في خلافة المهديّ، فكتب على أيديهم بالخضرة: قنّسرين.

ثم إنّ خالدًا سار فنزل على قنّسرين، فقاتله أهل قنّسرين، ثم لجؤوا إلى حصنهم، فتحصنوا فيه، فقال: «إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله عليكم أو لأنزلكم إلينا» ثم إنهم نظروا في أمرهم، و ذكروا ما لقي أهل حمص فطلبوا منه الصلح؛ فصالحوه على صلح حمص، فأبى إلا على إخراج المدينة فأخربها.

---

١- لمزيد من التفاصيل - انظر البلدان للبلاذري - تحقيقى - ص ١٧٠ - ١٧٢. مغازى ابن حبيش - تحقيقى - ص ٢٢٥ - ٢٢٦. و مفيد أن نشير إلى أن نظام الحواضر في بلاد الشام قد اندثر الآن، اللهم إلا في مدينة حماه حيث ما يزال الجزء العلوى - الشمالى - منها يعرف باسم الحاضر، و تتركز علاقات هذا الجزء مع أهل البادية.

و كان صلح حمص على دينار و طعام على كل جريب(١) أيسروا أو أعسروا. و غلب المسلمون على جميع أرضها و قراها؛ و ذلك فى سنة ست عشره للهجره.

## فتح حلب

### فتح حلب(٢)

ثم إن خالدًا- رضى الله عنه- سار إلى حلب، فتحصن منه أهل حلب. و جاء أبو عبيده- رضى الله عنه- حتى نزل عليهم؛ فطلبوا إلى المسلمين الصلح و الأمان، فقبل منهم أبو عبيده و صالحهم، و كتب لهم أماناً(٣).

و دخل المسلمون حلب من «باب أنطاكيه»(٤) و حَقَّوا حولهم بالتراس داخل الباب؛ فبنى ذلك المكان مسجداً، و هو المسجد المعروف بالغضائرى، داخل باب أنطاكيه، و يعرف الآن بمسجد شعيب(٥).

و لما تَوَجَّه أبو عبيده إلى حلب بلغه أن أهل قنسرين قد نقضوا فرد

١- الجريب: مكيال قدر أربعة أقفزه، و قيل هو من الأرض ما يساوى ثلاثة آلاف و ستمائة ذراع، أو عشره آلاف ذراع. القاموس.

٢- نقل هذا العنوان من هامش الأصل.

٣- لمزيد من التفاصيل انظر بغية الطلب ج ١ ص ٥٦٩-٥٨٧.

٤- عدد ابن العديم فى بغيته أبواب حلب بعدما وصف أسوارها ج ١ ص ٥٥-٥٧.

٥- اسمه الآن جامع النوته فى محله العقبه، لم يبق من بنائه الأول إلا الجبهه الغربيه لرواق. الآثار الاسلاميه و التاريخيه فى حلب لمحمد أسعد طلس، ط. دمشق ١٩٥٦ ص ٦٣-٦٤.

إليهم السمط بن الأسود الكندي، فحصرهم ثم فتحها، فوجد فيها بقرا و غنما؛ فقسم بعضها فيمن حضر، و جعل الباقي في المغنم.

و كان حاضر قنسرين [لطيء] قديما نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزل الجبلين (١) من نزل منهم؛ فلما ورد أبو عبيده عليهم أسلم بعضهم، و صولح كثير منهم على الجزية؛ ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلا من شذ منهم.

و كان بقرب مدينه حلب حاضر حلب يجمع أصنافا من العرب من تنوخ و غيرهم؛ فصالحهم أبو عبيده على الجزية، ثم إنهم أسلموا بعد ذلك؛ و جرت بينهم و بين أهل حلب حرب أجلاهم فيها أهل حلب، فانتقلوا إلى قنسرين (٢).

و كانت قنسرين و حلب إذ ذاك مضافتين إلى حمص فأفردهما يزيد بن معاوية في أيامه. و قيل: أفردهما معاوية أبوه.

و لما بلغ عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ما فعل خالد في فتح قنسرين و حلب، قال: أمر خالد نفسه؛ يرحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني. يعني أنّ خالدًا كان أمير المسلمين من جهة أبي بكر -رضى الله عنه- على الشام؛ فلما ولي عمر عزله ووّلى أبا عبيده (٣).

١- الاشارة هنا إلى جبلى طىء: أجا و سلمى انظرهما في معجم البلدان لياقوت.

٢- انظر بغيه الطلب ج ١ ص ٥٦٢-٥٦٤.

٣- لمزيد من التفاصيل انظر بغيه الطلب ج ١ ص ٥٧٣-٥٨٢.

ثم ولاه عمر- رضى الله عنه- على قنسرين فأدرب خالد و عياض بن غنم أول مدربه كانت فى الإسلام، سنة ست عشره (١).  
و رجع خالد، فأتته الاماره من عمر- رضى الله عنه- على قنسرين، فأقام خالد أميرا، تحت يد أبى عبيده عليها، إلى أن أغزى  
هرقل أهل مصر فى البحر؛ و خرج على أبى عبيده فى عساكر الروم، و أبو عبيده بحمص بعد رجوعه من فتح حلب.  
فاستمد أبو عبيده خالدا فأمدّه بمن معه؛ و لم يخلف أحدا، فكفر أهل قنسرين بعده؛ و بايعوا هرقل و كان أكفر من هناك تنوخ.  
و اشتور المسلمون فأجمعوا على الخندقه و الكتاب إلى عمر- رضى الله عنه- بذلك. و أشار خالد بالمناجزه فخالقوه، و خندقوا.  
و كتبوا إلى عمر- رضى الله عنه- و استصرخوه.  
و جاء الرّوم بمددهم؛ فنزلوا على المسلمين؛ و حصروهم. و بلغت أمداد الجزيره ثلاثين ألفا، سوى أمداد قنسرين، من تنوخ و  
غيرهم؛ فقالوا من المسلمين كل منال.  
و كتب عمر- رضى الله عنه- إلى سعد بن أبى وقاص يخبره بذلك؛ و يأمره أن يبث المسلمين فى الجزيره، ليشغلهم عن أهل  
حمص. و أمده عمر-

---

١- روى ابن العديم فى بغيته ج ١ ص ٥٦٩-٥٧٢. أن أول من أدرب إلى الأراضى البيزنطيه كل من ميسره بن مسروق العبسى و  
الاشتر النخعى.

رضى الله عنه- بالقعقاع بن عمرو، فتوغلوا فى الجزيره؛ فبلغ الروم؛ فتقوضوا عن حمص إلى مدائنهم.

و ندم أهل قنسرين و راسلوا خالدا، فأرسل إليهم: «لو أن الامر إلى ما باليت بكم، كثرتم أم قلتتم؛ لكنى فى سلطان غيرى؛ فإن كنتم صادقين، فانفشوا كما نفش أهل الجزيره». فساموا سائر تنوخ ذلك، فأجابوا؛ و أرسلوا إلى خالد: «إن ذلك إليك، فإن شئت فعلنا و إن شئت أن تخرج علينا فنهزم بالروم». فقال: «بل أقيموا؛ فإذا خرجنا، فانهموا بهم».

فلما علم أبو عبيده و المسلمون بذلك قالوا: «اخرج بنا!» و خالد ساكت، فقال أبو عبيده: «مالك يا خالد، لا تتكلم» فقال: «قد عرفت الذى عليه رأى، فلم تسمع من كلامى». قال: «فتكلم فإنى أسمع منك، و أطيع». فأشار بلقائهم.

فخرج المسلمون و التقوهم، فانهمز أهل قنسرين، و الروم معهم فاحتوى المسلمون على الروم، فلم يفلت منهم أحد(١).

و ما زال خالد على إماره قنسرين حتى أدرب خالد و عياض، سنه سبع عشره، بعد رجوعهما من الجايه(٢)، مرجع عمر إلى المدينه، فأصابا أموالا عظيمه.

١- لمزيد من التفاصيل انظر بغيه الطلب ج ١ ص ٥٧٦-٥٧٨.

٢- يقع تل الجايه على مقربه من بلده نوى فى حوران- سوريه.



و قفل خالد سالما، غانما، و بلغ الناس ما أصابوا تلك الصائفة؛ و قسم خالد فيها ما أصاب لنفسه؛ فانتجعه رجال من أهل الآفاق، و كان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالدا بقنسرين، فأجازه بعشره آلاف درهم.

و كان عمر لا يخفى عليه شىء فى عمله؛ فكتب إليه من العراق بخروج من خرج منها، و من الشام بجائزه من أجزى فيها. فدعا البريد، و كتب معه إلى أبى عبيده: أن يقيم خالدا، و يعقله بعمامته، و ينزع عنه قنسوته. حتى يعلمكم من أين أجاز الأشعث؟ أمن ماله؟ أم من إصابه أصابها؟ فان زعم أنها من إصابه أصابها فقد أقرّ بخيانته؛ و إن زعم أنها من ماله، فقد أسرف.

و اعزله على كل حال، و اضمم إليك عمله.

فكتب أبو عبيده إلى خالد فقدم عليه؛ ثم جمع الناس؛ و جلس لهم على المنبر، فقام البريد فقال: «يا خالد، أمن مالك أجزت بعشره آلاف، أم من إصابه؟ فلم يتكلم حتى أكثر عليه، و أبو عبيده ساكت لا يقول شيئا.

فقام بلال إليه فقال: «إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا و كذا». ثم تناول عمامته، فنقضها، لا يمنعه سمعا و طاعه. و وضع قنسوته، ثم أقامه فعقله بعمامته، ثم قال: «ما تقول أمن مالك أم من إصابه؟ قال: «لا بل من مالى» فأطلقه، و أعاد قنسوته، ثم عممه بيده. ثم قال: «نسمع و نطيع لولائنا، و نفخم و نحترم موالينا».

و أقام خالد متحيرا، لا يدري أمعزول أم غير معزول. و جعل أبو عبيده يكرمه و يزيده تفخيما و لا يخبره؛ حتى إذا طال على عمر أن يقدم ظن الذى قد كان. فكتب إليه بالوصول.

فأتى خالد أبا عبيده فقال: «رحمك الله ما أردت إلى ما صنعت؟ كتمتني سرًا كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم». فقال أبو عبيده: «إني والله ما كنت لأروعك ما وجدت من ذلك بدًا؛ وقد علمت أن ذلك يروعك».

قال: فرجع خالد إلى قنسرين، فخطب أهل عمله، وودعهم. وقال خالد: «إنّ عمر ولائني الشام حتّى إذا ألقى بوانيه و صار بثّيه (١) و عسلا عزلني، و استعمل غيري».

و تحمّل و أقبل إلى حمص فخطبهم، و ودعهم. و سار إلى المدينه حتى قدم على عمر فشكاه؛ و قال: «لقد شكوتك إلى المسلمين و بالله إنك في أمرى غير مجمل يا عمر». فقال عمر: «من أين هذا الثراء؟ فقال: «من الأنفال و السّهمان». فقال: «ما زاد على الستين ألفا فلك». فشاطره على ما في يده و قوّم عروضه، فخرجت عليه عشرون ألفا؛ فأدخلها بيت المال، ثم قال: «يا خالد! و الله إنك لعلّى الكريم، و إنك إلىّ الحبيب؛ و لن تعاتبني بعد اليوم على شىء». ثم إنّه عوّضه بعد ذلك عما أخذه منه (٢).

و استعمل أبو عبيده على قنسرين حبيب بن مسلمه بن مالك.

١- بهامش الأصل: البثيه: الحنطه التى تنبت فى البثيه و هى السهل. و جاء فى النهايه لابن الأثير: فى حديث خالد: فلما ألقى الشام بوانيه عزلني و استعمل غيري؛ أى خيره و ما فيه من السعه و النعمه، و البوانى فى الأصل: أضلاع الصدر، و قيل الأكتاف و القوائم، الواحده بانيه.

٢- لخالد بن الوليد ترجمه و افيه فى كتاب بغيه الطلب لابن العديم، منها استخلص ما أورده هنا من معلومات ص ٣١٢٠ - ٣١٧٣.

و أما هرقل فانه تأخر من الرها إلى سميساط؛ و فصل عنها إلى القسطنطينيه؛ فلما فصل علا على شرف؛ و التفت؛ و نظر نحو سوريه، و قال: «عليك السلام يا سوريه سلام لا اجتماع بعده؛ و لا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا، حتى يولد المولود المشئوم؛ و يا ليت لا يولد، ما أحلى فعله و أمر عاقبته على الروم.

و طعن (١) أبو عبيده - رضى الله عنه - سنة ثمانى عشره؛ فاستخلف على عمله عياض بن غنم، و هو ابن عمه و خاله؛ و كان جوادا مشهورا بالجدود، فقال عمر: «إني لم أكن مغيرا أمرا قضاه أبو عبيده».

و مات عياض سنة عشرين، فأمر عمر - رضى الله عنه - على حمص و قنسرين سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى و مات سنة عشرين. فأمر عمر مكانه عمير بن سعد بن عبيد الأنصارى على حمص و قنسرين.

و مات عمر - رضى الله عنه - مقتولا فى ذى الحجه سنة ثلاث و عشرين؛ و عمير بن سعد على حمص و قنسرين؛ و معاويه على دمشق و السواحل و أنطاكيه. فمرض عمير فى إماره عثمان مرضا طال به، فاستعفى عثمان؛ و استأذنه فى الرجوع إلى أهله، فأذن له.

---

١- حدث فى سنة ١٨ ه طاعون عرف باسم طاعون عمواس، و عمواس بلسه قرب القدس، سكن فيها عدد كبير من الصحابه، و المسلمين و قيل كان عدد الذين ماتوا من المسلمين يتجاوز الخمسه و العشرين ألفا من أبرزهم: أبو عبيده عامر بن الجراح، و شرحبيل بن حسنه، و معاذ بن جبل. طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٨٧. الأنس الجليل ص ٣٦٦.

و ضمّ حمص و قنسرين إلى معاوية سنة ست و عشرين؛ فاجتمع ولاية الشام جميعه على معاوية لستين من خلافه عثمان؛ فولى معاوية حبيب بن مسلمه بن مالك الفهري على قنسرين، و كان يسمى حبيب الروم لكثرة غزوه لهم.

و مات عثمان -رضى الله عنه- مقتولا في ذى الحجه سنة خمس و ثلاثين، و الشام مع معاوية؛ و حبيب على قنسرين، من تحت يده.

فجرى بين علي -عليه السلام- و بين معاوية اختلاف إلى أن سار كلّ منهما إلى صاحبه؛ و التقيا بصفّين (١)؛ و ذلك بعد سنة و شهر من خلافه عليّ، في سنة سبع و ثلاثين.

و كان عليّ في تسعين ألفا و معاوية في مائه ألف و عشرين ألفا (٢)، و قتل بها من أصحاب عليّ خمسة و عشرون ألفا، و من أصحاب معاوية خمسة و أربعون ألفا. و كان مقامهما بصفّين مائه يوم و عشره أيام. و كانت الوقائع تسعين وقعه؛ ثم اتفقا على التحكيم؛ و التقى الحكمان أبو موسى و عمرو بن العاص بأذرح (٣) في شهر رمضان سنة ثمان و ثلاثين.

١- المرجح أن موقع صفّين هو موقع أبي هريره، القريب من الرقه حاليا.

٢- أخبار صفّين مجموعه بشكل ملحمى مفصل في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم المنقري، و في الفتوح لابن الأعمش الكوفى و غيره من المصادر المبكره، و استخلص ابن العديم جملة من الروايات المتنوعه أودعها في الجزء الأول من بغية الطلب ص ٢٧٩-٣٢٠.

٣- أذرح معروفه الآن بالمملكه الأردنيه.

و مات عليّ - كرم الله وجهه - مقتولا - بالكوفة، في سنة أربعين، و معاويه متغلب على الشام جميعه، فصالح الحسن بن عليّ - عليهما السلام - و بويح بالخلافه، في ربيع الأول سنة إحدى و أربعين؛ فمصرّ معاويه قنسرين، و أفردھا عن حمص، و قيل إنّما فعل ذلك ابنه يزيد. و صار الذكر في ولايه قنسرين، و وظّف معاويه الخراج على قنسرين أربعمائت ألف و خمسين ألف دينار، و حلب للخلفاء من بنى أميه لمقامهم بالشام، و كون الولاہ في أيامهم بمنزله الشرط، لا - يستقلون بالأمر و الحروب؛ و ولاہ الصوائف ترد كل عام مع الجيوش الاسلاميه إلى دابق(١).

و أقام جماعه منهم بنواحي حلب، فإن سليمان بن عبد الملك رابط بدابق إلى أن مات. و أقام [عمر(٢) بن عبد العزيز بخناصره(٣) إلى أن مات].

١- دابق الآن قريه في هضبه حلب تتبع ناحيه صوران، منطقه أعزاز، محافظه حلب، فيها تل أثرى في شمال القريه، تنتشر عليه الكسر الفخاريه، أقيم عليه ضريح الخليفه الأموي سليمان بن عبد الملك، و قربها جرت المعركه الفاصله بين السلطان المملوكي قانصوه الغوري و السلطان العثماني سليم الأول. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.

٢- فقد من الأصل - كما هو مرجح - ورقه جرى استدراك ما رجح أنها حوته، اعتمادا على ما جاء في مصادر التاريخ الاسلامي العامه مع كتاب الأعلام الخطيره لابن شداد، و الجزء الأول من اعلام النبلاء للطباخ.

٣- هي الآن خناصر، بلده في الأطراف الجنوبيه لهضبه حلب، مركز لناحيه خناصر، تتبع منطقه السفيره، محافظه حلب، تبعد عن السفيره ٤٥ كم، و هي قائمه عند نهايه السطح الجنوبي لجبل الأحص، فيها آثار ظاهر منها السور و القلعه. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.

[و لم يزل حبيب بن مسلمة مع معاوية في حروبه، و قد وجهه إلى أرمينية و اليا، فمات بها سنة اثنتين و أربعين. و استعمل معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على غزو الروم؛ و لشده بأسه خافه معاوية، و خشى منه؛ و أمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله. و ضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش؛ و أن يوليه خراج حمص. فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن أثال شربه مسمومه مع بعض مماليكه فشربها، فمات بحمص سنة ست و أربعين.

و قاد مالك بن عبد الله الخثعمي الصوائف أربعين سنة. و سير معاوية جيشا كثيفا إلى بلاد الروم، و جعل عليهم سفيان بن عوف و أمر يزيد ابنه بالغزاه معهم، فتناقل، و اعتل، فأمسك عنه أبوه. فأصاب الناس في غزاتهم جوع و مرض شديد، و ذلك في سنة اثنتين و خمسين.

و شتا بأرض الروم بعده عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي و غزا المسلمون الصائفه في سنة أربع و خمسين كذلك، و فتحوا قرب القسطنطينيه.

فلما مات معاوية سنة ستين، و ولي ابنه يزيد أمرهم بالعود منها فعادوا.

و مات يزيد بن معاوية بحوارين (١) من أرض الشام في سنة أربع و ستين. و بويع بعده معاوية ابنه بالخلافه في الشام و لكنه لم يمكث إلا أربعين يوما حتى خلع نفسه، ثم هلك.

---

١- حوارين قرية في هضبه حمص الجنوبيه الشرقيه، تتبع ناحيه مهين، منطقه مركز المحافظه- محافظه حمص، تتصل بحمص بطريق مزفته هي طريق حمص القريتين، فيها آثار من العصور التدمريه، و البيزنطيه و الاسلاميه، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.

و بويع بعده مروان بن الحكم، و ذلك فى سنه أربع و ستين.

و تحارب مروان و الضحّاك بمرج راهط (١) عشرين ليله، و اقتتلوا قتالا شديدا، فقتل الضحّاك، قتله دحيه بن عبد الله، و قتل معه ثمانون رجلا من أشرف أهل الشام. و كانت الوقعه فى المحرم سنه خمس و ستين.

و لما بلغت الهزيمه زفر بن الحارث الكلابى بقنسرين هرب منها فلحق بقرقيسيا (٢). و استوثق الشام لمروان و استعمل عماله عليها. و لما مات مروان سنه خمس و ستين قام ابنه عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه.

و أقام عبد الملك بدمشق بعد رجوعه من قنسرين ما شاء الله أن يقيم، ثم سار يريد قرقيسيا، و بها زفر بن الحارث الكلابى، ثم قفل إلى دمشق فدبر لعمر بن سعيد فقتله. و استعمل عبد الملك أخاه محمدا على الجزيره و أرمينيه فغزا منها، و أثخن العدو، و ذلك فى سنه ثلاث و سبعين.

و أعاد الكره فى سنه خمس و سبعين حين خرجت الروم من قبل مرعش. و بعد سنتين غزا الصائفه الوليد بن عبد الملك، و ظل على الولايه إلى أن مات عبد الملك فى شوال سنه ست و ثمانين.

١- كان الضحّاك بن قيس الفهرى قد بايع عبد الله بن الزبير، و تزعم القيسيه فى الشام، و بالمقابل قامت القبائل اليمانيه بزعامه حسان بن بحدل الكلبى بعقد مؤتمر الجابيه، حيث بويع فيه مروان بن الحكم، و اثر ذلك كانت معركة مرج راهط، شرقى بلده جوبر، خارج دمشق، و فى هذه المعركة هزم الضحّاك بن قيس، و ترسخت بيعه مروان.

٢- هى البصيره حاليا (البوسرايا) حيث يلتقى الخابور بالفرات فى سوريه.

و ولي ابنه الوليد بن عبد الملك و محمد بن مروان على ولايته فما زال كذلك إلى أن عزله الوليد بن عبد الملك في سنة تسعين. و ولي مكانه أخاه مسلمه بن عبد الملك.

فدخل مسلمه حرّان و كان محمد بن مروان يتعمم للخطبه؛ فأتاه آت فقال: هذا مسلمه على المنبر يخطب! فقال محمد: هكذا تكون الساعه بغته! و ارتعدت يده، فسقطت المرآه من يده؛ فقام ابنه إلى السيف فقال: مه يا بني؛ ولاني أخي و ولاه أخوه.

و كان أكثر مقام مسلمه بالناعوره، و بنى فيها قصرًا بالحجر الأسود الصلد، و حصننا بقي منه برج إلى زماننا هذا<sup>(١)</sup>.

و كان عبد الملك بن مروان يقول للوليد: كأنتى - لو قد متّ - بك قد عزلت أخى و وليت أخاك.

و مات الوليد بن عبد الملك في سنة ست و تسعين.

و ولي سليمان بن عبد الملك فسير أخاه مسلمه غازيا إلى القسطنطينيه و استخلف مسلمه على عمله خليفه؛ و رابط فيها سليمان بمرج دابق إلى أن مات به سنة تسع و تسعين.

و ولي عمر بن عبد العزيز بن مروان، فكان أكثر مقامه بخناصره الأحصّ. و ولي من قبله على قنسرين هلال بن عبد الأعلى. ثم ولي أيضا عليها الوليد بن هشام المعيطى على الجند، و الفرات بن مسلم على خراجها.

---

١- لمزيد من المعلومات حول الناعوره انظر بغيه الطلب ج ١ ص ٦٤.



و توفي عمر بدير سمعان(١) من أرض معره النعمان، يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى و مائه.

و ولي يزيد بن عبد الملك، و الوليد على قنسرين؛ و كان مرثيا سأل عمر أن ينقص رزقه تقربا إليه؛ فعلم أنه إنما أراد أن يتزين عنده بذلك؛ فحطّ رزقه. و كتب إلى يزيد، و هو ولي عهده: «إنّ الوليد بن هشام كتب إليّ كتابا أكثر ظني أنه تزّين بما ليس هو عليه، فأنا أقسم عليك إن حدث و أفضى هذا الأمر إليك فسألك أن تردّ رزقه، و ذكر أنّي نقصته فلا يظفر منك بهذا».

فلما استخلف يزيد كتب الوليد إليه: «إنّ عمر نقصني و ظلمني» فغضب يزيد، و عزله، و أغرمه كل رزق جرى عليه في ولايه عمر و يزيد كلها؛ فلم يل له عملا حتى هلك.

و مات يزيد بن عبد الملك بالبقاء(٢) في شعبان سنة خمس و مائه [فاستخلف هشام بن عبد الملك](٣).

و ولي على قنسرين و عملها خال أخيه سليمان و هو الوليد بن القعقاع بن خلود العبسيّ و قيل إنّهُ ولى عبد الملك بن القعقاع على قنسرين؛ و إليهم ينسب حيار بنى عبس(٤)، و إلى أبيهم ينسب القعقاعيه قريه من بلد الفاي(٥).

١- على مقربة من معره النعمان أعيد ترميمه حديثا.

٢- كانت البلقاء كوره من أعمال دمشق، قصبتها عمان. معجم البلدان.

٣- زيد ما بين الحاصرتين لاستقامه السياق.

٤- هي أشهر باسم حيار بنى القعقاع، و كانت أيضا تعرف باسم كوره قنسرين الثانيه. بغية الطلب ج ١ ص ١٢٥.

٥- الفايه كوره بين منبج و حلب كبيره. معجم البلدان.

و توفي هشام سنه خمس و عشرين و مائه.

و ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك، و كانت بينه و بين بنى القعقاع وحشه، فهرب الوليد بن القعقاع و غيره من بنى أبيه من الوليد، فعادوا بقبر يزيد بن عبد الملك. فولى الوليد على قنسرين يزيد بن عمر بن هبيرة؛ و بعث إلى الوليد بن القعقاع، فأخذه من جوار قبر أبيه؛ و دفعه إلى يزيد بن عمر بن هبيرة، و هو على قنسرين، فعذبه و أهله. فمات الوليد بن القعقاع فى العذاب.

و خرج يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد، فقتله فى «البحراء»<sup>(١)</sup> فى جمادى الآخرة سنه ست و عشرين و مائه. و وثب على عامله بدمشق فأخذه، و سیر أخاه مسرور بن الوليد، و ولاه قنسرين؛ و قيل بل ولى قنسرين أخوه بشر بن الوليد. و بويع يزيد، و مات فى ذى الحجه من هذه السنه.

و بويع ابراهيم بن الوليد؛ و خلع فى شهر ربيع الأول، سنه سبع و عشرين و مائه.

فولى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، و كان بحرّان<sup>(٢)</sup>، فسار منها

١- البخراء: مدينه أثريه فى البادية، ناحيه مركز و منطقته تدمر. محافظه حمص تقع إلى الجنوب من مدينه تدمر، و على بعد ٢٥ كم، اشتق اسمها من البحر، و هى الرائحة النتنة الصادره عن الينابيع الكبريتيه، أثارها تدل على أنها كانت مدينه محصنه أبعادها ٢٠٠\* ١٦٠ م، يحيط بها سور من الحجاره المنحوتة بعرض ٣ م، مدعم بأبراج نصف دائريه، يتجه بابها نحو الجنوب الشرقى، و يحيط به برجان مستديران و فى وسطها باحه ذات أعمده، تيجانها كورنثيه، بناها التدمريون، و اتخذوها محطه رئيسه للقوافل. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٢- حران الآن قريه مهمله داخل الحدود التركيه مع محافظه الرقه السوريه.

فى سنة سبع و عشرين و مائه. و نزل بحلب؛ و قبض على مسرور بن الوليد الوالى بحلب، و على أخيه بشر، بعد أن لقيهما فهزمهما و قتلهما بحلب. و كان معهما ابراهيم بن عبد الحميد بن عبد الرحمن، فقتله أيضا.

و استتب أمر مروان. و خرج على مروان سليمان بن هشام بن عبد الملك فالتقاها مروان بن محمد بخساف (١) فاستباح عسكره فى سنة ثمان و عشرين و مائه.

و كان الحكم و عثمان ابنا الوليد بن يزيد حبسا بقلعه قنسرين؛ و كان يزيد بن الوليد حبسهما؛ فنهض عبد العزيز بن الحجاج و يزيد بن خالد القسرى؛ فقتلاهما و قتلا معهما يوسف بن عمر الثقفى بقنسرين؛ و أخذوا بعد ذلك فقتلها مروان و صلبها.

---

١- بريه خساف: المنطقة القائمة بين بالس - مسكنه حاليا- و حلب، و بين بالس و بين انقضاء بريه خساف خمسة عشر ميلا. بغيه الطلب ج ١ ص ٦٣-٦٤.



**[ابتداء دوله العباسيين]**

و بويح أبو العباس السفاح<sup>(١)</sup>، فى شهر ربيع الآخر من سنه اثنتين و ثلاثين و مائه، بالكوفه، فسير عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس، فى جمع عظيم، للقاء مروان بن محمد؛ و كان مروان فى جيوش كثيفه، فالتقىا بالزّاب<sup>(٢)</sup> من أرض الموصل، فى جمادى الآخره من سنه اثنتين و ثلاثين و مائه.

فهزم مروان و استولى على عسكره؛ و سار مروان منهزما حتى عبر الفرات من جسر منبج<sup>(٣)</sup> فأحرقه.

فلما مرّ على قنّسرين و ثبت به طى و تنوخ، و اقتطعوا مؤخره عسكره و نهبوه، و قد كان تعصّب عليهم؛ و جفاهم أيام دولته، و قتل منهم جماعه.

و تبعه عبد الله بن على؛ و سار خلفه، حتى أتى منبج، فنزلها. و بعث إليه أهل حلب بالبيعه مع أبى أميّه التغلبى.

١- بهامش الأصل بخط مخالف: ابتداء دوله العباسيين سنه ١٣٢. و منه استعير عنوان هذه الصفحه.

٢- الزاب الأعلى نهر بين الموصل و إربل. معجم البلدان.

٣- جسر منبج: مدينه صغيره لها زرع سقى و مباحس، و ماؤها من الفرات، حصينه، و زروعها سقى، نزهه ذات مياه و أشجار، و هى قريبه من الفرات. بغيه الطلب ج ١ ص ١٠٨.

و قدم عليه أخوه عبد الصّمد بن عليّ؛ فقلّده حلب و قنسرين. و سار عبد الله و عبد الصّمد أخوه معه إليها، فبايعه أبو الورد مجزأه بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي- و كان من أصحاب مروان- و دخل فيما دخل فيه الناس من الطاعة.

و سار عبد الله إلى دمشق، ثم بلغ خلفه إلى نهر أبي فطرس(١)، و أتبعه بأخيه صالح، حتّى بلغ إلى الديار المصريه، خلف مروان بن محمد، فأدركه ببوصير(٢) فقتله؛ ثم عاد إلى دمشق بعده.

و ذكر ابن الكلبي: و قدم بالس قائد من قوّد عبد الله بن عليّ، في مائه و خمسين فارساً؛ و تقدّم إلى الناعوره فعبث بولد مسلمه بن عبد الملك و نسائهم- و كانوا مجاورين أبا الورد بحصن مسلمه بالناعوره و ببالس- فشكا بعضهم ذلك إلى أبي الورد الكلابي، فخرج من مزرعته خساف في عده من أهل بيته؛ و خالف و بيّض؛ و جاء إلى الناعوره، و القائد المذكور نازل بحصن مسلمه بها؛ فقاتله حتى قتله و من معه؛ و أظهر الخلع و التبييض(٣)؛ و دعا أهل حلب و قنسرين إلى ذلك فأجابوه.

فبلغ ذلك عبد الله بن عليّ، و هو بدمشق؛ فوجه أخاه عبد الصّمد بن عليّ، في زهاء عشره آلاف فارس، و معه ذؤيب بن الأشعث على حرسه،

١- خارج مدينه الرمله في فلسطين.

٢- بوصير قوريدس من كوره الأشمونين في مصر. معجم البلدان.

٣- كان شعار بني أميه البياض، و معروف أن العباسيين اتخذوا السواد شعارا.

والمخارق بن عفان على شرطه؛ فسار أبو الورد إليه، وجعل مقدّم جيشه و صاحبه أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؛ و أبو الورد مدبر الجيش، و لقيهم فهزم عبد الصّمد و من معه.

فلما قدم عبد الصّيمد على أخيه عبد الله أقبل عبد الله بن عليّ بعسكره لقتال أبي محمد و أبي الورد، و معه حميد بن قحطبه، فالتقوا في سنه اثنتين و ثلاثين و مائه، في آخر يوم من السنه؛ و اقتتلوا بمرج الأجم (١)، و ثبت لهم عبد الله و حميد فهزموهم. و قتل أبو الورد (٢). و أمّن عبد الله بن عليّ أهل حلب و قنّسرين و سوّدوا و بايعوا. ثم انصرف راجعا إلى دمشق فأقام بها شهرا.

فبلغه أنّ العباس بن محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان السفيناني قد لبس الحمرة، و خالف، و أظهر المعصية بحلب؛ فارتحل نحوه حتى وصل إلى حمص، فبلغه أنّ أبا جعفر المنصور- و كان يومئذ يلي الجزيرة، و أرمينية، و أذربيجان- و جه مقاتل بن حكيم العكّي من الرّقه، في خيل عظيمه لقتال السفينانيّ؛ و أنّ العكّي قد نزل منبج، فسار عبد الله مسرعا حتى نزل مرج الأجم، فبلغه أنّ العكّي واقع السفينانيّ و هزمه، و استباح عسكره، و افتتح حلب عنوه، و جمع الغنائم، و سار بها إلى أبي جعفر و هو بحران.

١- في بغية الطلب ص ٣٩٢٧ «فاقتتلوا بمرج الأخرم من ناحيه قنسرين».

٢- لأبي محمد السفيناني- زياد بن عبد الله الأسوار ترجمه وافية في بغية الطلب ٣٩٢٧-٣٩٣٢، فيها تفاصيل ما أوجزه ابن العديم هنا.

فارتحل عبد الله إلى دابق، و شتا بها، ثم نزل سميساط (١)، و حصر فيها اسحاق بن مسلم العقيلي، حتى سلمها؛ و دخل في الطاعه.

ثم قدم أبان بن معاويه بن هشام بن عبد الملك، في أربعة آلاف من نخبه من كان مع اسحاق بن مسلم. فسير إليه حميد بن قحطبه، فهزم أبانا، و دخل سميساط، فسار إليها عبد الله، و نازلها حتى افتتحها عنوه.

و كتب إليه أبو العباس يأمره بالمسير إلى الناعوره، و أن يترك القتال؛ و يرفع السيف عن الناس، و ذلك في النصف من رمضان سنه ثلاث و ثلاثين و مائه.

و هرب أبو محمد و من معه من الكلبيه إلى تدمر ثم خرج إلى الحجاز، فظفر به و قتل (٢). و كتب إليه السفاح أن يغزو بلاد الروم، فأتى دابق، فعسكر بها، و جمع، و توجه إلى بلاد الروم.

فلما وصل دلوک (٣) يريد الإدراب، كتب إليه عامله بحلب يخبره بوفاه

١- سميساط: بلده على شاطئ الفرات الغربي في طرف بلاد الروم. معجم البلدان.

٢- قتل قرب أحد خارج المدينة المنوره. انظر ترجمته في بغية الطلب السالفه الذكر. و جاء بهامش الأصل بخط مخالف: و ذكر ابن الكلبي أن عبيد الله بن العباس بن يزيد من بني حجر بن وهب بن ربيعة بن معاويه بن الحارث بن ثور بن مرتع الكندي ولي قنسرين لأبي السفاح، و أنه ولي بعد ذلك أرمينيه لأبي جعفر و بها مات.

٣- عرفها ابن العديم، و أوضح أن الرشيد كان قد أفردا مع غيرها و جعلها من العواصم، و شغلت المدينة هذه دورا في الحروب الصليبيه حتى حررها نور الدين محمود بن زنكي، و إثر ذلك خربت المدينة و القلعه، و بقيت قريه مضافه إلى عين تاب. بغية الطلب ج ١ ص ٢٦١.



السفاح وبيعه المنصور؛ فرجع من دلوك، و أتى حرّان، و دعا إلى نفسه، و زعم أنّ السفاح جعله وليّ عهده.

و غلب على حلب، و قنّسرين، و ديار ربيعه و مضر، و سائر الشّام. و لم يبايع المنصور. و بايعه حميد بن قحطبه و قواده الذين كانوا معه. و وليّ على حلب زفر بن عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلاليّ أبا عبد الله، في سنه سبع و ثلاثين و مائه.

فسيّر المنصور أبا مسلم الخراسانيّ صاحب الدعوه لقتال عبد الله بن عليّ؛ فسيّر عبد الله حميد بن قحطبه، و كتب له كتابا إلى زفر بن عاصم إلى حلب، و فيه: «إذا ورد عليك حميد فاضرب عنقه»<sup>(١)</sup>. فعلم حميد بذلك؛ فهرب إلى أبي مسلم الخراسانيّ، خوفا من عبد الله.

ثم سار أبو مسلم إلى عبد الله بن عليّ، فالتقيا، و انهزم عبد الله و عبد الصمد أخوه معه؛ فسار أبو مسلم خلفه فوصل إلى الرقه؛ و أخذ منها أموال عبد الله، و تبعه إلى رصافه هشام<sup>(٢)</sup> فانهزم عبد الله إلى البصره، و تواری عند أخيه سليمان بن عليّ، فأخذ له أمانا من المنصور؛ و سيّره إليه، فحبسه إلى أن سقط عليه الحبس، فمات<sup>(٣)</sup>.

١- لحميد ترجمه جیده فی کتاب بغیہ الطلب ٢٩٧٣-٢٩٧٥ فیها تفاصيل ما أوجزه ابن العديم هنا.

٢- ماتزال بقايا رصافه هشام قائمه خارج مدينه الرصافه التي تبعد عن الرقه قرابه العشرين ميلا.

٣- وجدت في كتاب المقفى للمقریزی ترجمه وافية لعبد الله بن عليّ نشرت مع تراجم أخرى ملحقه بكتاب تاريخ الخلفاء للوثابي، بيروت ١٩٩٥.

و قبض أبو مسلم على عبد الصّمد بن عليّ، بالرّصافه، و أخذ أمواله، و سيّره إلى المنصور، فأمنه و أطلقه.

و ورد كتاب المنصور على أبي مسلم بولايه الشّام جميعه، و حلب، و قنّسرين، و أمره أن يقيم له في بلاده نواباً، ففعل أبو مسلم ذلك.

و سار إلى المنصور، فالتقاه في الطريق يقطين بن موسى، و قد بعثه المنصور إليه لاحصاء جميع ما وجدوا في عسكر عبد الله بن عليّ. فغضب أبو مسلم و قال: «أنكون أمناء في الدماء و خونه في الأموال؟» ثم أقبل و هو مجمع على خلاف المنصور(١). فاستوحش المنصور منه، و قتله في سنه تسع و ثلاثين و مائه.

و لما عاد أبو مسلم من الشّام ولي المنصور حلب و قنّسرين و حمص صالح بن عليّ بن عبد الله بن العباس سنه سبع و ثلاثين و مائه؛ فنزل حلب، و ابنتى بها خارج المدينه قصرا بقريه يقال لها بطياس(٢) بالقرب من النيرب؛

- 
- ١- أخبار أبي مسلم الخراساني منتشره في مختلف المصادر المبكره مثل أنساب الأشراف للبلاذري، و تاريخ الطبري، و غرر السير للمرعشي، و لأبي مسلم ترجمه متميزه في تاريخ دمشق لابن عساكر تحت اسم عبد الرحمن بن مسلم.
  - ٢- في بغية الطلب ج ١ ص ٥٢٨-٥٢٩: و ابنتى صالح بن علي بن عبد الله بن عباس « قصره المعروف ببطياس، و كان على الرابيه المشرفه على النيرب من جهه الغرب و الشمال، و كان عن يسار المتوجه من حلب إلى النيرب، و موضع اصطبله عن يمين المتوجه، و الطريق بينهما، و دثر القصر، و لم يبق منه إلا الآثار، و يجد الناس في موضعه شيئاً من الفسيفساء و كسور الرخام» و ما يزال موقع النيرب يحمل الاسم نفسه خارج حلب.

و آثاره باقيه إلى الآن. و معظم أولاده ولدوا ببطياس. و قد ذكرها البحتريّ و غيره في أشعارهم.

و أغزى الصائفة مع ابنه الفضل في سنه تسع و ثلاثين و مائه بأهل الشام، و هي أول صائفة غزيت في خلافة بني العباس. و كانت انقطعت الصوائف في أيام بني أميه قبل ذلك بسنين.

و ظهر في سنه إحدى و أربعين و مائه قوم يقال لهم الراونديه (١)، خرجوا بحلب و حرّان. و كانوا يقولون قولاً عظيماً. و زعموا أنهم بمنزله الملائكة.

و صعّدوا تلا بحلب، فيما قالوا؛ و لبسوا ثياباً من حرير؛ و طاروا منه فتكدوا (٢) و هلكوا. و دام صالح في ولايه حلب إلى أن مات في سنه اثنتين و خمسين و مائه.

و رأيت فلوساً عتيقه، فتتبع ما عليها مكتوب فإذا أحد الجانبين مكتوب عليه: «ضرب هذا الفلّس بمدينة حلب سنه ست و أربعين و مائه».

و على الجانب الآخر: «مما أمر به الأمير صالح بن عليّ أكرمه الله».

و لما مات صالح بن عليّ تولّى حلب و قنسرين بعده ولده الفضل بن صالح، و اختار له «العقبه» (٣) بحلب، فسكنها و أقام بحلب والياً مدّة. ثم ولي المنصور بعده موسى بن سليمان الخراساني. و مات المنصور سنه ثمان و خمسين،

١- قالوا بتأليه الخليفه المنصور، خرجوا في أيامه في بغداد و أبيدوا.

٢- أي لحق بهم الأذى. القاموس.

٣- عرفت قديماً باسم عقبه بنى المنذر، و سميت عقبه لارتفاعها عن المدينة. الآثار الاسلاميه و التاريخيه في حلب ص ٥٤-٥٥.

و موسى على قنسرين و حلب. و رأيت فلوسا عتيقه فقرأت عليها: «ضرب هذا الفلوس بقنسرين سنة سبع و خمسين و مائه». و على الجانب الآخر: «مما أمر به الأمير موسى مولى أمير المؤمنين».

و لما ولي المهدي خرج عبد السلام بن هاشم الخارجي بالجزيرة، و كثر أتباعه فلقبه جماعه من قواد المهدي، فهزمهم؛ فبعث المهدي إليه جنودا كثيرة، فهرب منهم إلى قنسرين، فلحقوه فقتلوه بها في سنة اثنتين و ستين و مائه؛ و كان مقدم الجيش شيبيا(١).

و عزم المهدي على الغزو فخرج حتى وافى حلب في سنة ثلاث و ستين و مائه، و التقاه العباس بن محمد إلى الجزيرة؛ و أقام له النزل في عمله، و اجتاز معه على حصن مسلمه بالناعوره، فقال له العباس: «يا أمير المؤمنين إن لمسلمه في أعناقنا منه». كان محمد بن علي مرّ به فأعطاه أربعة آلاف دينار، و قال له: «يابن عم، هذه ألفان لدينك و ألفان لمعونتك، فإذا نفذت فلا تحتشمننا». فقال المهدي: «أحضروا من ههنا من ولد مسلمه و مواليه»؛ فأمر لهم بعشرين ألف دينار و أمر أن تجرى عليهم الأرزاق.

ثم قال: «يا أبا الفضل كافينا مسلمه و قضينا حقه؟» قال العباس:

«نعم، وزدت».

و نزل المهدي بقصر بطياس ظاهر حلب. و ولي المهدي حين قدم

---

١- شيبب بن واج المروروذي، و تفاصيل ثوره عبد السلام بن هاشم اليشكري في سنة ستين و مائه موجوده في تاريخ خليفه بن خياط - ط. دمشق ١٩٦٨ ج ٢ ص ٧٠٠-٧٠٤.

قنسرين و حلب و الجزيره على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس حربا و خراجا و صلاه.

ثم إن المهدي عرض العسكر بحلب و أغزى ابنه هارون بلاد الروم و ستر محتسب حلب عبد الجبار فأحضر له جماعه من الزنادقه فقتلهم بحلب.

و ولي حلب و الشام جميعه ابنه هارون. و أمر كاتبه يحيى بن خالد أن يتولى ذلك كله بتدييره؛ و كانت توليته فى سنه ثلاث و ستين و مائه

و لما بويع الهادى أقر أخاه و يحيى على حالهما.

فلما أفضى الأمر إلى الرشيد ولى حلب و قنسرين عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله، فأقام بمنبج، و ابنتى بها قصرا لنفسه و بستانا إلى جانبه، و يعرف البستان يومنا هذا ببستان القصر، و كانت ولايته سنه خمس و سبعين؛ ثم صرفه لأمر عتب عليه فيه.

ثم ولاها الرشيد موسى بن عيسى سنه ست و سبعين و مائه. و مرّ الرشيد على عبد الملك بمنبج فأدخله منزله بها. فقال له الرشيد: «هذا منزلك». قال «هو لك ولى بك». قال: «فكيف هو؟». قال: «دون منازل أهلى و فوق منازل الناس». قال: «فكيف طيب منبج؟». قال: «عذبه الماء، عذبه الهواء، قليله الادواء». قال: «فكيف ليلها؟». قال: «سحر كله!».

و هاجت الفتنة بالشام بين الزاريه و اليمانيه، فولى الرشيد موسى بن يحيى بن خالد فى هذه السنه الشام جميعه، فأقام به حتى أصلح بينهم.

ثم ولاها الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سنه ثمان و سبعين؛

و توجه إليها سنة ثمانين، واستخلف عليها عيسى بن العكي.

ثم إن الرشيد ولي حلب و قنسرين اسماعيل بن صالح بن عليّ لما عزله عن مصر سنة اثنتين و ثمانين و مائه؛ و أقطعه ما كان له بحلب في سوقها و هي الحوانيت التي بين باب أنطاكية إلى رأس الدلبه (١) و عزله و ولاه دمشق.

ثم ولي الرشيد بعده عبد الملك بن صالح بن عليّ ثانية، فسعى به ابنه عبد الرحمن إلى الرشيد، و أوهمه أنه يطمع في الخلافة فاستشعر منه، و قبض عليه في سنة سبع و ثمانين و مائه.

و وليّ عليّ حلب و قنسرين ابنه القاسم بن هارون، و أغزاه الروم و وهبه لله تعالى في سنة سبع و ثمانين و مائه.

و رابط القاسم بدابق هذه السنة و التي بعدها. و قيل: إن الرشيد لما غضب على عبد الملك بن صالح ولي أخاه عبد الله بن صالح ثم عزله سنة ثمان و ثمانين و ولي القاسم بن هارون ابنه. و قيل: إن أحمد بن اسحاق بن اسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العباس ولي قنسرين للرشيد، و قد كان ولي له مصر، و عزله عنها سنة تسع و ثمانين؛ فلا أتتحقق ولايته في أي سنة كانت.

و قد ذكر بعضهم: أن عبد الله بن صالح توفي ببغداد في أيام المنصور.

و قال بعضهم: إنه توفي بسلمية في سنة ست و ثمانين. فعلى هذا يكون الذي ولاه الرشيد ابن ابنه عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح؛ و الله أعلم.

---

١- ترجم ابن العديم لاسماعيل بن صالح في بغية الطلب ص ١٦٤٨-١٦٥٥، و ذكر ما أقطعه الرشيد في حلب و زاد: «و قدرها قدر جليل جسيم».

ثم إنَّ الرشيد ولى حلب و قنسرين خزيمه بن خازم بن خزيمه، من قبل ابنه القاسم بن الرشيد، فى سنة ثلاث و تسعين و مائه. و لم يزل القاسم بن الرشيد فى ولايه حلب و قنسرين حتى مات أبوه الرشيد فى سنة ثلاث و تسعين و مائه فى جمادى الآخره فأقره أخوه الأمين عليها؛ و جعل معه قمامه بن أبى زيد؛ و ولى خزيمه بن خازم الجزيره.

ثم إن محمدا الأمين عزل أخاه القاسم بن الرشيد عن حلب و قنسرين و العواصم و سائر الأعمال التى ولاه أبوه سنة أربع و تسعين و مائه؛ و وليها خزيمه بن خازم فى هذه السنه.

ثم ولى الأمين حلب و قنسرين و الجزيره عبد الملك بن صالح بن على؛ فخرج إليها، و اجتمعت إليه العرب فى سنة ست و تسعين و مائه(١). و هذه الولاية الثالثه لعبد الملك. و كان الأمين قد أخرجه من حبس أبيه حين مات سنة ثلاث و تسعين و مائه فى ذى القعدة.

و استمر عبد الملك فى هذه الولاية إلى أن مات فى سنة ست و تسعين و مائه بالرقه؛ و دفن فى دار من دور الإمارة. و كان يرى للأمين ما فعله به. فلما خلع الأمين حلف عبد الملك إن مات الأمين لا يعطى المأمون طاعه؛ فمات قبل الأمين فبقيت فى نفس المأمون إلى أن خرج إلى الغزاه؛ و وجد قبر عبد

---

١- بهامش الأصل: و خرج أبو العميطر على بن عبد الله بن يزيد بن معاوية السفينانى ... بالخلافه فى ذى الحجه سنة ... و بايعه أهل قنسرين، و خرج إبراهيم بن اسحق بن قضاة الثويبى من بنى الفصيصة فى جماعه من أصحابه، ثم هرب أبو العميطر و استخفى». انظر بغيه الطلب ج ١ ص ٥٦٣-٥٦٥.

الملك في دار الإمارة فأرسل إلى ابن لعبد الملك: «حول أباك من داري» فنبشت عظامه وحوّل.

ثم ولي خزيمه بن خزيمه حلب و قنسرين في سنة سبع و تسعين و مائه.

و قيل إن الوليد بن طريف ولي حلب و قنسرين بعد عبد الملك بن صالح؛ و بعده و رقاء عبد عبد الملك ثم بعده يزيد بن مزيد، ثم استأمن إلى طاهر بن الحسين.

فلما قتل الأمين و بويح المأمون ولي حلب و الشام جميعه طاهر بن الحسين؛ و جعل إليه حرب نصر بن شيبث فتحصن بكيسوم (١) فقصد طاهر فلم يظفر به و لقيه، فكسر طاهر و عاد مفلولا؛ و ذلك في سنة ثمان و تسعين و مائه.

ثم أضاف إليه ولاية مصر و إفريقيه في سنة أربع و مائتين.

ثم ولاه خراسان سنة ست. و ولي ابنه عبد الله مصر و الشام جميعه؛ و أمره بمحاربه نصر بن شيبث في سنة ست و مائتين.

و توفي طاهر بخراسان سنة سبع و مائتين؛ فأضاف المأمون ولايته إلى ابنه عبد الله مع الشام. فسار عبد الله بن طاهر إلى الشام من الرقه و احتوى على الشام جميعه. و هدم سور معره النعمان. و هدم معظم الحصون الصغار مثل

١- كانت كيسوم مدينه كبيره قديمه، و ولايه واسعه عظيمه، و كان حصنها حصينا و بناؤها قويا ركيئا، و بينها و بين الحدث سبعة فراسخ. بغية الطلب ج ١ ص ٢٦٥.



حصن الكفر و حصن حناك(١) و غير ذلك. و نزل بكيسوم و بها نصر بن شبت فحصره إلى أن ظفر به، و خرج إليه بأمان. و خرب حصن كيسوم بعد وقائع كثيره جرت بينه و بين نصر بن شبت؛ و سار إلى مصر؛ و ذلك كله فى سنه تسع و مائتين.

و لما فتح مصر فى سنه إحدى عشره و مائتين كتب المأمون إليه:

أخى أنت و مولائى و من أشكر نعماه

فما أحببت من أمر فإنى الدهر أهواه

و ما تكره من شىء فانى لست أرضاه

لك الله على ذاك لك الله لك الله

و دامت ولايه عبد الله بن طاهر إلى سنه ثلاث عشره و مائتين؛ و وجهه المأمون إلى خراسان، و عزله عن الشام؛ و ولى ابنه العباس بن المأمون حلب و قنسرين و العواصم و الثغور؛ و أمر له بخمسائه ألف دينار فى سنه ثلاث عشره و مائتين.

ثم ولاها المأمون إسحاق بن ابراهيم بن مصعب بن زريق و عزل ابنه العباس فى سنه أربع عشره و مائتين. ثم إن المأمون عزل اسحاق بن ابراهيم فى هذه السنه و ولاه مصر، و أعاد ابنه العباس إليها ثانيه.

ثم ولى المأمون حلب و قنسرين ورقه الطريفى، و أظنه مع العباس

---

١- لعله أراد بالكفر، بلده كفر طاب، علما بأنه يوجد على مقربه من خربه حناك قريه اسمها كفر رومه، تبعد عنها ٣ كم. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

و كانت لورقه حركه أيام الفتنه.

فلما قدم المأمون حلب للغزاه و نزل بدابق، فى سنه خمس عشره و مائتين، لقيه عيسى بن على بن صالح الهاشمى فقال له: «يا أمير المؤمنين أيلينا أعداؤنا فى أيام الفتنه و فى أيامك؟» فقال: «لا و لا كرامه». فصرف ورقه.

و ولى عيسى بن على بن صالح نيابه عن ولده العباس فيما أرى، فوجد عنده من الكفايه و الضبط و حسن السيره ما أراد فقَدّمه و كبر عنده و أحبه.

و كان المأمون كلما غزا الصائفه لقيه عيسى بن على بالرقه و لا يزال معه حتى يدخل الثغور، ثم يرد عيسى إلى عمله.

و ولى المأمون فى سنه خمس عشره و مائين قضاء حلب عبيد بن جناد بن أعين مولى بنى كلاب، فامتنع من ذلك، فهدده على الامتناع فأجاب.

ثم ولى المأمون عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح لما غزا الصائفه فى سنه ثمان عشره و مائتين العواصم.

و فيها مات المأمون و إنما وليها عبيد الله عن العباس بن المأمون فى غالب ظنى فان العباس ولى حلب و قنسرين و الجزيره من سنه أربع عشره و مائتين إلى أن توفى أبوه المأمون بالبذندون من أرض طرسوس (١).

---

١- للمأمون ترجمه و افيه فى المقفى للمقرىزى ألحقها بكتاب تاريخ الخلفاء للوثابى، و البذندون قريه بينها و بين طرسوس يوم، ثم نقل إلى طرسوس و دفن فيها، و أودع ابن العديم ماده رائعه عن طرسوس. بغيه الطلب ج ١ ص ١٧٥-٢٠٤.

و بويح أبو اسحاق المعتصم فأقر العباس بن المأمون على ولايته، و كان الجند قد شغبوا و طلبوا العباس و نادوه باسم الخلافة؛ فأرسل المعتصم إليه، و أحضره فبايعه؛ و خرج إلى الناس و قال لهم: «ما هذا الحب البارد قد بايعت عمي» فسكنوا.

و سار المعتصم إلى بغداد و العباس معه؛ فلما توجه المعتصم إلى الغزاه و مرّ بحلب، فى سنه ثلاث و عشرين و مائتين، و دخل إلى بلاد الروم اجتمع به بعض الجند و وبّخه على ما فعل من إعطاء المعتصم الخلافة، و حسّن له تدارك الأمر، فاستمال جماعه من القواد و عزموا أن يقبضوا على المعتصم و هو داخل إلى الغزاه فلم يمكنهم العباس و قال: «لا أفسد على الناس غزاتهم».

فتمى الخبر إلى المعتصم فقبض على العباس، و على من ساعده على ذلك، و هو عائد من الغزاه، فلما وصل إلى منبج سأل العباس الطعام و كان جائعا فقدم إليه طعام كثير فأكل. فلما طلب الماء منع و أدرج فى مسح (١) فمات بمنبج فى ذى القعدة، من سنه ثلاث و عشرين و مائتين؛ و صلى عليه بعض إخوته و دفن بمنبج.

و ولى المعتصم حلب و قنسرين حربها و خراجها و ضياعها عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح بن على الهاشمى؛ ثم إنه ولى أشناس التركى الشام جميعه و الجزيره و مصر، و توجه و ألبسه و شاحين بالجواهر فى سنه خمس و عشرين و مائتين.

---

١- المسح: الكساء من شعر. المعجم الوسيط.

و نظر فى صلوات المعتصم لأشناس فوجد مبلغها أربعين ألف ألف درهم. و أظن أنه بقى فى ولايته إلى أن مات سنة ثلاثين و مائتين فى أيام الواثق.

و ولى الواثق عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح الهاشمى حلب و قنسرين حربها و خراجها و ضياعها؛ و أظنه كان متوليا فى أيام المعتصم من جهة أشناس، فأقره الواثق على ولايته.

و ولى الواثق قنسرين و حلب و العواصم، بعد عبيد الله، محمد بن صالح بن عبد الله بن صالح فكانت سيرته غير محموده. و كان أحمر أشقر، فلُقّب: «سماقه» لشده حمرته. و يقال: إنه أول من أظهر البرطيل بالشام، و أوقع عليه هذا الاسم؛ و كان لا يعرف قبل ذلك إلا الرّشوه على غير إكراه.

و كان أكثر الناس سكوتا و أطولهم صمتا؛ لا يكاد يسمع له كلام إلا فى أمر يأمر به، أو قول يجيب عنه.

و كان قاضى حلب فى أيامه أبا سعيد عبيد بن جناد الحلبي، توفى سنة إحدى و ثلاثين و مائتين؛ و كان المأمون و لاه قضاء حلب. و له يقول عمرو بن هوبر الكلبي فى قصيده يغضّ منه؛ أولها:

لا در درّ زمانك المتكس الجاعل الأذنان فوق الأروس

ما أنت إلا نغمه فى نعمها و أصل شوكة فى حديقه نرجس

يا قبله ذهب ضياعا فى يضرّب الإله بنانها بالنقرس

من سرّ أبطح مكة آباؤه وجدوده و كأنّه من قبرس

و هذا عمرو بن هوبر كان من معراثا البريديه من ضياع معرّه النعمان و ولى فى أيام المتوكل معرّه مصرين و قتل بها(١).

و كان الواثق قد ولى الثغور و العواصم دون حلب و أعمالها أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبه، و أمره بحضور الفداء مع خاقان و صاحب الروم ميخائيل، فأمضى الفداء سنه إحدى و ثلاثين و مائتين.

ثم إنه غزا شاتيا فأصاب الناس شدة فوجد الواثق عليه بسبب ذلك، و عزله و ولاها نصر بن حمزه الخزاعى.

و ولى الشارباميان، فى أول أيام المتوكل على حلب و قنسرين و العواصم، و اليين أنا ذاكرهما. و كان الشارباميان أحد قواد المتوكل و كان خصيصا عنده. فإما أن يكون المتوكل و لاه جند قنسرين و العواصم أو أنه كان السلطان فى أيام المتوكل فكان أمر الولاية إليه. فأننى قرأت فى كتاب نسب بنى صالح بن على قال: و ولى الشارباميان جند قنسرين و العواصم على بن اسماعيل بن صالح بن على، أبا طالب؛ و إنما أراد أن يترين به عند المتوكل فامتنع من قبول ولايته؛ فأعلمه إن لم يفعل كتب فيه إلى الخليفة فقبلها؛ و أقام على ولاية جند قنسرين و العواصم، حتى مات. فكانت أيامه أحسن أيام و سيرته أجمل سيره. و كان على بن اسماعيل إذا خرج إلى العواصم استخلف ابنه محمد بن على بن على قنسرين و حلب فلا يفقد الناس من أبيه

---

١- ما يزال هناك أكثر من معراثا على مقربه من معره النعمان، هذا و أفرد ابن العديم بايين لكل من معره النعمان و معره مصرين. ج ١ ص ١٢٧-١٣٥.

شيئا، قال: ولى الشارباميان جند قنسرين و العواصم عيسى بن عبيد الله بن الفضل بن صالح بن علي الهاشمي.

قال: و ولى المتوكل طاهر بن محمد بن اسماعيل بن صالح على المظالم بجند قنسرين و العواصم، و النظر في أمور العمال؛ و جاءته الولاية منه فألفاه الرسول في مرضه الذي مات فيه، و جعل المتوكل ولاية عهده إلى ابنه محمد المنتصر؛ و ولاه قنسرين، و العواصم، و الثغور و ديار مضر، و ديار ربيعة، و الموصل، و غير ذلك في سنة خمس و ثلاثين و مائتين؛ فاستمر في الولاية إلى أن قتل أباه و كانت الولاية من قبله.

و في أيام ولايته حلب في سنة اثنتين و أربعين و مائتين وقع طائر أبيض دون الرخمة (١) و فوق الغراب على دلبه بحلب لسبع مضين من رمضان، فصاح: «يا معشر الناس، الله الله» حتى صاح أربعين صوتا. ثم طار؛ و جاء من الغد فصاح أربعين صوتا. و كتب صاحب البريد بذلك و أشهد خمسمائة انسان سمعوه. و لا يبعد عندي أن تكون الدلبة التي ينسب إليها رأس الدلبه (٢).

و سمع في هذه السنة أصوات هائله من السماء، و زلزلت نيسابور،

- 
- ١- الرخم (الشوح) طائر يشبه النسر في الخلقه، كانت له مكانه دوائيه منها أن يطلى بمرارته لسّم الحيه و غيرها، و التبخير يجفف لحمه مخلوطا بخردل سبع مرات يحل المعقود عن النساء ... القاموس.
  - ٢- بهامش الأصل: مقال الطائر. غريبه، إن الله على كل شيء قدير.

و تقلعت جبال من أصولها، و نبع الماء من تحتها، و وصلت الزلزله إلى الشام و الثغور.

و أظن أن نائب المنتصر في جند قنسرين في حياه المتوكل كان بغا الكبير؛ فلما قتل المتوكل قدم بغا عليه. و سير المنتصر و صيفا إلى الثغر الشامي، فأقام به إلى أن مات.

و ولي المستعين في سنه خمسين و مائتين قنسرين و حلب و حمص موسى بن بغا؛ و توجه إليها حين عاث أهل حمص على الفضل بن قارن. ثم ولي حلب و العواصم أبو تمام ميمون بن سليمان حدقه بن عبد الملك بن صالح في أيام المستعين، و كانت له حركه و بأس في فتنه المستعين.

و عصى أهل حلب و أقاموا على الوفاء للمستعين ببيعتهم؛ فقدم عليهم أحمد المولد محاصرا لهم فلم يجيئوه إلى ما أراد من البيعه للمعتز. و كان السفير بينه و بينهم الحسين بن محمد صالح بن عبد الله بن صالح أبا عبيد الله الهاشمي.

فلما بايعوا بعد ذلك للمعتز و انقضى أمر المستعين و لاه أحمد المولد جند قنسرين و حلب، في سنه اثنتين و خمسين و مائتين؛ فأقام مده يسيره؛ ثم انصرف إلى سلميه - أعنى الحسين بن محمد.

و ولي حلب و قنسرين و العواصم صالح بن عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح، في فتنه المستعين؛ و كان له سعي و تقدم و رئاسه.

ثم ولى بعده، فيما أرى، أبو تمام ميمون بن سليمان بن عبد الملك بن صالح. وهذه ولايه ثانيه له؛ و مات بالرقه، ثم ولى بعده ثانيه صالح بن عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح الهاشمى و انقضت ولايه بنى صالح الهاشميين.

ثم ولى حلب و قنسرين فى أيام المعتز أبو الساج داود اذ فى شهر ربيع الأول، سنه أربع و خمسين و مائتين، و بقى واليا إلى أن تغلب أحمد بن عيسى بن شيخ على الشامات فى أيام المهتدى.

فلما مات، و ولى المعتمد سیر إلى ابن شيخ بولايه أرمينيه، على أن ينصرف عن الشام آمنا؛ فأجاب إلى ذلك؛ و رحل عنها فى سنه ست و خمسين و مائتين.



**[عصر الدوله الطولونيه]**

[عصر الدوله الطولونيه] (١)

و وليها أحمد بن طولون مع أنطاكيه و طرسوس و غيرها من البلاد و كان أحمد بن طولون شهما شجاعا عاقلا، و كان على مربطه أربعة آلاف حصان، و كانت نفقته فى كل يوم ألف دينار (٢).

فعمد المعتمد لأخيه أبى أحمد الملقب بالموفق على حلب و قنسرين و العواصم، فى شهر ربيع الأول سنه ثمان و خمسين و مائتين. ثم ولاه بغداد، و اليمن، و خراسان؛ ولى الشام لابنه جعفر؛ و جعل له و لايه العهد، و هو صبى؛ و جعل الأمر بعده لأخيه أبى أحمد.

فولى أبو أحمد الموفق «سيما الطويل» أحد قواد بنى العباس و مواليهم حلب و العواصم. فابتنى بظاهر مدينه حلب دارا حسنه، و عمل لها بستانا.

و هو الذى يعرف الآن «بيستان الدار» ظاهر باب أنطاكيه. و بهذه الدار سميت المحله التى بباب أنطاكيه «الدارين»؛ إحدى الدارين هذه؛ و الدار الأخرى

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- لأحمد بن طولون ترجمه و افیه فى بغيه الطلب ص ٨٢٦ - ٨٣٥.

بناها قبله محمد بن عبد الملك بن صالح فعرفت المحله بالدارين لذلك.

و إحدى الدارين تعرف بالسليمانيه على حافه نهر «قويق»؛ و حاضر السليمانيه بها يعرف و هو حاضر حلب.

و جدّد سيما الطويل الجسر الذى على نهر قويق قريبا من داره. و ركب عليه بابا أخذه من قصور بعض الهاشميين بحلب يقال له: «قصر البنات».

و أظن أن «درب البنات» بحلب يعرف به؛ و أظن القصر يعرف بأُم ولدت لعبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح اسمها «بنات»؛ و هى أم ولده داود.

و سمى سيما الباب باب السلامه و هو الباب الذى ذكره الواساني (١) فى قصيدته الميميه التى أولها:

يا ساكنى حلب العواصم جادها صوب الغمامه (٢)

و فى سيما الطويل يقول البحرى:

فردّت إلى سيما الطويل أمورنا و سيما الرضا فى كل أمر يحاوله (٣)

فعصى أحمد بن طولون على أبى أحمد الموفق، و أظهر خلعه و نزل إلى الشام، فانحاز سيما الطويل إلى أنطاكيه فحصره أحمد بن طولون بها فألقت

١- الواساني من شعراء يتيمة الدهر للثعالبي - ط. القاهره ١٩٥٦ ج ١ ص ٣٥١.

٢- انظر بغيه الطلب ج ١ ص ٥٧.

٣- لم ترد قصيده البحرى فى ديوانه المطبوع، و ذكر المرحوم سامى الدهان أنه رآها فى مخطوطه باريس من ديوان البحرى بالورقه ٣١١. و قال يمدح الموفق و يذكر ولايه سيما الطويل الشام: لقد وفق الله الموفق للذى أتاه و أعطى الشام ما كان يأمله أضاف إلى سيما الطويل أمورنا و سيما الرضا فى كل أمر يحاوله

عليه امرأه حجرا و قيل قوفا(١) فقتلته. و قيل بل قتله عسكر ابن طولون، و كان ذلك في سنة أربع و ستين أو سنة خمس و ستين و مائتين.

و استولى أحمد بن طولون على حلب و الشام جميعه مناظرا لأبي أحمد الموفق؛ و كان قاضي حلب في أيامه عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله أبو بكر القاضي العمري. و دام على قضائها إلى أن مات أحمد.

و كان سيما حين صارت له حلب قد قصد جماعه من الأشراف [من] بنى صالح بن علي بالأذى، و استولى على أملاكهم، و أودع بعضهم السجن.

فلما ولي أحمد بن طولون قال صالح بن محمد بن اسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي الحلبي، يمدحه و يشكره، و يذكر ظفره بسيما بقصيده يقول فيها:

و قد لبستنا من قذا الجور ذلهور دار بنا كيد الأعدى فأحداقا

و حكّم فينا عاندا فجرت له أفاعيل غرّ تترك اللب أخلقا

إلى أن أتيت ب ابن طولون رحمها أشار إلى معصوب فتفرقا

فدتك بنو العباس من ناصر لها أنار به قصد السبيل فأشرقا

بنيت لهم مجدا تليدا بناؤه فلم نر بنيانا أعزّ و أوثقا

منحتهم صفو الوداد و لم يكن سواك ليعطى الودّ صفوا مزوّقا

تجوز منك العبد لما قصدته و أسكن أشراف الأقاوم مطبقا

بلا تره أسدوا إليه و إنّما يجازى الفتى يوما على ما تحققا

---

١- القفه و القف: ما ارتفع من متون الأرض و صلبت حجارتها. و القف حجاره غاص بعضها ببعض مترادف بعضها إلى بعض حمر لا يخالطها من اللين و السهولة شىء. اللسان.

و هيهات ما ينجيه لو أنّ دونه ثمانين سورا في ثمانين خندقا

ثم إنّ أحمد بن طولون توجه إلى مصر، و ولي مملوكه لؤلؤ حلب في سنه ست و ستين؛ فخرج بكار الصالحى من ولد عبد الملك بن صالح، بنواحي حلب بينها و بين سلميه؛ و دعا إلى أبى أحمد الموفق في سنه ثمان و ستين؛ فحاربه ابن العباس الكلابى فهزم الكلابى؛ و وجه إليه لؤلؤ قائدا يقال له أبو ذر، فرجع و ليس معه كبير أحد. ثم. إن لؤلؤ ظفر به فقبض عليه.

ثم إن لؤلؤ الطولونى خالف مولاه أحمد بحلب، و عصى عليه في سنه تسع و ستين؛ و كاتب أبا أحمد الموفق في المسير إليه فأجابه إلى ذلك. و قطع لؤلؤ الدعاء لمولاه أحمد في مدنه جميعها: حلب، و قنسرين، و حمص، و ديار مصر؛ و ترك أهل الثغور الدعاء لابن طولون؛ و أخرجوا نائبه منها و هموا بقبضه، فهرب. فنزل أحمد بن طولون من مصر في مائه ألف فقبض على حرم لؤلؤ و باع ولده و أخذ ما قدر عليه مما كان له؛ و هرب لؤلؤ منه و لحق بأبى أحمد طلحه بن المتوكل و هو على محاربه العلوى البصرى عميد الزنج.

و لؤلؤ هو الذى قتل علوى البصره فى سنه تسع و ستين و مائتين. و بقى لؤلؤ ببغداد إلى أن قبض عليه الموفق؛ و قيده فى سنه ثلاث و سبعين و مائتين، فوجد له أربعمائى ألف دينار. فذكر لؤلؤ الطولونى أنه لا يعرف لنفسه ذنبا إلا كثره ماله و أثاثه.

و لما انحدر لؤلؤ من الرقه كان معه من السفن و الخزائن زهاء ثلاثمائى خزانة.

و لما هرب لؤلؤ من مولاه إلى العراق في جمادى الأولى من السنه، اجتاز ببالس، و بها محمد بن العباس بن سعيد الكلابي أبو موسى، و أخوه سعيد فأسرهما.

ثم إن ابن طولون وصل إلى الثغور، فأغلقوها في وجهه، فعاد إلى أنطاكيه و مرض. فولى على حلب عبد الله بن الفتح، و صعدي إلى مصر مريضا، فمات سنه سبعين و مائتين.

و ولي ابنه أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون؛ فولى في حلب أبا موسى محمد بن العباس بن سعيد الكلابي، في سنه إحدى و سبعين و مائتين.

و نزل أبو الجيش من مصر إلى حلب، و كاتب أبا أحمد بن المتوكل بأن يولى حلب و مصر و سائر البلاد التي في يده، و يدعى له على منابرها، فلم يجبه إلى ذلك، فاستوحش من الموفق.

و ولي في حلب القائد أحمد بن ذو غباش؛ و صعدي إلى مصر فوصل إلى حلب اسحاق بن كنداج(١)، و كان يلي ديار ربيعه؛ و محمد بن أبي الساج، و كان يلي ديار مضر، فولاه الموفق حلب و أعمالها؛ و كتب إلى العراق يطلبان نجده تصل إليهما، فان ابن جبغويه و غيره من قواد ابن طولون بشيزر.

فسير الموفق ابنه ابا العباس أحمد بن طلحه، و كان قد جعل إليه ولايه عهده، فوصل إلى حلب في ربيع الآخر من سنه إحدى و سبعين

---

١- لخمارويه ترجمه مفیده فی بغیة الطلب ص ٣٣٨٢-٣٣٨٦، و فی هذه الترجمة «اسحق بن كنداجيق».

و مائتين، و كان فيها محمد بن ديوداذ بن أبي الساج، المعروف بالأفشين حينئذ واليا؛ و سار إلى قنسرين، و هي يومئذ لأخي الفصيصة التنوخي و هي عامره و حاضر طي ء لطي ء و عليها أيضا سور، و قلعتها عامره.

و سار إلى شيزر، فكسر العسكر المقيم، و سار إلى أن تواقع المعتضد و خمارويه على الطواحين(١)، بقرب الرمله؛ و كانت الغلبة أولا- لأبي العباس المعتضد، فهرب خمارويه بمن خفّ معه إلى مصر، و نزل أبو العباس بخيمه خمارويه، و هو لا- يشك في الظفر، فخرج كمين لخمارويه، فشدّوا عليهم و قاتلوهم؛ فانهمزوا؛ و تفرق القوم(٢).

و رجع الأمير أبو العباس إلى أن انتهى إلى أنطاكية؛ و كان محمد بن ديوداذ المعروف بالأفشين بن أبي الساج قد فارق أبا العباس لكلام أغلظ له فيه أبو العباس، فجاء قبل وقعه الطواحين، و استولى على حلب، و معه اسحاق بن كنداج.

و سار أبو العباس من أنطاكية إلى طرسوس فأغلقها أهلها دونه، و منعوه من دخولها؛ فسار إلى مرعش، ثم إلى كيسوم، ثم إلى سميساط، و عبر الفرات، و نكب عن حلب لاستيلاء الأفشين عليها؛ و كان قد جرت بينهما وحشه.

و نزل خمارويه إلى حلب، فصالحه الأفشين و صار في جملة؛ و دعا له

١- في أحواز بلده الرمله في فلسطين.

٢- لمزيد من التفاصيل، انظر بغية الطلب ص ٨٠٨-٨٠٩، ٣٣٨٢.

على منابر أعماله، و حمل إليه خمارويه مائتي ألف دينار و نيفا و عشرين ألف دينار لوجه أصحابه؛ و عشرين ألف دينار لكاتبه؛ و ذلك في سنة ثلاث و سبعين و مائتين. و أعطاه ابن أبي الساج ولده رهينه على الوفاء بعهدته؛ فراسل خمارويه أبا أحمد الموفق، و سأله الصلح فأجابته إلى ذلك؛ و ولاء مصر، و أجناد الشام، و قنسرين، و حلب، و العواصم، و الثغور.

و صعد أبو الجيش إلى مصر، و كان أبو الجيش قد أعطى ابن أبي الساج يوم دفع ولده إليه ما مبلغه ثلاثون ألف دينار، فقال ابن أبا(١): «خدعكم محمد بن ديوداد، إذ أعطاكم بوله يبول مثلها في كل ليلة مرات، و أخذ منكم ثلاثين ألف دينار».

ثم إن ابن أبي الساج نكث عهده مع أبي الجيش، و عاث في نواحي الأعمال التي له، في ذي القعدة من سنة أربع و سبعين و مائتين؛ فخرج إليه أبو الجيش، و التقيا بالثنية(٢)، من أعمال دمشق فانهزم ابن أبي الساج و استبيح عسكره قتلا و أسرا، ففي ذلك يقول البحترى:

و قد تدلت جيوش النصر منزله على جيوش أبي الجيش بن طولونا

يوم «الثنية» إذ نثى بكرته خمسين ألفا رجالا أو يزيدونا(٣)

١- هو أحمد بن أبا، و كان من قواد خمارويه. انظر تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٣٤ (ط. دار المعارف، القاهرة).

٢- ثنية العقاب، اسمها الآن «التنايا» خارج دمشق على الطريق الواصل بين حمص و دمشق.

٣- لم ترد القصيدة في ديوان البحترى المطبوع، و ذكر المرحوم د. دهان أنه رآها في مخطوطه ديوان البحترى المحفوظه في باريس الورقه ٣٩٨، حيث جاء: و قال يمدح أبا الجيش خمارويه بن - أحمد بن طولون: يكاد عاذلنا في الحب يغرينا فما لجاجك في لوم المحيينا

و كتب إلى ابن أبي الساج يوبخه، و يقول له: «كان يجب يا قليل المروءه و الأمانه، أن نضع برهنك ما أوجه غدرك! معاذ الله أن تَزُرَّ وَاِزْرَةً وِزْرًا أُخْرَى(١)».

و رجع أبو الجيش إلى مصر في سنه خمس و سبعين و مائتين. فعاد محمد بن ديوداذ، و عاث عليه في أطراف بلاده، فقصده فانهزم بين يديه؛ فوصل ابن طولون خلفه إلى الفرات. و هرب ابن أبي الساج؛ و لحق بأبي أحمد الموفق، فانضم إليه، فخلع عليه، و أخرجه معه إلى «الجبيل»، و ذلك في سنه ست و سبعين و مائتين. فولّى أبو الجيش على حلب غلام أبيه طغج بن جف والد الإخشيد أبي بكر محمد بن طغج.

و دعا يازمار والى الثغور لخمارويه بطرسوس و الثغور، و حمل إليه خمارويه خمسين ألف دينار، و حمل إليه قبل الدعاء له ثلاثين ألف دينار لينفقها في سبيل الله و مائه و خمسين ثوبا و مائه و خمسين دابه و سلاحا كثيرا؛ و ذلك في سنه سبع و سبعين و مائتين.

و رجع أبو الجيش إلى مصر، و مات المعتمد بعد ذلك في سنه تسع و سبعين؛ فولّى الخليفة أبو العباس أحمد بن طلحه المعتضد(٢) فبايعه أبو

١- سورة الأنعام- الآية: ١٦٤.

٢- للمعتضد ترجمه وافية في بغية الطلب ٨٠٨-٨٢٦.



الجيش بن طولون و خطب له فى عمله. و سَيرَ إليه هديه سنينه مع الحسين بن الجصاص (١). و طلب منه أن يزوج ابنته من علي بن المعتضد، فقال المعتضد:

«بل أنا أتزوجها»، فتزوجها المعتضد و هى قطر الندى.

و قيل: إنه دخل معها مائه هاون ذهب فى جهازها، و ان المعتضد دخل خزانته، و فيها من المنائر و الأباريق، و الطاسات، و غير ذلك من الآنيه الذهب. فقال: «يا أهل مصر، ما أكثر صفركم». فقال له بعض القوم:

يا أمير المؤمنين، إنما هو ذهب».

و زفّت إلى المعتضد مع صاحب أبيها الحسين بن عبد الله بن الجصاص. فقال المعتضد لأصحابه: «أكرموها بشمع العنبر!» فوجد فى خزانه الخليفه أربع شمعات من عنبر، فى أربعة أتوار (٢) فضه.

فلما كان وقت العشاء، جاءت إليه و قدّامها أربعمائه و سيفه، فى يد كل واحده منهن تور ذهب و فضه؛ و فيه شمعته عنبر. فقال المعتضد لأصحابه:

«أطفئوا شمعنا و استرونا».

و كانت إذا جاءت إليه أكرمها بأن يطرح لها مخده. فجاءت إليه يوما فلم يفعل ما كان يفعله بها. فقالت: «أعظم الله أجر أمير المؤمنين» قال:

١- الحسين بن عبد الله بن حسين بن منصور، أبو عبد الله الجوهري، المعروف بابن الجصاص، كان من أعيان تجار عصره، ذوى الثروه الواسعه و اليسار. له ترجمه وافيه فى المقفى للمقرزى - ط. بيروت ١٩٨٩ ج ٣ ص ٥٢٠-٥٣٤.

٢- آنيه صغيره توضع فيها الشمعه.

«فيمن؟». قالت: «فى عبده خمارويه» - تعنى أباهـا- فقال لها: «أو قد سمعت بموته؟» قالت: «لا و لكنى لما رأيتك قد تركت إكرامى علمت أنه قد مات أبى». و كان خبره قد وصل إلى المعتضد، فكتبه عنها. فعاد إلى إكرامه لها بطرح المخدّه فى كل الأوقات.

و قتل خمارويه بدمشق فى سنه [ثمانى و] ثمانين و مائتين (١)، و حلب فى ولايه طغج بن جفّ من قبله.

و أظن أن قاضى حلب بعد أيام أحمد بن طولون حفص بن عمر قاضى حلب.

و ولى مكان خمارويه ولده جيش بن خمارويه (٢)، و طغج فى حلب على حاله.

و عزل القواد جيش بن خمارويه؛ و ولوا أخاه هارون بن خمارويه، فولى طغج بن جفّ حلب على حاله، و سيّر إلى المعتضد رسولا يطلب منه إجراءه على عاده أبيه فى البلاد التى كانت فى ولايته، فلم يفعل.

و سيّر رسولا إلى هارون، فاستنزله عن حلب و قنسرين، و العواصم، و سلم لهارون مصر و بقيه الشام، و اتفق الصلح مع المعتضد و هارون على ذلك، فى جمادى الأولى من سنه ست و ثمانين و مائتين.

١- أضيف ما بين الحاصرتين من ترجمه خمارويه فى بغيه الطلب ص ٣٣٨٦.

٢- لجيش بن خمارويه ترجمه مفيدة فى المقفى للمقرىزى ج ٣ ص ١١٦-١١٧.

و كان هارون قد ولى قضاء حلب و قنسرين أبا زرعه محمد بن عثمان الدمشقى، فقلد المعتضد حلب و قنسرين ولده أبا محمد على بن أحمد فى هذه السنه.

و ولى بحلب من قبل ابنه الحسن بن علىّ المعروف بكوره الخراسانى، و إليه تنسب دار كوره؛ التى داخل باب الجنان(١) بحلب، و الحمام المجاوره لها. و قد خربت الآن و لم يبق لها أثر.

و كان كاتب على بن المعتضد يومئذ الحسين بن عمرو النصرانى، فقلده النظر فى هذه النواحي.

و سار المعتضد، فى سنه سبع و ثمانين و مائتين، خلف و صيف خادم ابن أبى الساج إلى الثغور إلى أن لحقه. فضم عمل الثغور أيضا إلى كوره، و عاد إلى أنطاكيه، و وصيف(٢) معه.

ثم رحل إلى حلب، فأقام بها يومين؛ و وجد لوصيف بعد أسره فى بستان بحلب مال كان دفنه و هو بها مع مولاه مبلغه سته و خمسون ألف دينار، فحمل إلى المعتضد؛ ثم رحل إلى بغداد، فمات فى شهر ربيع الآخر سنه تسع و ثمانين و مائتين.

و تولى الخلافه ولده أبو محمد، و لقب بالمكتفى؛ فصرف الحسن بن على

١- سمي بذلك لأنه يخرج منه إلى البساتين التى لحلب، بغيه الطلب ج ١ ص ٥٥.

٢- لمزيد من التفاصيل انظر ترجمه المعتضد فى بغيه الطلب ص ٨١٨-٨١٩.

كوره عن ولايته؛ وولى حلب أحمد بن سهل البوشجاني(١)، فى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين و مائتين. ثم صرفه عنها سنة تسعين و مائتين.

و ولى حلب فى هذه السنه أبا الأغر خليفه بن المبارك السلمى(٢)، و وجهه إليها لمحاربه القرمطى صاحب الخال- لعنه الله- فإنه كان قد عاث فى البلاد؛ و غلب على حمص، و حماه، و معره النعمان، و سلميه. و قتل أهلها و سبى النساء و الأطفال.

فقدم أبو الأغر حلب فى عشره آلاف فارس، فانفذ القرمطى سريه إلى حلب، فخرج أبو الأغر إلى وادى بطنان(٣)، فلما استقر و افاه جيش القرمطى، يقدمه المطوق غلامه و كبسهم، و قتل عامه أصحابه و خادما جليلا يقال له بدر القدامى(٤).

١- كذا بالأصل، و لم يرد فى لباب الأنساب لابن الأثير البوشجاني بل البوشنجى، و النوشجاني.

٢- ترجم ابن العديم فى بغيه الطلب لكل من صاحب الخال و خليفه بن المبارك (أبو الأغر السلمى) و سلف لى نشر هاتين الترجمتين فى كتابى الجامع فى أخبار القرامطه- ط. دمشق ١٩٨٧ ج ٢ ص ٤٠٧-٤٢٥.

٣- فى ترجمه أبى الأغر- الجامع فى أخبار القرامطه ج ٢ ص ٤٢٤: «و للنصف من شهر رمضان- سنة ٢٩٠ هـ- مضى أبو الأغر إلى حلب، و نزل وادى بطنان، قريبا من حلب، و نزل معه جميع أصحابه، فترع- فيما ذكر- جماعه من أصحابه ثيابهم، و دخلوا يتبردون بمائه، و كان يوما شديد الحر، فبيناهم كذلك إذ وافاهم جيش القرمطى المعروف بصاحب الشامه، مقدمهم المعروف بالمطوق، فكبسهم على تلك الحال، فقتل منهم خلقا كثيرا، و انتهب العسكر، و أفلت أبو الأغر و جماعه من أصحابه، فدخل حلب، و أفلت معه مقدار ألف رجل، و كان فى عشره آلاف رجل ما بين فارس و راجل».

٤- رسم هذا الاسم بالأصل دونما ضبط أو نقط، و لم يرد ذكره فى ترجمتى أبى الأغر و صاحب الخال.

و سلم أبو الأغر في ألف رجل، فصار إلى قريه من قري حلب؛ و خرج إليه ابنه في جماعه من الرّجاله و الأولياء، فدخل إلى حلب. و أقام القرامطه على مدينه حلب على سبيل المحاصره.

فلما كان يوم الجمعة، سلخ شهر رمضان من سنه تسعين و مائتين، تسرّع أهل مدينه حلب إلى الخروج للقاء القرامطه فمنعوا من ذلك، فكسروا قفل الباب، و خرجوا إلى القرامطه، ف وقعت الحرب بين الفئتين؛ و رزق الله الحلبيين النصر عليهم. و خرج أبو الأغر فأعانهم فقتل من القرامطه خلق كثير.

و خرج أبو الأغر يوم السبت يوم عيد الفطر إلى المصلى، و عيد بأهل حلب، و خطب الخطيب؛ و عادت الرعيه على حال سلامه؛ و أشرف أبو الأغر على القرامطه، فلم يخرج منهم أحد إليه؛ ثم أنهم رحلوا إلى صاحبهم، في سنه ثلاثمائه.

ثم إن المكتفى ولي حلب الحسين بن حمدان بن حمدون عم سيف الدوله، فعاثت عليه العرب من كلب و اليمن و أسد و غيرهم، فاجتمعوا بنواحي حلب، فخرج للقائهم، في شهر رمضان من سنه أربع و تسعين و مائتين؛ فهزموه حتى بلغوا به باب حلب؛ و جرى بينه و بين القرامطه، في هذه السنه وقع كسرهم فيها و استأصلهم.

ثم إنه عزل عن حلب، و ولي عيسى غلام النوشري؛ و كان المكتفى قد صار إلى الرقه في سنه إحدى و تسعين و مائتين؛ و كان وجهه بمحمد بن

سليمان صاحب الجيش إلى حلب و الشام في عشرين ألف فارس و راجل، لمحاربه الطولونيه و القرامطه، و فتح مصر. فقدم محمد بن سليمان حلب في أواخر سنه تسعين، و الوالى بها على الحرب عيسى غلام النوشري، فدخلها محمد في أحسن تعبئه و زى؛ و أقام بها أياما و طالب عمال الخراج بحمل المال؛ و قصده رؤساء بنى تميم و بنى كلاب.

فأمر عيسى والى حلب أن يستخلف على عمله و يشخص معه إلى مصر؛ فامثل أمره، و استخلف على حلب ولده، و أنفق في جنده؛ و رحل في آخر شوال معه. فلما وافى معره النعمان خلع عليه، و حملة، و ولاه بلده إلى حدود حماه؛ و لقيهم القرامطه بين تل منس (١) و كفر طاب (٢)، في عشره آلاف فارس، فنصره الله عليهم، و انهزموا و قتل الرّجاله، و أسر أكثر الخياله (٣).

و صار محمد بن سليمان إلى مصر، و افتتحها من يد الطولونيه، عند قتل هارون بن خمارويه؛ و استولى على أموالها. ثم ضمّ إلى طغج بن جفّ الطولونى أربعه آلاف رجل، و ولاه حلب، و أخرجه عن مصر.

فلما صار إلى حلب وجد بها ابن الوثاقى، و قد أنفذه السلطان إلى حلب لعرض جيوش الواردين من مصر، و ذلك في سنه اثنتين و تسعين

١- تل منس: قريه في سهول ادلب، تابعه لمنطقه معره النعمان و تبعد عنها مسافه ٦ كم، و ذلك إلى الشرق منها، في شمالها الشرقى تل أثرى فيه آثار تعود إلى العصور الكلاسيكيه و ما تلاها. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٢- تبعد خرائب كفر طاب نحو ٣ كم إلى الغرب من بلده خان شيخون.

٣- لمزيد من التفاصيل انظر الجامع في أخبار القرامطه ص ٤٠٨ - ٤٢٢.

و مائتين. فعرض ابن الواثقى جيشه لما وصل إلى حلب، و أمره بالنفوذ إلى بغداد، فرحل حتى وافى مدينه السلام.

و كذلك ورد حلب جماعه من القواد الطولونيه، فعرضهم و توجهوا إلى بغداد. و وافى وصيف البكتمرى و ابن عيسى النوشرى صاحب حلب بغداد، يوم الاثنين لثلاث عشره ليله بقيت من شعبان سنه اثنتين و تسعين و مائتين، و معهما طغج، و أخوه، و ابن لطغج، فخلع عليهم و طوّق منهم البكتمرى و ابن عيسى النوشرى.

ثم شخص عيسى النوشرى عن مصر إلى حلب، لأنه كان واليها. فلما كان بعد شخوصه إليها بأيام، ورد كتاب العباس بن الحسن الوزير بتوليه عيسى النوشرى مدينه مصر، و يؤمر محمد بن سليمان بالشخوص إلى طرسوس للغزو، فوجه محمد بن سليمان من لحق عيسى بالرملة فردّه؛ و ورد إلى عيسى كتاب من السلطان بذلك فعاد واليا على مصر.

و ولى المكتفى فى هذه السنه أبا الحسن ذكا بن عبد الله الأعور حلب؛ و دام بها إلى سنه اثنتين و ثلاثمائه. و كان كريما يهب و يعطى و إليه تنسب «دار ذكا» التى هى الآن دار الزكاه. و إلى جانبها دار حاجبه فيروز فانهدمت، و صارت تلا يعرف بتل فيروز؛ فنسفه السلطان الملك الظاهر - رحمه الله - فى أيامه؛ و ظهر فيه بقايا من الذخائر مثل الزئبق و غيره؛ و هو موضوع سوق الصّاعه الآن. و لأبى بكر الصنوبرى الشاعر فيه مدائح كثيره.

و عاد محمد بن سليمان إلى حلب، و وافاه مبارك القمى بكتب يؤمر فيها

بتسليم الأموال، و ركب إليه ذكا الأعور صاحب حلب، و أبو الأغرّ و غيرهما.

فاختلط بهم و سار معهم إلى المدينة، فأدخلوه إلى الدار المعروفه بكوره، باب الجنان، و وكلوا به في الدار.

و شخص ذكا عن حلب لمحاربه ابن الخننج (١) مع أبي الأغر إلى مصر؛ و وجّه بمحمد بن سليمان مقبوضا إلى بغداد.

و توفي المكتفى سنه خمس و تسعين و مائتين؛ و ولي أخوه أبو الفضل المقتدر.

و عاثت بنو تميم في بلد حلب، و أفسدت فسادا عظيما، و حاصروا ذكا بحلب، فكتب المقتدر إلى الحسين بن حمدان في إنجاد ذكا بحلب، فأسرى من الرحبه (٢) حتى أناخ عليهم بخناصره، و أسر منهم جماعه، و انصرف و لم يجتمع بذكا. ففي ذلك يقول شاعر من أهل الشام:

أصلح ما بين تميم و ذكا أبلج يشكى بالرماح من شكا

يدلّ بالجيش إذا ما سلكا كأنه سليكه بن السلكا (٣)

و كان وزير ذكا و كاتبه أبا الحسن محمد بن عمر بن يحيى النفري

١- كذا بالأصل و في ولاء مصر للكندي- ط. بيروت ١٩٠٨ ص ٢٥٨-٢٩٧ «ابن الخليج».

٢- ما تزال بقاياها قائمه على مقربه من الميادين، و تعرف باسم الرحبيه.

٣- من الشعراء الصعاليك في الجاهليه، نشر ديوانه مع دراسه عنه في بيروت ١٩٩٤.



الكاتب؛ وإليه ينسب حمّام النفري، و هي الآن دائره. و داره هي المدرسه النوريه؛ و مدحه الصنوبري.

ثم إن المقتدر عزل ذكا عن حلب، و ولاه دمشق ثم مصر إلى أن مات.

و قيل إن المقتدر ولى حلب مولاة تكين الخادم أبا منصور ثم عزله عنها.

و الصحيح أنه ولى الشام و مصر مؤنس المظفر الخادم نيابه عن ابنه أبي العباس، فقدم إلى حلب و صعد إلى مصر.

و ولى مؤنس ذكا الأعور دمشق و مصر، و عزله عن حلب؛ و ولى الأمير أبا العباس أحمد بن كيغلف حلب سنه اثنتين و ثلاثمائه. و كان على قضاء حلب سنه تسعين محمد بن محمد الجدوعى.

ثم ولى القضاء بحلب و قنسرين محمد بن أبي موسى عيسى الضرير الفقيه، فى سنه سبع و تسعين و مائتين. و شخص إلى عمله لأربع عشره ليله خلت من شهر ربيع الآخر.

ثم صرف محمد بن عيسى عن قضاء حلب و قنسرين، فى سنه ثلاثمائه بأبى حفيص عمر بن الحسن بن نصر الحلبي القاضى. و كانت داره بسوق السراجين. و عزل أبو حفيص عن القضاء فى حلب سنه اثنتين و ثلاثمائه. و وليها أبو عبد الله محمد بن عبده بن حرب.

و توفى عمر بن الحسن القاضى سنه سبع و ثلاثمائه؛ و كان محمد بن عبده بن حرب قاضيا بها سنه خمس و ثلاثمائه.

ثم تولى قضاء حلب و حمص ابراهيم بن جعفر بن جابر أبو اسحاق الفقيه، فى سنة ست و ثلاثمائه. و ولى الخراج من قبل المكتفى بحلب الحسن بن الحسن بن رجاء بن أبى الضحّاك. و توفى بحلب فى جمادى الأولى سنة إحدى و ثلاثمائه فجاهه.

و ولى الخراج بعده على بن أحمد بن بسطام و الانفاق عبد الله بن محمد بن سهل. ثم توفى سنة اثنتين و ثلاثمائه؛ و تولى مكانه محمد بن الحسن بن على الناظرى.

و كان أبو العباس بن كيغىغ أدبياً؛ شاعراً، جواداً، و هو الذى مدحه المتنبى بقوله:

كم قتيل كما قتلت شهيد(١)

و من شعر الأمير أحمد بن كيغىغ قوله:

قلت له، و الجفون قرحى: قد أقرح الدمع ما يليها

ما لى فى لوعتى شبيه قال: و أبصرت لى شبيها

ثم ولى مؤنس المظفر حلب أباً قابوس محمود بن جبك الخراسانى؛ و كان جباراً، قاسياً، منحرفاً عن أهل البيت. و قيل: هو محمود بن حمل، فدام والياً بها إلى سنة اثنتى عشره و ثلاثمائه.

و كان مؤنس المظفر بالشام، فاستدعى إلى بغداد لقتال القرمطى، فسار

---

١- ديوان المتنبى - ط. بيروت ١٩٦٩ ص ٧١.

إليها؛ و ولي حلب وصيف البكتمرى الخادم سنه اثنتى عشره و ثلاثمائه. ثم عزله عنها سنه ست عشره و ثلاثمائه.

و وليها فى هذه السنه هلال بن بدر أبو الفتح، غلام المعتضد؛ و كان أمير دمشق قبل ذلك؛ ثم عزل عن حلب؛ و ولي قطربل (١) و سامرا فى سنه سبع عشره، فوليها فى هذه السنه وصيف البكتمرى ثانيه.

و مات بحلب على ولايته يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذى الحجه من سنه سبع عشره و ثلاثمائه.

و كان كاتبه عبد الله والد أبى العباس أحمد بن عبد الله الشامر المعروف بابن كاتب (٢) البكتمرى، فوليها الأمير أحمد بن كيغلق ثانيه إلى ثمانى عشره و ثلاثمائه.

ثم ولى مؤنس المظفر غلامه طريف بن عبد الله السبكرى الخادم، فى سنه تسع عشره و ثلاثمائه، و كان ظريفا شهما شجاعا، و حاصر بنى الفصيص فى حصونهم باللادقيه و غيرها، فحاربوه حربا شديدا حتى نفذ جميع ما كان عندهم من القوت و الماء، فنزلوا على الأمان فوقى لهم، و أكرمهم؛ و دخلوا معه حلب مكرمين معظمين، فأضيفت إليه حمص مع حلب.

١- قطربل: اسم قريه بين بغداد و عكبرا. معجم البلدان.

٢- لعله أبو الفتح البكتمرى الذى ترجم له الثعالبي فى يتيمة الدهر - ط. القاهره ١٩٥٦ ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٢.

ثم إن القاهر (١) قبض على مولاه مؤنس المظفر، و تولى طريف قبضه، و أحضره إلى القاهر فى سنة إحدى و عشرين و ثلاثمائة، فرأى له ذلك.

و ولى القاهر بشرى الخادم دمشق و حلب؛ و سار إلى حلب ثم إلى حمص، فكسره ابن طعج و أسره، و خنقه. و وصل أبو العباس بن كيغلق إلى حلب فاتفق مع محمد بن طعج و حالفه.

و ولى الخلافة الراضى بعد القاهر (٢). و كان الراضى قد خاف على بدر الخرشنى من الحجريه أن يفتكوا به؛ فقلده حلب و أعمالها؛ و هى بيد طريف سنة أربع و عشرين؛ و أمره بالمسير من يومه. فسار و بلغ طريف، فأنفذ صاحباً له إلى ابن مقله؛ و بذل له عشرين ألف دينار ليحدد له العهد، و أن لا يصرف من حلب. و وصل الخرشنى فدافعه طريف، رجاء أن يقضى ابن مقله و طره، فزحف بدر الخرشنى، و التقى طريف فى أرض حلب، فانهزم طريف من بين يديه.

و تسلم بدر حلب، و أقام بها مده يسيره، ثم كوتب من الحضرة بالانصراف فرجع إلى الحضرة، و قلد طريف حلب مره ثالثه؛ فقلد طريف السبكرى من جهته حلب و العواصم فأقام بها إلى سنة أربع و عشرين و ثلاثمائة.

و كان قاضى حلب عبيد الله بن عبد الرحمن ابن أخى الإمام.

١- حكم القاهر من سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م إلى ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م.

٢- حكم الخليفة الراضى من سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م إلى ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م.

ثم ولى حلب أبو العباس أحمد بن سعيد بن العباس الكلابي؛ و مدحه أبو بكر الصنوبري؛ و كان بها نائبا عن أبي بكر الإخشيد محمد بن طعج بن جفّ - في غالب ظني - فان الأخشيد استولى على الشام إلى سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة.

و في ولايته أبي العباس الكلابي، وردت بنو كلاب إلى الشام من أرض نجد، و أغارت على معره النعمان، فخرج إليهم والي المعره معاذ بن سعيد بجنده، و تبعهم إلى البراغيثي، فعطفوا عليه، و أسروه و أكثر جنده. و أقام فيهم مده يعذبونه، فخرج إليهم أبو العباس أحمد بن سعيد الكلابي والي حلب، فخلصه منهم. و كان ورودهم في سنة خمس و عشرين و ثلاثمائة (١).

ثم إن الراضي قدم الموصل، و كان أبو بكر محمد بن رائق ببغداد (٢)، و بينه و بين بجكم وحشه؛ فأنفذ الراضي أبا الحسين عمر بن محمد القاضي إلى أبي بكر محمد بن رائق يخيّره في أحد البلدين: واسط، أو حلب و أعمالها؛ فاختر حلب؛ و أراد بذلك البعد عن بجكم، فأجابه الراضي إلى ذلك، و خلع عليه أبو جعفر و أبو الفضل ابنا الراضي و عقدا له.

و جعل بجكم يحثّ الراضي على الوصول إلى بغداد، و يتأسف على خروج ابن رائق منها ليشفى غيظه؛ فقال له الراضي: «هذا لا يصلح؛ و هذا رجل قد أمتته، و قلدته ناحيه من النواحي، فسمع و أطاع و ما أمكنك منه».

١- لمزيد من التفاصيل انظر ترجمه أحمد بن سعيد الكلابي في بغية الطلب ص ٧٦٠-٧٦١. و جاء في هذه الترجمة أن معاذ بن سعيد لاحق كلاب «إلى مكان يعرف بمرج البراغيث».

٢- لابن رائق ترجمه جيده في المقفى للمقریزی ج ٥ ص ٦٥٤-٦٥٩.

فخرج أبو بكر بن رائق في شهر ربيع الآخر من سنة سبع و عشرين و ثلاثمائة. و قيل: دخل حلب في سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة. و سار عنها إلى قتال الأخشيذ محمد بن طعج بن جف(١) الفرغاني؛ و ولي في حلب نيابه عنه خاصه محمد بن يزداد.

و جرت بين أبي بكر بن رائق و الإخشيذ وقعه انهزم فيها الإخشيذ؛ و سلم دمشق إلى ابن رائق، و اقتصر على الرمله و مصر.

ثم وقع بينهما وقعه أخرى في الجفار(٢)، أسر فيها أبو الفتح مزاحم بن محمد بن رائق، فرجع في عده يسيره حتى يخلص ابنه، فقتل أبو نصر بن طعج؛ فكفنه ابن رائق؛ و جعله في تابوت؛ و أنفذه إلى أخيه الإخشيذ مع ابنه مزاحم؛ و قال: «ما أردت قتل أخيك؛ و هذا ولدي قد أنفذته إليك لتقيده به». فخلع الإخشيذ عليه؛ و أعطاه مالا كثيرا، و رده. و ذلك في سنة تسع و عشرين و ثلاثمائة.

ثم أن أبا بكر محمد بن طعج الإخشيذ سير كافورا الخادم من مصر، و معه عسكر و في مقدمته أبو المظفر مساور بن محمد الرومي، أحد قواد الإخشيذ؛ فوصل إلى حلب؛ فالتقى كافور و محمد بن يزداد الوالي بحلب

١- لابن طعج ترجمه واسعه في كتاب المقفى للمقريزي ج ٥ ص ٧٤٥-٧٥٢.

٢- في روايه المقريزي أن المعركه وقعت باللجون، و اللجون عند ياقوت بلد بالأردن على عشرين ميلا من طبريه، و جاء عند ياقوت أيضا: الجفار: أرض من مسيره سبعة أيام بين فلسطين و مصر.

من قبل ابن رائق، فكسره كافور، و أسره، و أخذ منه حلب؛ و ولى بها مساور بن محمد الرومى؛ و عاد كافور إلى مصر.

و هذا أبو المظفر مساور بن محمد الرومى مدحه المتنبي بقوله:

أمساور أم قرن شمس هذا أم ليث غاب يقدم الأستاذ(١)

يريد بالأستاذ: كافورا الخادم. و ذكر فيها كسره ابن يزداذ فقال:

هبك ابن يزداذ حطمت و صحبه أترى الورى أضحوا بنى يزداذا

و مساور هو صاحب الدار المعروفه بدار ابن الرومى بالزجاجين بحلب، و تعرف أيضا بدار ابن مستفاد، و هى شرقى المدرسه العماديه التى جددها سليمان بن عبد الجبار بن أرتق بحلب، و هى المنسوبه إلى بنى العجمى(٢).

و أظن أن قاضى حلب فى هذا التاريخ كان أبا طاهر محمد بن محمد بن سفيان الدباس أو قبل هذا التاريخ.

ثم اتفق الإخشيد و محمد بن رائق على أن يخلى له الإخشيد حمص و حلب و يحمل إليه مالا؛ و زوج الإخشيد ابنته بمزاحم بن أبى بكر بن رائق.

و قتل ناصر الدوله أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان أبا بكر بن رائق، فى رجب سنه ثلاثين و ثلاثمائه بين يدى المتقى يوم الاثنين لتسع بقين منه.

١- ديوان المتنبي ص ١١٣.

٢- انظر الآثار الاسلاميه و التاريخيه فى حلب ص ٢٦٣.

و كان ابن رائق شهما مقداما سخيا جوادا، لكنه كان عظيم الكبر، مستبدا برأيه، منزوعا من التوفيق و العصمه و التسديد.

و كان أحمد بن علي بن مقاتل بحلب من جهة أبي بكر بن رائق و معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق، فقلد ناصر الدوله علي بن خلف ديار مضر و الشام؛ و أنفذ معه عسكريا، و كاتب يانس المؤمنسي أن يعاضده.

و كان يانس يلي ديار مضر من قبل ناصر الدوله فسار إلى «جسر منبج» و سار أحمد بن مقاتل و مزاحم إلى منبج، فالتقوا على شاطيء الفرات.

و سير يانس كاتبه و نذيرا غلامه برسالة إلى ابن مقاتل، فاعتقلهما و وقعت الحرب بين الفئتين؛ و لحق يانس جراح كادت تتلفه فعديل به إلى «قلعه نجم»<sup>(١)</sup> ليشده. و نظر نذير غلامه و هو معتقل في عسكري ابن مقاتل، على بغل إلى شاكري<sup>(٢)</sup> ليانس معه جنبيه من خيله، فأخذ سيف الشاكري، و ركب الجنيه؛ و صار إلى ابن مقاتل فقتله و انهزم عسكريه.

و أفاق يانس المؤمنسي، فسار و علي بن خلف متوجهين إلى حلب و تلاوم قواد ابن مقاتل على هزيمتهم؛ فعادوا إلى القتال في وادي بطنان، فانهزموا ثانيه؛ و ملك علي بن خلف و يانس المؤمنسي حلب في سنه ثلاثين و ثلاثمائه.

ثم إن علي بن خلف سار منها إلى الإخشيد محمد بن طغج، فاستوزره و علا أمره معه، إلى أن رآه يوما، و قد ركب في أكثر الجيش بالمطارد و الزبي؛

١- قلعه حصينه قرب جسر منبج. معجم البلدان.

٢- الشاكري: معرب جاكرو، و هو الأجير أو التابع.



و محمد جالس فى متنزه له، فأمر بالقبض عليه؛ فلم يزل محبوسا إلى أن مات محمد بن طغج. فأطلق و بقى يانس المؤنسى واليا على حلب فى سنه إحدى و ثلاثين و ثلاثمائه.

و كان يانس هذا مولى مؤنس المظفر الخادم، و تولى الموصل فى أيام القاهر، و كان يلى ديار مضر من قبل ناصر الدوله إلى أن كان من أمره ما ذكرناه. فاستأمن إلى الأخشيذ، و دعا له على المنابر بعمله.

و اتفق ناصر الدوله بن حمدان و توزون، فى سنه اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائه، على أن تكون الأعمال من مدينه الموصل إلى آخر أعمال الشام لناصر الدوله؛ و أعمال السن (١) إلى البصره لتوزون و ما يفتحه من وراء ذلك؛ و أن لا يعرض أحد منهما لعمل الآخر.

فولى ناصر الدوله حلب و ديار مضر و العواصم أبا بكر محمد بن على بن مقاتل صاحب ابن رائق فى شهر ربيع الأول من سنه اثنتين [و ثلاثين] و ثلاثمائه، و وافق ناصر الدوله أبا محمد بن حمدان على أن يؤدى إليه إذا دخل حلب خمسين ألف دينار.

فتوجه أبو بكر من الموصل و معه جماعه من القواد، و لم يصل إليها؛ فوقع بين الأمير سيف الدوله بن حمدان و بين ابن عمه أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان كلام بالموصل و أراد القبض عليه.

فقلد ناصر الدوله أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان، أخوا الأمير أبي فراس، حلب و أعمالها، و ديار مصر، و العواصم، و كلما يفتحه من الشام، فتوجه فى أول شهر رجب سنة اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة، و دخل الرقه بالسيف لأن أهلها حاربوه مع أميرها محمد بن حبيب البلزى، فأسره و سلمه، و أحرق قطعه من البلد و قبض على رؤساء أهله، و صادرهم.

و توجه إلى حلب و معه أبو بكر محمد بن على بن مقاتل، و بحلب يانس المؤنسى و أحمد بن العباس الكلابى، فهربا من بين يديه من حلب، و تبعهما إلى معره النعمان ثم إلى حمص.

و هرب أمير حمص اسحاق بن كيغلى بين يديه، و ملك هذه البلاد و دانت له العرب، ثم عاد إلى حلب، و أقام بها إلى أن وافى الأخشىذ أبو بكر محمد بن طغج بن جفّ الفرغانى.

و إنما لقب بالأخشىذ لأن ملك فرغانه يتسمى بذلك؛ و كان أبوه من أهل فرغانه.

و قدمها الإخشيدى فى ذى الحجه من سنة اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة. و لما دنا الإخشيد من حلب انصرف الحسين بن حمدان عنها لضعفه عن محاربتة إلى الرقه.

و كان ابن مقاتل مع ابن حمدان بحلب؛ فلما أحس بقرب الأخشىذ منها و تعويل ابن حمدان على الانصراف استتر فى مناره المسجد الجامع إلى أن انصرف ابن حمدان.

و دخل الاخشيد فظهر له ابن مقاتل، و استأمن إليه، و قلده الاخشيد أعمال الخراج و الضياع بمصر.

و أما الحسين بن سعيد، فإنه لما وصل إلى الرقة وجد المتقى لله بها هاربا من توزون التركي و قد تغلب على بغداد، و سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان مع المتقى بالرقة؛ و قد فارق أخاه ناصر الدولة لكلام جرى بينهما، فلم يأذن المتقى لأبي عبد الله الحسين في دخول الرقة، و أغلقت أبوابها دونه؛ و وقعت المباينة بينه و بين ابن عمه سيف الدولة؛ و سفر بينهما في الصلح، فتم، و مضى إلى حران و منها إلى الموصل.

و قدم الاخشيد عند حصوله بحلب مقدمته إلى بالس(١)، و سار بعدها بعد أن سیر المتقى أبا الحسن أحمد بن عبد الله بن اسحاق الخرقى يسأل الإخشيد أن يسير إليه ليجمع معه بالرقة، و يجدد العهد به، و يستعين به على نصرته، و يقتبس من رأيه.

فلما وصل أبو الحسن إلى حلب تلقاه الإخشيد، و أكرمه؛ و أظهر السرور و الثقة بقرب المتقى، و أنفذ من وقته مالا مع أحمد بن سعيد الكلابي إلى المتقى، و سار خلفه حتى نزل و بينه و بين المتقى الفرات، فراسله المتقى بالخرقى، و بوزيره أبي الحسين بن مقله؛ فعبّر إليه يوم الخميس لثلاث عشره ليله خلت من المحرم سنة ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائة.

---

١- هي مسكنه الآن في سوريه على الطريق الذي يصل حلب بالرقة.

و وقف بين يدي المتقى لله؛ ثم ركب المتقى لله فمشى بين يديه؛ وأمره أن يركب فلم يفعل؛ و حمل إليه هدايا و مالا كثيرا، و حمل إلى الوزير أبي الحسين بن مقله عشرين ألف دينار؛ و لم يدع أحدا من أصحاب المتقى و حواشيه و كتابه إلا برّه و وصله. و اجتهد بالمتقى لله أن يسير معه إلى الشام و مصر؛ فأبى. فأشار عليه بالمقام مكانه، و ضمن له أن يمده بالأموال فلم يفعل (١)، إلى أن كاتبه توزون، و خدعه، و قبض عليه و بايع المستكفي.

و كتب المتقى عهدا للإخشيذ بالشامات و مصر على أن الولاية له و لأبي القاسم أنوجور ابنه إلى ثلاثين سنة.

و كتب الإخشيذ في هذه السفره إلى عبده كافور الخادم إلى مصر و قال له: «و مما يجب أن تقف - عليه - أطال الله بقاءك - أنني لقيت أمير المؤمنين بشاطيء الفرات فأكرمني، و جاني (٢)، و قال: كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله»، فرحا بأنه كناه، و الخليفة لا يكنى أحدا.

- 
- ١- في ترجمه الاخشيذ في المقفى ج ٥ ص ٧٥٠: «و اجتهد المتقى أن يسير معه إلى مصر، فأشار عليه بالمقام مكانه و لا يرجع إلى بغداد، و أشار على ابن مقله أن يسير معه إلى مصر ليحكمه في جميع البلاد فلم يجبه، فخوفه من طوزون فلم يوافق». و كذا بالأصل و يرجع أنها تصحيف: «و كنانى» فقد جاء في ترجمه الاخشيذ في المقفى ج ٥ ص ٧٥٠، أن الاخشيذ التقى المتقى بالرقه « فلما قدم عليه بالرقه و وقف بين يديه و مشى عند ركوبه، فأمره المتقى بالركوب فلم يفعل، فألح عليه المتقى، و أكرمه و كناه و كنى ابنه و جعله خليفه له»، يضاف إلى هذا أن سياق الخبر يؤكد التصحيف.

## [عصر الدولة الحمدانية]

## إشارة

[عصر الدولة الحمدانية] (١)

و عاد الإخشيد من الرقة إلى حلب و سار إلى مصر. و ولى بحلب من قبله أبا الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن الوليد الكلابي، و ولى أخاه أنطاكية. فحسد أبا الفتح إخوته الكلابيون، و راسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسلموا إليه حلب، و قد كان طلب سيف الدولة من أخيه ناصر الدولة ولايه، فقال له ناصر الدولة: «الشام أمامك؛ و ما فيه أحد يمنعك منه».

و عرف سيف الدولة اختلاف الكلابيين، و ضعف أبي الفتح عن مقاومته، فسار إلى حلب؛ فلما وصل إلى الفرات خرج إخوه أبا الفتح عثمان بن سعيد بأجمعهم للقاء سيف الدولة؛ فرأى أبو الفتح أنه مغلوب إن جلس عنهم، و علم حسدهم (٢) له، فخرج معهم.

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- أفرد ابن العديم في آخر الجزء الأول من بغية الطلب بابا للحديث عن قبائل كلاب التي قطنت ديار حلب، ولدى بحثي في تاريخ الدولة المرديسية أدركت أن كلاب عانت دوما من التمزق و الصراعات الداخليه.

فلما قطع سيف الدوله الفرات، أكرم أبا الفتح دون إخوته، و أركبه معه فى العماريه(١)؛ و جعل سيف الدوله يسأله عن كل قريه يجتاز بها:

ما اسمها؟ فيقول أبو الفتح: هذه الفلانيه! حتى عبروا بقريه يقال لها «أبرم» و هى قريه قريبه من الفاي(٢). فقال له سيف الدوله: «ما اسم هذه القريه؟» قال أبو الفتح: «أبرم». فظن سيف الدوله أنه قد أكرهه بالسؤال. فقال له أبرم من الإبرام. فسكت سيف الدوله عن سؤاله. فلما عبروا بقري كثيره، و لم يسأله عنها علم أبو الفتح بسكوت سيف الدوله. فقال له أبو الفتح: «سيدى يا سيف الدوله، و حقّ رأسك، إنّ القريه التى عبرنا عليها اسمها ابرم، و اسأل عنها غيرى». فعجب سيف الدوله من ذكائه. فلما وصل حلب أجلسه معه على السرير.

و دخل سيف الدوله حلب، يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول، من سنه ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائه.

و كان القاضى بها أحمد بن محمد بن مائل، فعزله و ولى أبا حصين على بن عبد الملك بن بدر بن الهيثم الرقى؛ و كان ظالما، فكان إذا مات إنسان أخذ تركته لسيف الدوله. و قال: «كلّ من هلك فلسيف الدوله ما ترك، و على أبى حصين الدرك»(٣).

١- العماريه هودج يجلس فيه.

٢- الفاي: كوره بين منبج و حلب كبيره، و هى من أعمال منبج فى جهه قبلتها قرب وادى بطبان، و لها قري عامره، فيها بساتين و مياه جاريه. معجم البلدان.

٣- بهامش الأصل: «هذه حكايه عجيبه من قاض ظالم يقول: كل من هلك فلسيف الدوله- ما ترك، و على أبى حصين الدرك. بس ما قال هذا القاضى من مقاله القبيحه، و بس ما فعله من الفضيحه».

ثم إن الإخشيد سَيرَ عسكرًا إلى حلب مع كافور و يانس المؤنسى(١)؛ و كان الأمير سيف الدولة غازيا بأرض الروم قد هتك بلد الصمصاف(٢) و عربسوس(٣) فغنم؛ و رجع فسار لطيته إلى الإخشيدية، فلقبهم بالزُستن.

فحمل سيف الدولة على كافور، فانهزم و ازدحم أصحابه في جسر الزُستن، فوقع في النهر منهم جماعة.

و رفع سيف الدولة السيف، فأمر غلمانه أن لا يقتلوا أحدا منهم.

و قال: «الدم لى و المال لكم». فأسر منهم نحو أربعة آلاف من الأمراء و غيرهم، و احتوى على جميع سواده.

و مضى كافور هاربا إلى حمص، و سار منها إلى دمشق؛ و كتب إلى الإخشيد يعلمه بهزيمته؛ و أطلق سيف الدولة الأسارى جميعهم؛ فمضوا و شكروا فعله.

و رحل سيف الدولة بعد هزيمتهم إلى دمشق، و دخلها في شهر رمضان

١- فى المقفى ج ٥ ص ٧٥١: «فبعث- الاخشيد- فاتك و كافور بالجوش إلى الشام، ثم خرج يوم السبت لخمس خلون من شعبان سنة ثلاث و ثلاثين يريد محاربه سيف الدولة».

٢- الصمصاف: كوره من ثغور المصيصة. معجم البلدان، و من أجل المصيصة انظر بغية الطلب ج ١ ص ١٥٣-١٦٥.

٣- هى مدينة أفسوس فى تركيه، و كان من الرائج أنها مدينة أهل الكهف. انظر ما جاء حولها فى بغية الطلب ج ١ ص ٣٣٠-

سنة ثلاث و ثلاثين، و أقام بها. و كاتبه الإخشيد يلتمس منه الموادعه، و الاقتصار على ما فى يده؛ فلم يفعل.

و خرج سيف الدوله إلى الأعراب؛ فلما عاد منعه أهل دمشق من دخولها. فبلغ الإخشيد ذلك فسار من الرمله؛ و توجه يطلب سيف الدوله؛ فلما وصل طبريه عاد سيف الدوله إلى حلب بغير حرب، لأن أكثر أصحابه و عسكره استأمنوا إلى الإخشيد. فاتبعه الإخشيد إلى أن نزل معره النعمان فى جيش عظيم؛ فجمع سيف الدوله، و لقيه بأرض قنسرين، فى شوال من سنة ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائه.

و كان الإخشيد قد جعل مطارده و بوقاته فى المقدمه، و انتقى من عسكره نحو عشره آلاف؛ و سّماهم الصابريه فوقف بهم فى الساقه.

فحمل سيف الدوله على مقدمه الإخشيد فهزمها، و قصد قبته و خيمه؛ و هو يظنه فى المقدمه؛ فحمل الإخشيد و معه الصابريه فاستخلص سواده. و لم يقتل من العسكرين غير معاذ بن سعيد والى معره النعمان، من قبل الإخشيد؛ فإنه حمل على سيف الدوله ليأسره، فضربه سيف الدوله بمستوفى(١) كان معه فقتله.

و هرب سيف الدوله فلم يتبعه أحد من عسكر الإخشيد و سار على حاله إلى الجزيره فدخل الرقه. و قيل: إنه أراد دخول حلب فمنعه أهلها.

---

١- المستوفى: عمود حديد، طوله ذراعين، مربع الشكل، له مقابض مدوره.



و دخل الإخشيد حلب، و أفسد أصحابه في جميع النواحي، و قطعت الأشجار التي كانت في ظاهر حلب و كانت عظيمه جدا. و قيل: إنها كانت من أكثر المدن شجرا. و أشعار الصنوبرى تدل على ذلك.

و نزل عسكر الاخشيد على الناس بحلب؛ و بالغوا في أذى الناس لميلهم إلى سيف الدوله.

و عاد الإخشيد إلى دمشق بعد أن ترددت الرسل بينه و بين سيف الدوله، و استقر الأمر على أن أفرج الإخشيد له عن حلب و حمص و أنطاكيه.

و قزر عن دمشق مالا يحمله إليه في كل سنه.

و تزوج سيف الدوله بابنه أخى الإخشيد عبيد الله بن طغج (١)؛ و انتظم هذا الأمر على يد الحسن بن طاهر العلوى (٢) و سفارته، في شهر ربيع الأول، سنه أربع و ثلاثين و ثلاثمائه.

١- في المقفى ج ٥ ص ٧٥١: «و عاد الاخشيد إلى دمشق، فسار سيف الدوله إلى حلب و ملكها، و بعث إلى الاخشيد و هو في دمشق، فاصطلحا على مال يحمله للاخشيد في كل سنه، و زوجه الاخشيد بابنه أخيه».

٢- ترجم ابن العديم للحسن بن طاهر في بغيه الطلب ج ٥ ص ٢٤٠٨-٢٤١٣ و نقل عن ابن زولاق أنه بعدما هزم الاخشيد سيف الدوله عاد: «الأمير سيف الدوله عسكر مواجهها للاخشيد، فاختر الاخشيد المسالمه، و راسله بالحسن بن طاهر على مال يحمله إليه، و أن يكون لسيف الدوله من خرشنه إلى حمص، و زوجه ابنته فاطمه، و كان الولي الحسن بن طاهر بتوكيل الاخشيد، فسر سيف الدوله بذلك، و عقد النكاح، و نثر سيف الدوله في مضربه على الحاضرين ثلاثين ألف دينار، و نثر خارج المضرب أربعمائه ألف درهم. و حمل إلى الحسن بن طاهر مالا كثيرا و خلعا و حملاتا».

فسار الإخشيد إلى دمشق و عاد سيف الدولة إلى حلب؛ و توفي الإخشيد بدمشق في ذى الحجه، من سنه أربع و ثلاثين، و قيل: في المحرم من سنه خمس و ثلاثين و ثلاثمائة.

و ملك بعده ابنه أبو القاسم أنوجور؛ و استولى على التدبير أبو المسلك كافور الخادم.

و كان سيف الدولة، فيما ذكر، قد عمل على تخليه الشام. فلما مات الإخشيد سار كافور بعساكر مولاه إلى مصر من دمشق، و كان قد استولى على مصر رجل مغربي (١)، فحاربه كافور، و ظفر به.

و خلت دمشق من العساكر، فطمع فيها سيف الدولة، و سار إليها فملكها؛ و استأمن إليه يانس المؤنسي في قطعه من الجيش.

و أقام سيف الدولة بدمشق، و جبي خراجها؛ ثم أتته والدته «نعم» أم سيف الدولة إلى دمشق؛ و سار سيف الدولة إلى طبريه.

---

١- ترجم المقرئ في المقفى ج ٢ ص ٣١٣-٣١٩ لأنوجور، أنه عندما مات الإخشيد بدمشق كان أنوجور بمصر، و قد لحق به كافور فيما بعد، فخلت الشام من جيوش الإخشيد فاستغل الفرصه هذه سيف الدولة فاستولى على دمشق و سار إلى طبريه، فما كان من أنوجور إلا- أن «ندب العساكر إلى الشام، و عليها أبو المظفر- عم أنوجور- و كافور فسارا في جمع عظيم و معهما الوزير أبو على الحسين بن محمد بن على الماذرائي إلى الشام، و قاتلا- ابن حمدان، و دخلا دمشق» و في أثناء غياب الجيش بالشام ورد الخبر بخلاف غلبون بن سعيد المغربي متولى اخميم و خروجه عن الطاعه، فندب لقتاله شادن الصقلبي فانهزم منه ... فأخرج إليه عسكر آخر، ثم خرج أنوجور فلقية فانهزم منه، و ملك غلبون دار الاماره ... ثم عاد أنوجور فانهزم غلبون، و لحق بالصعيد، فخرجت إليه العساكر، و أحضر رأسه».

و كان سيف الدوله فى بعض الأيام يساير الشريف العقيقى بدمشق، فى الغوطه بظاهر البلد، فقال سيف الدوله للعقيقى: «ما تصلح هذه الغوطه تكون إلا- لرجل واحد»، فقال له الشريف العقيقى: «هى لأقوام كثير». فقال له سيف الدوله: «لئن أخذتها القوانين لىتبرأن أهلها منها». فأسرّها الشريف فى نفسه، و أعلم أهل دمشق بذلك.

و جعل سيف الدوله يطالب أهل دمشق بودائع الإخشيد و أسبابه؛ فكاتبوا كافورا فخرج فى العساكر المصريه، و معه أنوجور بن الإخشيد.

فخرج سيف الدوله إلى اللجون، و أقام أياما قريبا من عسكر الإخشيد ب «أكساک»<sup>(١)</sup>، فتفرق عسكر سيف الدوله فى الضياع لطلب العلوّفه، فعلم به الإخشيديه، فزحفوا إليه. و ركب سيف الدوله يتشرف، فرآهم زاحفين فى تعبئه، فعاد إلى عسكره فأخرجهم، و نشبت الحرب فقتل من أصحابه خلق و أسر كذلك.

و انهزم سيف الدوله إلى دمشق فأخذ والدته، و من كان بها من أهله و أسبابه؛ و سار من حيث لم يعلم أهل دمشق بالوقعه؛ و كان ذلك فى جمادى الآخره من سنه خمس و ثلاثين.

و جاء سيف الدوله إلى حمص؛ و جمع جمعا لم يجتمع له قط مثله، من بنى

---

١- تبعد أكساک عن الناصره سته كم فى اتجاه الجنوب الشرقى. و يجاورها من الشرق جبل الطور. معجم بلدان فلسطين لمحمد شراب.

عقيل، و بنى نمير، و بنى كلب، و بنى كلاب؛ و خرج من حمص. و خرجت عساكر ابن طعج من دمشق، فالتقوا «بمرج عذراء» و كانت الوقعه أولاً- لسيف الدوله ثم آخرها عليه، فانهزم، و ملكوا سواده؛ و تقطع أصحابه فى ذلك البلد، فهلكوا؛ و تبعوه إلى حلب، فعبر إلى الرّقه، و انحاز يانس المؤنسى من عساكر سيف الدوله إلى أنطاكيه(١).

و وصل ابن الإخشيد حلب، فى ذى الحجه من سنه خمس و ثلاثين و ثلاثمائه. فأقام بها و سيف الدوله فى الرّقه فراسل أنوجور يانس المؤنسى و هو بأنطاكيه، و ضمن هو و كافور ليانس أن يجعلاه بحلب فى مقابله سيف الدوله، و ضمن لهما يانس بأن يقوم فى وجه سيف الدوله بحلب، و أن يعطيهم ولده رهينه على ذلك فأجابوه.

و انصرف كافور و أنوجور بالعسكر عن حلب إلى القبله، و أتاهما يانس فتسلمها. و قيل: إن الإخشيديه عادوا.

و أقام سيف الدوله بحلب، فخالف عليه يانس و الساجيه، و أرادوا القبض عليه، فهرب و كتابه، و أصحابه، إلى الرّقه. و ملك يانس حلب.

و لم يقم يانس بحلب إلا شهرا، حتى أسرى إليه سيف الدوله إلى حلب، فى شهر ربيع الآخر، سنه ست و ثلاثين و ثلاثمائه؛ فكبسه، فانهزم يانس إلى سرمين(٢). يريد الإخشيد. فأنفذ سيف الدوله فى طلبه سريره مع

١- انظر المقفى للمقريزى ج ٢ ص ٣١٦.

٢- سرمين الآن قريه تتبع ناحيه قري مركز و منطقه أدلب، تبعد عن ادلب ٩ كم إلى الجنوب الشرقى. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

ابراهيم بن البارء العقيلي، فأدر كته عند ذا ذبيح (١)؛ فانهزم، و خلى عياله، و سواده، و اولاده. و انهزم إلى أخيه بميافارقين.

و كان ابن البارء قد وصل إلى سيف الدوله، فى سنه خمس و ثلاثين؛ و كان فى خدمه أخيه ناصر الدوله، ففارقه، و قدم على سيف الدوله.

ثم إن الرّسل ترددت بين سيف الدوله و ابن الإخشيد و تجدد الصلح بينهما على القاعده التى كانت بينه و بين أبيه، دون المال المحمول عن دمشق.

و عمر سيف الدوله داره بالحلبه (٢)، و قلد أبا فراس ابن عمه منبج، و ما حولها من القلاع. و استقرت ولايه سيف الدوله لحلب من سنه ست و ثلاثين و ثلاثمائه. و هذه هى الولايه الثالثه.

و جرى بينه و بين الروم وقائع أكثرها له و بعضها عليه.

فمنها: أنه فتح حصن برزويه (٣) فى سنه سبع و ثلاثين و ثلاثمائه من ابن اخت أبى الحجر الكردى (٤). و وقع بينه و بين الروم وقعه فكانت الغلبه للروم

١- ذكر ياقوت قريه ذا ذبيح و عدها من قري سرمين.

٢- من المعتقد أن موقع الحلبه، و كان خارج حلب، حيث الآن مركز انطلاق السيارات إلى المحافظات.

٣- وصف ابن العديم حصن برزويه و ذكر أنه كان يعرف فى أيامه باسم حصن برزويه. بغيه الطلب ج ١ ص ٣٢٨ - ٣٢٩، و برزويه الآن قلعه فى السفوح الشرقيه لجبال اللاذقيه، حملت قديما اسم ليزياس، على بعد ٣ كم شرق مضيق سلمى، مساحتها ثلاثه هكتارات، يحيط بها سور محصن بعشره أبراج مربعه أو مستطيله، و ظلت مقطونه حتى القرن الرابع عشر م. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٤- فى تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي - ط. طرابلس ١٩٩٠ ص ٧٧، « و فيه يومئذ أبو تغلب الكردى ».

و ملكوا مرعش و نهبوا طرسوس. و سار إلى ميثافارقين، و استخلف على حلب ابن أخيه محمد بن ناصر الدولة؛ و خرج لاون الدمستق إلى «بوقا»<sup>(١)</sup> من عمل أنطاكية. و خرج إليه محمد<sup>(٢)</sup> فكسره الدمستق، و قتل من عسكره خلقا، في سنة ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة.

و منها: أنه غزا، سنة تسع و ثلاثين و ثلاثمائة، و معه خلق عظيم، فظفر فيها، و غنم غنيمه كثيره. فلما رجع إلى درب الجوزات<sup>(٣)</sup>، و فارقه أهل الثغور، فاجتمع الروم في الدرب على سيف الدولة، فقتل خلق عظيم من المسلمين؛ و أسر كذلك.

و ما سلم إلا سيف الدولة على ظهر فرسه، و عرفوه فطلبوه، و لڑوه إلى جبل عظيم، و تحته واد، فخاف أن يأسروه إن وقف أو رجع، فضرب فرسه بالمهماز، و قبله الوادي، لكي يقتل نفسه، و لا يأسروه فوق الفرس قائما<sup>(٤)</sup>.

و خرج سيف الدولة سالما. و سميت هذه الغزاه غزاه المصيبه<sup>(٥)</sup>، و أخذ

١- بوقا حصن إلى الشمال من أنطاكية. معجم البلدان. بغية الطلب ج ١ ص ٢٢٩.

٢- محمد بن ناصر الدولة الحمداني. تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٨.

٣- حصن الجوزات بينه و بين طرسوس ثمانية فراسخ و هو بين البذنون و طرسوس، و هو حصن مذکور موصوف بالقوه. بغية الطلب ج ١ ص ٢١٢-٣١٣.

٤- كانت أسس الاستراتيجيه البيزنطيه في حروب الامبراطوريه مع سيف الدولة هي السماح له بقطع الممرات الصعبه في الجبال، و التحرش به في الداخل و اشغاله حتى تتمكن قوات البند من الرجاله من الانتشار بالممرات الجبلية و إقامه كمائن، و في طريق العوده كانت هذه القوات تعمل على حصر قوات سيف الدولة في الممرات و ابادتها، هذا و تمرکز في الجبال دوما قوات للانذار البيزنطي استخدمت المرايا العاكسه و النيران و شارات الدخان.

٥- من المرجح أن تاريخ يحيى بن سعيد هو مصدر ابن العديم، انظر ص ٧٨-٧٩.

له من الآلات، و الأموال، ما لا يحصى حتى أنه ذكر أنه هلك منه من عرض ما كان معه في صحبته خمسة آلاف ورقه بخط أبي عبيد الله بن مقله - رحمه الله - و كان منقطعا إلى بنى حمدان، و كان قد بلغ سيف الدولة إلى سمندو (١) و أحرق صارخه (٢) و خرشنه (٣).

و منها: أن سيف الدولة بنى مرعش في سنة إحدى و أربعين و ثلاثمائة، و أتاه الدمستق بعساكر الروم ليمنعه منها فأوقع به سيف الدولة الوقعه العظيمه المشهوره (٤).

و منها: أن سيف الدولة دخل بلد الروم، في سنة اثنتين و أربعين و ثلاثمائة، و أغار على زبطره (٥) و التقاه قسطنطين بن بردس و الدمستق على درب موزار (٦) و قتل من الفريقين خلق. ثم تم سيف الدولة إلى الفرات، و عبره، و قصد بطن هنزيط (٧)، و دخل سيف الدولة سميساط (٨)، فخرج الدمستق إلى

١- سمندو: بلد في وسط بلاد الروم في شمالي طريق مرعش إلى قيصريه. معجم البلدان.

٢- ذكر ياقوت صارخه و أن سيف الدولة غزاها سنة ٣٣٩ هـ.

٣- خرشنه بلد قرب ملطيه بين سيواس و قيصريه. معجم البلدان.

٤- أفرد ابن العديم في بغية الطلب بابا لذكر مرعش، و ذكر هذه الوقعه التي قال فيها المتنبي: أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا و أدبر إذ أقبلت يستبعد القربا

٥- زبطره: بلده قريبه من الحدث، بينها و بين الحدث ثمانيه عشر فرسخا. بغية الطلب ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

٦- على مقربة من ملطيه. تاريخ يحيى بن سعيد ص ٨٣. معجم البلدان.

٧- من ثغور الروم، ورد ذكره في شعرى المتنبي و أبي فراس. معجم البلدان.

٨- مدينه صغيره على الفرات و لها قلعه حصينه. بغية الطلب ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

ناحية الشام؛ فرجع سيف الدولة، فلحقه وراء مرعش، فأوقع به، وهزم جيشه، وقتل لاون البطريق في الحرب، وأسر قسطنطين وولد الدمستق، وحمله الإبريق إلى بيت الماء؛ وكان أمرد، فخرج فوجده قائما يبكي، ولم يزل عنده حتى مات من عله اعتلها(١).

و كان الدمستق استتر في تلك الوقعه في القناه و دخل فترهب، و لبس المسوح؛ ففي ذلك يقول المتنبي:

فلو كان ينجي من «عليّ» ترهب ترهبت الأملاك مثني و موحد(٢)

و قال أبو العباس أحمد بن محمد النامي(٣):

لكنه طلب الترهّب خيفهممّن له تتقاصر الأعمار

فمكان قائم سيفه عكازه و مكان ما يتمنطق الزّنار

١- نقل ابن العديم في بغية الطلب ص ٢٥٣٢ عن «تاريخ أبي اسحق ابراهيم بن حبيب السقطي صاحب كتاب الرديف في حوادث سنة اثنتين و خمسين و ثلاثائه في ذكر من توفي فيها قال: و فيها، أو في سنة ثلاث و خمسين مات أبو العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان ببلد الروم في أسره مسموما، و كان السبب في سمه أن ملك الطاغية بلغه أن علي بن حمدان فسق بآب قسطنطين، كان في أسره فأنفذوا من بلد الروم من سمه فهلك، و سمّوا هم أبا العشائر بن حمدان حنقا لما جرى من قتلهم ابن قسطنطين». و جاء في الأعلام الخطيرة لابن شداد- ط. دمشق ١٩٩١ ج ١ ق ٢ ص ٣١٢ عن ابن أبي طي الحلبي: «أن قسطنطين المأسور كان في غايه الحسن، فبذل أبوه فيه ثمانمائه ألف دينار، و ثلاثه آلاف أسير، فاشتط سيف الدولة، فسير الدمستق إلى عطار كان بحلب، نصرانيا، و أمره أن يسقى ولده سما ففعل فمات، وعدت هذه من غلطات سيف الدولة».

٢- ديوان المتنبي ص ٩٤.

٣- أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي، المعروف بالنامي، كان من خواص سيف الدولة، و عدّ بالمرتبته التاليه للمتنبي. يتيمه الدهر ج ١ ص ٢٤١-٢٤٩.



و بنى سيف الدوله الحدث(١)، و قصده الدمستق بردس، فاقتلا سحابه يومهما. و كان النصر للمسلمين، و ذلك فى سنه ثلاث و أربعين، و أسر صهر الدمستق على ابنته اعور جرم(٢)، بعد أن سلمها أهلها إلى الدمستق.

و منها: أن سيف الدوله غزا سنه خمس و أربعين بطن هنزيط و نزل شاطىء أرسناس(٣)، و كبس يانس ابن شمشقيق(٤) على تل بطريق(٥) فهزمه و فتحها.

و قتل فى هذه الوقعه رومانوس بن البلنطس صهر ابن شمشقيق، و أسر ابن قلموط(٦)، و انثنى سيف الدوله قافلا- إلى درب الخياطين(٧)، فوجد عليه

١- و تعرف بالحدث الحمراء لحمره أرضها، و هى مدينه كثيره الماء و الزروع. بغيه الطلب ج ١ ص ٢٣٩.

٢- فى بغيه الطلب ج ١ ص ٢٤٢: «و كان أسر قودس- أى Theodose الأعور بطريق سمندو و ابن ابنه الدمستق» انظر أيضا .

٢٠- Cambridge Medieval History ,Vol ٤, PP ٧١٩PartiI .

٣- هو نهر «مرادصو» اليوم، و يعد من فروع الفرات، و قال عنه ياقوت. «نهر ببلاد الروم يوصف ببروده مائه».

٤- يوحنا تدمسيس، و كان من أصل أرمنى، و هو بالأرمنيه Gemezkgig و معناه «قصير القامه» أعلن امبراطورا سنه ٩٦٩ م و استمر حتى سنه ٩٧٦ م. أوروبا العصور الوسطى لعاشور- ط. القاهره ١٩٦٦ ص ٤٢٣.

٥- يقع تل بطريق على الطرف الغربى للفرات، بينه و بين الفرات ثلاثه فراسخ. معجم البلدان.

٦- انظر نخب تاريخيه و أدبيه جامعه لأخبار الأمير سيف الدوله الحمدانى، لموريس كنار- ط. الجزائر ١٩٣٤ ص ٣٧٨.

٧- حدده كنار ص ١١٦ بأنه قريب من آمد.

كذو بن الدمستق فأوقع به و هزمه.

و خلف ابن عمه أبا العشائر الحسين بن عليّ عليّ عماره عرنداس فقصدته ليون بن الدمستق فهزمه، و أسره، و حملة إلى قسطنطينيه، فمات بها(١).

و غزا في هذه السنه في جمادى الآخره مع أهل الثغور و خرب مواضع من بلاد الروم مثل خرشنه و صارخه. و أسر الرست بن البلنطس؛ و أسر لاون بن الاسطراطيجوس، و ابن غزال بطريق مقدونيه؛ و هرب الدمستق و بركيل بطريق الخالديات؛ فلما قفل سيف الدوله فكّ قيود الأسارى، و خلع عليهم، و أحسن إليهم(٢).

و في جمادى الأولى من سنه ست و أربعين كاتب الروم جماعه من غلمان سيف الدوله بالقبض عليه، و حملة إلى الدمستق عند شخوصه لمحاربتة؛ و بذل لهم مالا عظيما على ذلك. فخرج سيف الدوله عن حلب و قد عزموا على ذلك، فصار بعض الفراشين إلى ابن كيغلق فأخبره بما عزموا عليه؛ فأعلم سيف الدوله، فجمع الأعراب و الدّيلم؛ و قتل منهم مائه و ثمانون غلاما، و قبض على زهاء مائتي غلام، فقطع أيديهم و أرجلهم و ألسنتهم، و هرب بعضهم.

و عاد إلى حلب و قتل من بها من الأسرى، و كانوا زهاء أربعمائته أسير؛

١- لأبي العشائر ترجمه جيده في بغيه الطلب ص ٢٥٢٧-٢٥٣٢، فيها تفاصيل ما أوجز هنا.

٢- انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ٨٧.

و ضيق على ابن الدمستق، و زاد في قيده، و صيره في حجره معه في داره، و أحسن إلى ذلك الفراش، و قلد ابن كيغلق أعمالا، و تنكر على سائر غلماناه.

و منها: أن يانس بن شمشقيق خرج إلى ديار بكر، و نزل على حصن اليماني (١). و عرف سيف الدوه خبره، فسير إليه نجا الكاسكي في عشره آلاف فارس، فالتقاء فانهزم نجا، و قتل من أصحابه خمسه آلاف فارس؛ و أسر مقدار ثلاثه آلاف راجل؛ و استولى على سواد نجا كله.

و سار ابن شمشقيق و البراكموس (٢) إلى حصن سميساط، و فتاحه؛ ثم سارا إلى رعبان (٣)، و حصراها؛ و سار سيف الدوله إليهما، و لقيهما؛ فاستظهر الروم عليه استظهارا كثيرا.

و عاد سيف الدوله منهزما و تبعه الروم و قتلوا، و سبوا من عشيرته و قواده ما يكثر عدده؛ و ذلك في سنه سبع و أربعين و ثلاثمائه (٤).

و في هذه السنه قدم ناصر الدوله الحسين بن عبد الله بن حمدان (٥) أخو

١- انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ٨٨. حيث قال: «و نزل على حصن يقال له اليماني من عمل آمد».

٢- Basile parakimaumene الابن الطبيعي للامبراطور رومانوس الثاني (٩٥٩-٩٦٣ م) و الذي سيكون الامبراطور باسيل الثاني سفاح البلغار ٩٧٦-١٠٢٥ م].

٣- رعبان مدينه صغيره، قديمه البناء، و لها قلعه حسنه، بينها و بين الحدث سبعة فراسخ. بغيه الطلب ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٠.

٤- لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ٨٨-٨٩.

٥- لناصر الدوله ترجمه في بغيه الطلب ص ٢٤٣٣-٢٤٣٧.

سيف الدوله مستنجدا بأخيه سيف الدوله إلى حلب و معه جميع أولاده عندما قصد معز الدوله الموصل. و تلقاه سيف الدوله على أربع فراسخ من حلب، و لما رآه ترجل له. و أنفق سيف الدوله عليه و على حاشيته؛ و قدم لهم من الثياب الفاخره و الجواهر ما قيمته ثلاثمائه ألف دينار.

و كان يجلس ناصر الدوله على السرير؛ و يجلس سيف الدوله دونه. و لما دخل دار سيف الدوله و جلس على السرير؛ جاء سيف الدوله لينزع خفه من رجله؛ فمدّهما إليه، فنزعهما بيده. و صعب على سيف الدوله لأنه قدّر أنه إذا خفض له نفسه إلى ذلك رفعه عنه، فلم يفعل ذلك إظهاراً لمن حضر أنه و إن ارتفعت حاله، فهو كالولد و التبّع. و كان يعامله بأشياء نحو ذلك قبيحه كثيره فيحتملها على دخن. و تحمل عنه سيف الدوله لمعز الدوله مائتي ألفاً من الدراهم حتى انصرف عنه(١).

و في هذه السنه مات قسطنطين بن لاوى(٢) ملك الروم، و صيّر نفقور بن الفقّاس دمستقا على حرب المغرب، و أخاه ليون بن الفقّاس دمستقا على حرب المشرق؛ فتجهّز ليون إلى نواحي طرسوس(٣)، و سبي، و قتل، و فتح

١- لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ٨٩-٩٠. أخبار الدوله الحمدانيه لعلي ابن ظافر الأزدي- ط. دمشق ١٩٨٥ ص ١٨-١٩.

٢- هو عند يحيى بن سعيد ص ٩١ «ابن لاون».

٣- ما تزال طرسوس تحمل الاسم نفسه في تركيه، و كانت أهم مدن الثغور، «بها كان يقوم سوق الجهاد، و ينزلها الصالحون و العباد، و يقصدها الغزاه من سائر البلاد». اهتم بها ابن العديم و أودع كتابه بغيه الطلب مواداً ثمينه عنها ج ١ ص ١٧٥-٢٠٤.

الهارونيه(١)، و سار إلى ديار بكر.

و توجه إليه سيف الدوله فرحل الدمستق راجعا إلى الشام؛ و قتل من أهله عددا متوافرا، و أخرج حصونا كثيره من حصون المسلمين؛ و أسر محمد بن ناصر الدوله.

و منها: غزوه مغاره الكحل(٢): غزا سيف الدوله في سنه ثمان و قيل تسع و أربعين و ثلاثمائة بلاد الروم، فقتل، و سبي. و عاد غانما يريد درب مغاره الكحل؛ فوجد ليون بن الفقاس الّدمستق قد سبقه إليه، فتحاربوا؛ فغلب سيف الدوله. و ارتجع الروم ما كان أخذه المسلمون؛ و أخذوا خزانه سيف الدوله و كراعه و قتل فيها خلق كثير.

و أسر أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان و ترك بخرشنه. و أسر على بن منقذ بن نصر الكنانى فلم يؤخذ له خبر. و أسر مطر بن البلدى، و قاضى حلب أبو حصين الرقى، و قتلا. و قيل: إنّ أبا حصين قتل في المعركه فداسه سيف الدوله بحصانه، و قال: «لا رضى الله عنك، فإنّك كنت تفتح لى أبواب الظلم». و قيل: إنهم لما أخذوا الطرق على سيف الدوله و ثب به حصانه عشرين ذراعا. و قيل: أربعين؛ فنجوا فى نفر قليل.

و ولى سيف الدوله، بعد قتل أبى حصين، أحمد بن محمد بن مائل

١- الهارونيه حصن صغير غربى جبل اللكام، بناه هارون الرشيد. بغيه الطلب ج ١ ص ٢١٩.

٢- فى تاريخ يحيى بن سعيد ص ٩٤ «مغاره الكجك» و يستدل من روايته أن هذا الموقع كان على مقربه من المصيصة.

قضاء حلب، و كان قد عزله بأبى حصين حين ملك. و ذلك أنه لما قدم حلب خرج للقائه أبو طاهر بن مائل فترجل له أهل حلب، و لم يترجل القاضى لأحد، فأغتاظ سيف الدولة و عزله.

ثم قدم سيف الدولة من بعض غزواته فترجل له ابن مائل مع الناس.

فقال له: «ما الذى منعك أولاً، و حملك ثانياً؟». فقال له: «تلك المره لقيتك و أنا قاضى المسلمين، و هذه الدفعه لقيتك، و أنا أحد رعاياك». فاستحسن منه ذلك.

فلما قتل أبو حصين أعاده إلى القضاء. و ولى سيف الدولة أيضا قضاء حلب أبا جعفر أحمد بن اسحاق بن محمد بن يزيد بن الحلبي المعروف بالجرد، و كان حنفى المذهب.

و نقل الملك رومانوس إلى حرب المشرق نقفور بن الفقاس الدمستق؛ فسار إليه رشيق النسيمي أمير طرسوس فى حميه من المسلمين؛ فبرز إليه نقفور فقاتله؛ و انهزم رشيق و قتل من المسلمين زهاء تسعه آلاف رجل(١).

و عاد نقفور فضايق عين زربه(٢) و فتحها بالأمان فى ذى القعدة سنه خمسين و ثلاثمائه؛ و هدم سورها فانهزم أهلها إلى طرسوس. و فتح حصن دلوك، و مرعش، و رعبان، فى سنه إحدى و خمسين و ثلاثمائه(٣).

١- لرشيقي النسيمي ترجمه غنيه بالمعلومات فى بغيه الطلب ص ٣٦٥٦ - ٣٦٥٨.

٢- مدينه من الثغور الشاميه، بينها و بين المصيصة ثمانيه عشر ميلا. بغيه الطلب ج ١ ص ١٦٧.

٣- لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ٩٦ - ٩٧.

ثم إن نففور بن الفقاس الدمستق و يانس بن شمشقيق قصدا مدينه حلب فى هذه السنه، و سيف الدوله بها، و كانت موافاتهما كالكبسه. و قيل:

إنّ عدّه رجاله مائتا ألف فارس، و ثلاثون ألف راجل بالجواشن، و ثلاثون ألف صانع للهدم و تطريق الثلج، و أربعه آلاف بغل عليها حسك حديد يطرحه حول عسكره ليلا.

و لم يشعر سيف الدوله بخبرهم، حتى قربوا منه. فأنفذ إليهم سيف الدوله غلامه «نجا» فى جمهور عسكره، بعد أن أشار عليه ثقاته و نصحاؤه بأن لا يفارق عساكره. فأبى عليهم و مضى نجا بالعسكر إلى الأتارب (١). ثم توجه منها داخلا- إلى أنطاكيه فخالفه عسكر الروم؛ و وصل إلى دلوكة؛ و رحل منها إلى تل حامد (٢)، ثم إلى تبل (٣).

و اتصل خبره بسيف الدوله فعلم أنه لا يطيقه مع بعد جمهور العسكر عنه، فخرج إلى ظاهر حلب و جمع الحلبيين و قال لهم: «عساكر الروم تصل اليوم، و عسكرى قد خالفها؛ و الصواب أن تغلقوا أبواب المدينه، و تحفظوها؛ و أمضى أنا ألتقى عسكرى، و أعود إليكم و أكون من ظاهر البلد، و أنتم من باطنه، فلا يكون دون الظفر بالروم شىء».

١- تعرف الآن بالأتارب، و هى بلده و مركز ناحيه تتبع منطقه جبل سمعان و تبعد عن حلب ٣٠ كم نحو الجنوب الغربى. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٢- تل حامد المذكور هنا واقع إلى الجنوب من دلوكة. نخب تاريخيه لکنار ص ٣٨٤.

٣- تبل من قرى عزاز و تبعد عنها ٨ كم. انظرها فى معجم البلدان.

فأبى عامه الحلبيين و غوغاؤهم، و قالوا: «لا تحرمننا أيها الأمير، الجهاد؛ و قد كان فينا من يعجز عن المسير إلى بلد الروم للغزو، و قد قربت علينا المسافه». فلما رأى امتناعهم عليه، قال لهم: «اثبتوا فإني معكم».

و كان سيف الدوله على بانقوسا(١)، و وردت عساكر الروم إلى الهزازه(٢)، فالتقوا فانهمز الحلبيون، و قتل و أسر منهم جماعه كثيره و قتل أبو داود بن حمدان، و أبو محمد الفياضى كاتب سيف الدوله(٣)، و بشرى الصغير غلام سيف الدوله؛ و كان أسند الحرب ذلك اليوم إليه، و جعله تحت لوائه.

و مات فى باب المدينه المعروف بباب اليهود(٤) ناس كثير لفرط الزحمه.

و كان سيف الدوله راكبا على فرس له يعرف بالفحى؛ فانهمز مشرقا حتى بعد عن حلب. ثم انحرف إلى قنسرين فبات بها.

و أقام الروم على ظاهر البلده أربعة أيام محاصرين لها، فخرج شيوخ حلب إلى نقفور يسألونه أن يهب لهم البلد، فقال لهم: «تسلمون إليّ ابن

١- بانقوسا الآن من أحياء حلب، و قال عنها ياقوت: جبل فى ظاهر مدينه حلب.

٢- الهزازه الآن من أحياء الشمال الغربى من حلب.

٣- له ترجمه فى يتيمة الدهر، حيث قال عنه الثعالبي: أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض، كاتب سيف الدوله و نديمه، أخذ بطرفى النظم و النثر، و كان سيف الدوله لا يؤثر عليه فى السفاره إلى الحضرة أحدا، لحسن عبارته و قوه بيانه، و نفاذه فى استغراق الأغراض، و تحصيل المراد. يتيمة الدهر ج ١ ص ١١٧-١١٩.

٤- هو الباب الشمالى لمدينه حلب، سمي بذلك لأن محال اليهود كانت من داخله، غيره السلطان الملك الظاهر غازى ابن صلاح الدين، و إثر ذلك «سمى الباب باب النصر، و محى عنه اسم باب اليهود» بغيه الطلب ج ١ ص ٥٥.



حمدان». فحلفوا أن، ابن حمدان ما هوف البلد. فلما علم أن سيف الدوله غائب عنها طمع فيها و حاصرها.

وقيل: إنَّ نقفور خرج إليه شيوخ حلب باستدعاء منه لهم، يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذى القعدة من السنه. و كان نزوله على المدينه، يوم السبت العشرين من ذى القعدة. و جرى بينه و بينهم خطاب آخره على أن يؤمنهم، و يحملوا إليه مالا، و يمكنوا عسكره أن يدخل من باب و يخرج من آخر، و ينصرف عنهم عن مقدره. فقالوا له: «تمهلنا الليله حتى نتشاور، و نخرج غدا بالجواب». ففعل، و مضوا، و تحدّثوا، و خرجوا بكره الثلاثاء إليه، فأجابوه إلى ما طلب. فقال لهم نقفور: «أظنكم قد رتبتم مقاتلتكم فى أماكن مختلفين بالسلاح حتى إذا دخل من أصحابى من يمكنكم أن تطبقوا عليه و تقتلوه فعلتم ذلك». فحلف له بعضهم من أهل الرأى الضعيف أنه ما بقى بالمدينه من يحمل سلاحا، و فيه بطش، فكشفهم نقفور عند ذلك، فعند ذلك قال لهم: «انصرفوا اليوم و اخرجوا إلى غدا»؛ فانصرفوا.

و قال نقفور لأصحابه: «قد علمتم أنه ما بقى عندهم من يدفع، فطوفوا الليله بالأسوار و معكم الآله، فأى موضع رأيتموه ممكننا فتسوّروا إليه، فانكم تملكون الموضع.

فطافوا، و كتّموا أمرهم، و أبصروا أقصر سور فيها مما يلى الميدان بباب قنّسرين، فركبوه، و تجمعوا عليه؛ و كان وقت السحر، و صاحوا، و دخلوا المدينه.

وقيل: إنّ أهل حلب قاتلوا من وراء السور، فقتل جماعه من الروم بالحجاره و المقالع؛ و سقطت ثلمه من السور على قوم من أهل حلب فقتلتهم.

و طمع الروم فيها فأكبوا عليها، و دفعهم الحلبيون عنها؛ فلما جهّم الليل اجتمع عليها المسلمون، فبنوها، فأصبحوا و قد فرغت، فعملوا عليها و كتبوا؛ فبعد الروم عن المدينة إلى جبل جوشن (١).

فمضى رجاله الشرط و عوام الناس إلى منازل الناس، و خانات التجار، لينهبوها. فاشتغل شيوخ البلد عن حفظ السور، و لحقوا منازلهم. فرأى الروم السور خاليا فتجاسروا، و نصبوا السلالم على السور، و هدموا بعض الأبدان، و دخلوا المدينة من جهة برج الغنم، ليله الثلاثاء لثمان بقين من ذى القعدة من سنة إحدى و خمسين. و قيل: يوم الثلاثاء آخر ذى القعدة، فى السحر.

و أخذ الدمستق منها خلقا من النساء و الأطفال؛ و قتل معظم الرجال، و لم يسلم منه إلا- من اعتصم بالقلعه من العلويين، و الهاشميين و الكتّاب، و أرباب الأموال. و لم يكن على القلعه يومئذ سور عامر فإنها كانت.

قد تهدمت، و بقى رسومها. فجعل المسلمون الأكف (٢) و البراذع بين أيديهم.

و كانت بها جماعه من الديلم الذين ينسب إليهم درب الديلم (٣).

١- جبل جوشن فى ظاهر حلب غربيها.

٢- جمع أكاف، أى البراذع.

٣- على مقربه من باب الجامع الشرقى. الأعلام الخطيره ج ١، ق ١، ص ٣٤٤.

بحلب، فزحف إليها ابن أخت الملك، فرماه ديلمى فقتله فطلبه من الناس فرموه برأسه، فقتل عند ذلك من الأسرى اثني عشر ألف أسير. وقيل أكثر من ذلك، وقيل أقل؛ والله أعلم.

و أقام نقفور بحلب ثمانية أيام ينهب، و يقتل، و يسبى باطنا و ظاهرا.

وقيل: إنه أخرج القصر الذى أنشأه سيف الدولة بالحلب، و تنهى فى حسنه، و عمل له أسوارا، و أجرى نهر قويق فيه من تحت الخناقية(١)، يمر من الموضع المعروف بالسقايات حتى يدخل فى القصر من جانب، و يخرج من آخر، فيصب فى المكان المعروف بالفيض(٢)، و بنى حوله اصطبلا و مساكن لحاشيته.

وقيل: إن ملك الروم وجد فيه لسيف الدولة ثلاثمائة و تسعين بدره دراهم؛ و وجد له ألفا و أربعمائه بغل، فأخذها. و وجد له من خزائن السلاح ما لا يحصى كثره فقبض جميعها، و أحرق الدار فلم تعمر بعد ذلك؛ و آثارها إلى اليوم ظاهرة.

و يقال: إن سيف الدولة رأى فى المنام أن حيه قد تطوقت على داره فعظم عليه ذلك، فقال له بعض المفسرين: الحيه فى النوم ماء. فأمر بحفر يحفر بين داره و بين قويق، حتى أدار الماء حول الدار.

و كان فى حمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات، فدخل على

---

١- من منتزهات حلب، و سلفت الاشاره إلى تحديد مكان قصر سيف الدولة فى أنه حيث مركز انطلاق السفريات إلى المحافظات.

٢- من منتزهات حلب. تاريخ حلب لابن الشحنة- ط. طوكيو ١٩٩٠ ص ٢٤٥.

سيف الدوله فقال له كلاما معناه: أنّ الروم تحتوى على دارك. فأمر به فدفع، و أخرج بعنف. و قضى الله سبحانه أنّ الروم خرجوا، ففتحوا حلب، و استولوا على دار سيف الدوله، فذكر معبر المنام أنه دخل على سيف الدوله بعد ما كان من أمر الروم، فقال له: ما كان من أمر ذلك المنام الملّعن؟.

و كان المعتصمون بالقلعه و الروم بالمدينه تحت السماء ليس لهم ما يظلمهم من الهواء و المطر، و يتسلّون فى الليل إلى منازلهم فإن وجدوا شيئاً من قوت أو غيره أخذوه و انصرفوا.

ثم ان نقفور أحرقت المسجد الجامع و أكثر الأسواق، و الدار التي لسيف الدوله، و أكثر دور المدينه. و خرج منها سائراً إلى القسطنطينيه بعد أن ضرب أعناق الأسارى من الرجال، حين قتل ابن أخت الملك؛ و كانوا ألفاً و مائتى رجل (١).

و سار بما معه و لم يعرض لسواد حلب و القرى التي حولها. و قال: «هذا البلد قد صار لنا، فلا تقصروا فى عمارته؛ فإنّنا بعد قليل نعود إليكم».

و كان عدده من سبى من الصبيان و الصبايا بضعه عشر ألف صبى و صبيه؛ و أخذهم معه.

و قيل: إنّ جامع حلب كان يضاهى جامع دمشق فى الزخرفه و الرخام و الفسيفساء- و هى الفص المذهب- إلى أن أحرقت الدمستق- لعنه الله- و إنّ

سليمان بن عبد الملك اعتنى به كما اعتنى أخوه الوليد بجامع دمشق(١).

و سار الدمستق عنها، يوم الأربعاء مستهل ذى الحجه من سنه إحدى و خمسين و ثلاثمائة.

و اختلف فى السبب الذى أوجب رحيل نقفور عن حلب، فقيل: إنه ورد إليه الخبر أن رومانوس الملك وقع من ظهر فرسه فى الصيد بالقسطنطينيه، و انهم يطلبونه ليملكوه عليهم.

و قيل: سبب رحيله أن نجا عاد بجمهور العسكر إلى الأمير سيف الدوله فاجتمع به. و جعل يواصل الغارات على عسكر الروم، و تبلغ غاراته إلى السعدى(٢)؛ و أنه أخذ جماعه من متعلمه الروم. و استنجد سيف الدوله بأهل الشام، فسار نحوه ظالم بن السلال العقيلي(٣) فى أهل دمشق؛ و كان يليها من قبل الإخشيديه. فكان ذلك سببا لرحيله عن حلب.

و كان هذا نقفور بن الفقاس الدمستق، قد دوّخ بلاد الإسلام، و انتزع من أيدي المسلمين جملة من المدن، و الحصون، و المعاقل؛ فانتزع الهارونيه،

١- نقل ابن شداد فى الأعلام الخطيره ج ١ ق ١ ص ١٠٣-١٠٥ عن ابن العديم وصف المسجد الجامع فى حلب.

٢- من منتزهات حلب. ابن الشحنة ص ٢٤٥.

٣- يرجح أن المشار إليه هنا هو ظالم بن موهوب العقيلي الذى ولى دمشق للفاطمين سنه ٣٦٠هـ، حيث يبدو أنه عمل من قبل مع الاخشيديه ثم تعاون مع القرامطه. انظر تاريخ دمشق لابن القلانسى - تحقيقى - ط. دمشق ١٩٨٣ ص ٩.

و عين زربه- كما ذكرناه- و كذلك دلوک، و أذنه(١)، و غير ذلك من الثغور.

و نزل على أذنه فى ذى الحجه من سنه اثنتين و خمسين، و لقيه نفيير طرسوس فهزمهم و قتل منهم مقدار أربعة آلاف، و انهزم الباقون إلى تلّ بالقرب من أذنه؛ فأحاط الروم بهم و قاتلوهم و قتلوهم بأسرهم.

و هرب أهل أذنه إلى المصيصه(٢) و حاصرها نقفور مده فلم يقدر عليها بعد أن نقب فى سورها نقوبا عده. و قلت الميره عندهم فانصرف، بعد أن أحرق ما حولها.

و ورد فى هذا الوقت إلى حلب انسان من أهل خراسان و معه عسكر لغزو الروم؛ فاتفق مع سيف الدوله على أن يقصدا نقفور و كان سيف الدوله عليلا فحمل فى قبه؛ فألفياه و قد رحل عن المصيصه.

و تفرقت جموع الخراسانى لشده الغلاء فى هذه السنه بحلب و الثغور؛ و عظم الغلاء و الوباء فى المصيصه و طرسوس حتى أكلوا الميتة.

و عاد نقفور إلى المصيصه و فتحها بالسيف فى رجب سنه أربع و خمسين و ثلاثمائة. و فتح أيضا كفريّا فى هذه السنه و مرعش. و فتح طرسوس من أيدي المسلمين فى شعبان سنه أربع و خمسين و ثلاثمائة(٣).

١- هى أضنه الحاليه فى تركيا، أفرد لها ابن العديم بابا فى كتابه بغيه الطلب ج ١ ص ١٦٩-١٧١.

٢- من مدن الثغور، تشتمل على مدينتين بينهما نهر جيحان: مدينه المصيصه من الجانب الغربى من النهر، و مدينه كفرييا من الجانب الشرقى. بغيه الطلب ج ١ ص ١٥٣-١٦١.

٣- الماده التى رواها ابن العديم عن سقوط طرسوس و ثائقه آخرها: «أن نقفور لما صالح أهل - طرسوس، و خرجوا منها و تسلمها صعده على منبرها و قال: يا معشر الروم أين أنا؟ قالوا: على منبر طرسوس، فقال: لا بل أنا على منبر بيت المقدس، و هذه البلده التى كانت تمنعكم من بيت المقدس» و جعلت الروح الدينيه المتعصبه التى أظهرتها حملات نقفور و الذين تقدموه المؤرخين يطلقون عليها اسم صليبيه القرن العاشر. بغيه الطلب ج ١ ص ١٩٤-١٩٧.

و كان المسلمون يخرجون فى كل سنه و يزرعون الزرع فىأتى بعساكره فىفسده.

فضعفت، و تخلى ملوك الإسلام عن أهل الرباط بها؛ و كان فىها فىما ذكر أربعون ألف فارس، و فى عتبه بابها أثر الأسنّه إلى اليوم. فلما رأى أهلها ذلك راسلوا نقفور المذكور، فوصل إليهم، و أجابوه إلى التسليم. و قال لهم:

«إنّ كافورا الخادم قد أرسل إليكم غله عظيمه فى المراكب، فان اخترتم أن تأخذوها و أنصرف عنكم، فى هذه السنه، فعلت». فقالوا: لا. و اشترطوا عليه أن يأخذوا أموالهم. فأجابهم إلى ذلك إلا السلاح.

و نصب رمحين جعل على أحدهما مصحفا، و على الآخر صليبا. ثم قال لهم: «من اختار بلد الاسلام فليقف تحت المصحف؛ و من اختار بلد النصرانيه فليقف تحت الصليب». فخرج المسلمون فحزروا بمائه ألف ما بين رجل و أمراه و صبى؛ و انحازوا إلى أنطاكيه.

و دخل نقفور إلى طرسوس، و صعد منبرها، و قال لمن حوله: «أين أنا؟» فقالوا: «على منبر طرسوس» فقال: «لا؛ و لكنى على منبر بيت المقدس؛ و هذه كانت تمنعكم من ذلك».

و استولى بعد موت سيف الدوله فى سنه سبع و خمسين على كفر طاب، و شيزر، و حماه، و عرقه (١)، و جبله، و معرّه النعمان، و معره مصرين، و تيزين (٢)، ثم فتح أنطاكيه فى سنه ثمان و خمسين؛ على ما نذكره بعد- إن شاء الله تعالى.

و صارت وقعاته للروم و النصارى كالتزه و الأعياد. و حكم فى البلاد حكم ملوك الروم. و لما رجع عن حلب سار إلى القسطنطينيه مغذاً، فدخلها فى صفر سنه اثنتين و خمسين و ثلاثمائه؛ فوجد رومانوس قد مات و جلس فى الملك ولداه باسيل و قسطنطين و هما صبيان و والدتهما «تفانو» (٣) تدبرهما.

فلما وصل نقفور سلّموا الأمر إليه فدبرهما مده. ثم رأى أنّ استيلاءه على الملك أصوب، و أبلغ فى الهيئه فلبس الخف الأحمر، و دعا لنفسه بالملك، و تحدّث مع البطريك فى ذلك، فأشار عليه أن يتزوج تفانو أم الصبيين، و أن يكون مشاركا لهما فى الملك؛ فاتقوا على ذلك و ألبسوه التاج.

ثم خافت على ولديها منه؛ فأعملت الحيله، و ربّت مع يانس بن شمشقيق أن تتزوج به. و بات نقفور فى البلاط فى موضعه الذى جرت عادته به. فلما ثقل فى نومه أدخلت يانس و معه جماعه، و شكلت رجل نقفور. فلما

١- عرقه: بلده فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ. معجم البلدان.

٢- تيزين الآن خربه أثريه فى جبل باريشا تتبع منطقه حارم، محافظه أدلب، تشرف على سهل العمق، مهجوره منذ قرون طويله. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٣- أرخ لهذه الأحداث و ما تلاها المؤرخ البيزنطى ميخائيل بزلوس Michael Psellus الذى ترجم كتابه إلى الانكليزيه و طبع تحت عنوان «أربعة عشر حاكم بيزنطى» لندن ١٩٦٦.



دخل يانس قام نقفور من نومه ليأخذ السيف فلم يستطع فقتله. و لم يتزوج بها يانس خوفا منها.

و نعود إلى بقيه أخبار سيف الدوله:

فإنه لما رحل الروم عن حلب، عاد إليها و دخلها في ذى الحجه سنه إحدى و خمسين و ثلاثمائه. و عمر ما خرب منها؛ و جدّد عماره المسجد الجامع؛ و أقام سيف الدوله إلى سنه أربع و خمسين و ثلاثمائه.

و سار إلى ديار بكر بالبطارقه الذين كانوا في أسره ليفادى بهم؛ و أخذهم نجا، و سار إلى ميافارقين فاستولى عليها.

فلما وصل سيف الدوله قال: «أروني نجا»؛ فأروه أيّاه على برج، فوقف تحته، و قال: «يانجا» فقال: «لييك يا مولانا» فقال: «انزل». فنزل في الوقت، و خدمه على رسمه، و خلع عليه، و سلم إليه البلد و البطارقه. و قتل نجا، قتله غلام لسيف الدوله اسمه قبيجاج بحضرته؛ و كان سيف الدوله عليلا، فأمر به فقتل قبيجاج في الحال.

و سار سيف الدوله بالبطارقه إلى الفداء، ففدى بهم أبا فراس ابن عمه، و جماعه من أهله، و غلامه «رقتاش»، و من كان بقي من شيوخ الحمصيين و الحلبيين. و لما لم يبق معه من أسرى الروم أحد اشترى بقيه المسلمين من العدو كل رجل باثنين و سبعين دينارا؛ حتى نفذ ما كان معه من المال. فاشترى الباقيين و رهن عليهم بدنّته الجوهر المعدومه المثل و كاتبه أبا

القاسم الحسين بن علي المغربي جد الوزير(١)، وبقى في أيدي الروم إلى أن مات سيف الدولة، فحمل بقيه المال وخلص ابن المغربي.

ولما توجه سيف الدولة إلى الفداء ولى في حلب غلامه و حاجبه قرغويه الحاجب في سنه أربع و خمسين، فخرج على أعمال سيف الدولة مروان العقيلي، و كان من مستأمنه القرامطه.

و كان مروان مع سيف الدولة حين توجه إلى آمد. و أقام سيف الدولة بكل ما يحتاج إليه عسكره، و أنفذ إليه ملك الروم هديه ستيه، فقتل مروان القرمطي رجلا من أصحاب الرسول، فتلافى سيف الدولة ذلك؛ و سير إلى ملك الروم هديه ستيه؛ و أفرد ديه المقتول؛ و اعتذر أن مروان فعل ذلك على سكر، فرد الهديه و التمس إيفاد القاتل، ليقيده به أو يصفح عنه؛ فلم يفعل؛ و انتقضت الهدنه؛ و كان ذلك في سنه ثمان و ثلاثين و ثلاثمائه. و ولى بعد ذلك مروان السواحل.

فلما توجه سيف الدولة إلى الفداء سار إلى ناحيه حلب، فأنفذ إليه قرغويه غلاما له اسمه بدر فالتقيا غربى كفر طاب؛ فأخذه مروان أسيرا؛ وقتله صبورا؛ و كسر العسكر و ملك حلب. و كتب إلى سيف الدولة بأنه من قبله، فسكن إلى ذلك، و أخذ مروان في ظلم الناس بحلب، و مصادرتهم.

فلم تطل مدته؛ و توفي سنه أربع و خمسين و ثلاثمائه، من ضربه ضربه بها بدر

---

١- ترجم ابن العديم للحسين بن علي بن محمد المغربي، و رجح أنه توفي في حياه سيف الدولة، و أن ابنه علي حل محله. بغيه الطلب ٢٥٣٢، ٢٧٠٢-٢٧٠٦.

حين التقيا بلبت (١) في وجهه. و عاد الحاجب قرغويه إلى خلافه سيف الدوله.

و كان بأنطاكيه رجل يقال له الحسن بن الأهوازي يضمن المستغلات لسيف الدوله، فاجتمع برجل من وجوه أهل الثغر يقال له رشيق النسيمي - و كان من القواد المقيمين بطرسوس - فاندفع إلى أنطاكيه حين أخذ الروم طرسوس، و تولى تدبير رشيق و أطمعه في أن سيف الدوله لا يعود إلى الشام.

فطمع و اتفق مع ملك الروم على أن يكون في حيزه، و يحمل إليه عن أنطاكيه في كل سنه ستمائه ألف درهم.

و كان بأنطاكيه من قبل سيف الدوله تنج (٢) اليمكي أو الثملي؛ فسار رشيق (٣) نحوه، فوثب أهل أنطاكيه على تنج؛ فأخرجوه؛ و سلموا البلد إلى رشيق. فأطمع ابن الأهوازي رشيقا بملك حلب، لعلمه بضعف سيف الدوله، و اشتغاله بالفداء. و عمل له ابن الأهوازي كتابا ذكر أنه من الخليفه ببغداد، بتقليده أعمال سيف الدوله، فقرىء على منبر أنطاكيه.

و اجتمع لابن الأهوازي جملة من مال المستغل، و طالب قوما بودائع ذكر أنها عندهم، و استخدم بتلك الأموال فرسانا و رجاله؛ و استأمن إليه دزير بن أونيم الديلمي (٤) و جماعه من الديلم الذين كانوا مع الحاجب قرغويه بحلب.

١- اللتب بالفارسيه: عمود، مطرقه، هراوه، فأس.

٢- هو في تاريخ يحيى بن سعيد «فتح» ص ١٠٨.

٣- لرشيق ترجمه مفيدة المعلومات في بغية الطلب ص ٣٦٥٦ - ٣٦٥٨.

٤- لدزير بن أونيم ترجمه غنيه في بغية الطلب ص ٣٤٩٥ - ٣٤٩٦.

فحصل مع رشيق نحو خمسه آلاف رجل، فسير إليه الحاجب غلامه يمن في عسكر. فخرج إليه رشيق من أنطاكيه، و التقوا بأرتاح(١)؛ فاستأمن يمن إلى رشيق؛ و مضى عسكره إلى حلب، و توجه رشيق إلى حلب، و نازل حلب، و زحف على باب اليهود، فخرج إليه بشاره الخادم في جماعه؛ فقاتل إلى الظهر؛ و انهزم بشاره و دخل من باب اليهود؛ و دخلت خيل رشيق خلفه.

و استولى رشيق على المدينه في اليوم الأول من ذى القعدة سنه أربع و خمسين و ثلاثمائه. و نادوا بالأمان للرعيه؛ و قرأوا كتابا مختلفا عن الخليفه بتقليد رشيق أعمال سيف الدوله؛ و أقام رشيق يقاتل القلعه ثلاثه أشهر و عشره أيام. و فتح باب الفرج(٢)؛ و نزل غلمان الحاجب من القلعه فحملوا على أصحاب رشيق، فهزموهم، و أخرجوهم من المدينه. فركب رشيق و دخل من باب أنطاكيه، فبلغ إلى القلانسيين؛ و خرج من باب قنسرين، و مضى إلى باب العراق. فنزل غلمان الحاجب، و خرجوا من باب الفرج و هو الباب الصغير.

و وقع القتال بينهم و بين أصحاب رشيق، فطعن ابن يزيد الشيباني(٣)

١- أرتاح: حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب. معجم البلدان.

٢- قال ابن العديم: «و كان لحلب باب يقال له باب الفرج إلى جانب حمام القصر، كان إلى جانبه القصر المشهور الذي يلي قلعه حلب، فخر به الملك الظاهر» بغيه الطلب ج ١ ص ٥٧.

٣- هو في بغيه الطلب ص ٣٦٥٧ «أبو يزيد الشيباني» و قيل إن أبا يزيد طعن رشيقا فوقع إلى الأرض، و ضربه حسنش الديلمي و احتز رأسه عبد الله التغلبي».

رشيقا فرماه؛ و كان ممن استأمن من عسكر سيف الدوله إلى رشيق؛ و أخذ رأسه، و مضى به إلى الحاجب قرغويه، و عاد الحاجب إلى حالته في خلافة الأمير سيف الدوله.

و عاد عسكر رشيق إلى أنطاكيه فرأسوا عليهم دزير بن أونيم الديلمي، و عقدوا له الإمارة، و استوزر أبا على بن الأهوازي، و قبل كل من وصل إليه من العرب و العجم.

و سار إليه الحاجب قرغويه إلى أنطاكيه، فأوقع به دزير، و نهب سواده، و انهزم قرغويه و قد استأمن أكثر أصحابه إلى دزير، فتحصّن بقلعه حلب، و تبعه دزير فملكها في جمادى الأولى من سنه خمس و خمسين و ثلاثمائة.

و أقام بها و ابن الأهوازي بعسكره في حاضر قنّسرين، و جمع إليه بنى كلاب، و جبي الخراج من بلد حلب و حمص؛ و فوّض إلى القضاء، و الولاه، و الشيوخ، و العمال الأعمال و الولايات.

و جاء سيف الدوله فدخل حلب و عسكره ضعيف فبات بها و خرج إلى دزير و ابن الأهوازي. و كان سيف الدوله قد فلج و بطل شقه الأيسر فالتقوا شرقي حلب ب «سبعين»<sup>(١)</sup>.

فغدرت بنو كلاب بدزير و ابن الأهوازي حين نظروا إلى سيف الدوله؛

---

١- اسمها الآن تل سبعين، و هي قريه من سبخه الجبول. المعجم الجغرافي للقطر العربي السورى. و انظر أيضا بغيه الطلب ص ١٩٥٦-١٩٥٧.

و استأمنوا إليه، فأمنهم؛ و وضع السيف في عسكر دزبر وضع محنتق مغيظ؛ فقتل جمعا كثيرا، و أسر خلقا، فقتلهم صبيرا. و كان فيهم جماعه ممن اشتراه بماله من الروم، فسبقوه إلى الشام، و قبضوا الرزق من ابن الأهوازي، و جعلوا يقاتلونه، فما أبقى على أحد منهم. و حصل دزبر و ابن الأهوازي في أسره. فأما دزبر فقتله ليومه؛ و أما ابن الأهوازي فاستبقاه أياما ثم قتله.

ثم إن سيف الدولة قويت علته بالفالج، و كان بشيزر، فوصل إلى حلب فأقام بها يومين أو ثلاثة. و توفي يوم الجمعة العاشر من صفر من سنة ست و خمسين و ثلاثمائة (١). و قيل: توفي بعسر البول و حمل تابوته إلى ميفارقين فدفن بها في تربته.

و كان على قضاء حلب إذ ذاك- في غالب ظني- أبو جعفر أحمد بن اسحاق بن محمد بن يزيد الحنفى، بعد أحمد بن محمد بن مائل.

و ينسب إلى سيف الدولة أشعار كثيرة، لا- يصح منها له غير بيتين، ذكر أبو القاسم الحسين بن على المغربي كاتبه- و هو جدّ الوزير أبى القاسم المغربي- أنهما لسيف الدولة. و لم يعرف له غيرهما. و كتب بهما إلى أخيه ناصر الدولة و قد مدّ يده إلى شىء من بلاده المجاوره له، من ديار بكر، و كانت في يد أخيه:

لست أجفو و إن جفيت و لا أترك حقا على في كل حال

إنما أنت والد و الأب الجفافی یجازی بالصبر و الإحتمال

و وزیر لسیف الدوله أبو اسحاق القراریطی(١)؛ ثم صرفه و ولی وزارته أبا عبد الله محمد بن سلیمان بن فهد؛ ثم غلب علی أمره أبو الحسین علی بن الحسین المغربی أبو وزیر أبی القاسم و وزیر له.

---

١- هو محمد بن أحمد بن ابراهیم الاسکافی الکاتب، وزیر لمحمد بن رائق، ثم وزیر للمتقی لله مرتین، و صودر، و صار إلى الشام، و کتب لسیف الدوله، و کان ظلوما غشوما، عاش ستا و سبعین سنه» و توفی سنه سبع و خمسين و ثلاثمائه. العبر للذهبی - ط. الکویت ١٩٨٤ ج ٢ ص ٣١٥.

**[عهد سعد الدوله]**

[عهد سعد الدوله] (١)

وقام بالأمر بحلب الحاجب قرغويه غلام سيف الدوله، من قبل ابن سيف الدوله؛ فبقى بها إلى أن مضى غلمان سيف الدوله إلى ميثافارقين، فأحضرُوا ابنه: سعد الدوله أبا المعالي شريف بن علي بن عبد الله بن حمدان، و كان مع والدته أم الحسن ابنه أبي العلاء سعيد بن حمدان بها.

فدخل حلب، يوم الاثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول، من سنه ست و خمسين و ثلاثمائه؛ و زينت له المدينه؛ و عقدت له القباب؛ و جلس على سرير أبيه، و جلس الحاجب قرغويه على كرسي، و المدبر لدولته وزيره أبو اسحاق محمد بن عبد الله بن شهرام كاتب أبيه.

و قبض أبو تغلب بن ناصر الدوله بن عبد الله بن حمدان على أبيه ناصر الدوله، في هذه السنه (٢)؛ فامتعض حمدان بن ناصر الدوله لذلك و عصى على

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- اعتقله بقلعه الموصل حتى توفي « يوم الجمعه الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنه سبع و خمسين و ثلاثمائه » و قد تجاوز الثمانين. بغيه الطلب من ٢٤٣٦ - ٢٤٣٧.



أخيه بالرقه و الرّحبه (١).

فسار أبو تغلب إليه إلى الرقه، و حصره فيها إلى أن صالحه على أن يقتصر على الرّحبه، و يسلم إليه الرّقه و الرفقه. و كتب لأبي تغلب توقيع بتقليده أعمال ناصر الدّوله و سيف الدّوله من المطيع، و هو بالرقه.

و كان قرغويه قد جاء إلى خدمته، و هو يحاصر أخاه؛ فلما صالح أخاه قدم حلب جريده، وزار ابن عمه سعد الدوله، و عاد إلى الموصل.

١- لم تكن هذه محاوله التمرد الوحيد في صفوف الحمدانيين فقد روى المقریزی في ترجمته لبشاره الاخشيدي مايلي: « فلما مات سيف الدوله بن حمدان بحلب سار بتابوته إلى ديار بكر بشاره الخادم، و تقى، في جمادى الأولى سنه ست و خمسين و ثلاثمائه، و كان بينهما منافره، فأذاع تقى عن بشاره أنه كاتب حمدان بن ناصر الدوله، و كان قد غلب على الرقه عند وفاه عمه سيف الدوله، و حثه على أخذ حلب، و كتب تقى إلى قرغويه القائم بضبط حلب نيابه عن سعد الدوله أبي المعالي شريف ابن سيف الدوله، فقبض قرغويه على أسباب بشاره بحلب. فلما بلغ ذلك بشاره داخل تقى و وانسه، فأنس به، و صفى بيته له، و أطلعته على أنه يريد ديار بكر ليعمل على أبي المعالي شريف ابن مولاه، و يقبض عليه، و يملك التدبير، و ضمن لبشاره أنه يسلم له ميفارقين، فأظهر له بشاره القبول، و سار بمسيره إلى قريب من ميفارقين، فكتب بشاره مع من يثق به إلى أبي المعالي يحذره الخروج إلى لقاء تابوت أبيه، و يعرفه ما عزم عليه تقى. فلما قرب تقى كتب إليه بخبر التابوت و أن يخرج لتلقيه، فأظهر أبو المعالي عله و امتنع عن الركوب، و أخرج كل من في البلد لتلقيه، و ضرب تقى مضاربه و لم يدخل المدينه، و وكل بأبوابها الرجال، فطلع بشاره على السور، و غلق الأبواب، و خاطب أصحابه عن الأمير أبي المعالي بكل جميل، فانقلبوا عن تقى، و بطل مادبره، و سلمه إلى بشاره فقتله». الموسوعه الشاميه في تاريخ الحروب الصليبيه- ط. دمشق ١٩٩٥ ج ١ ص ٣٠٠.

و أقام سعد الدولة إلى أن تجدد بينه و بين ابن عمه أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان- و هو خاله- وحشه و كان بحمص.

فتوجه سعد الدولة إليه، فانحاز إلى «صدد»<sup>(١)</sup>، و نزل سعد الدولة بسلميه، و جمع بنى كلاب و غيرهم.

و قدم الحاجب قرغويه و بنى كلاب على مقدمته، مع قطعه من غلمان أبيه، فتقدموا إلى صدد. فخرج إليهم أبو فراس و ناوشهم، و استأمن أصحابه؛ و اختلط أبو فراس بمن استأمن، فأمر قرغويه بعض غلمانه بالتركيه بقتله، فضربه بلس مضرّس، فسقط؛ و نزل فاحتز رأسه؛ و حمله إلى سعد الدولة.

و بقيت جثته مطروحه بالبريه، حتى كّفنه رجل من الأعراب، و ذلك فى شهر ربيع من سنه سبع و خمسين و ثلاثمائه. و لظمت أمّه سخيّه حتى قلعت عينها عليه؛ و كانت أم ولد.

و خرج فى هذه السنه فاثور<sup>(٢)</sup> للروم فى خمسه آلاف فارس و راجل؛ فصار إلى نواحي حلب؛ فواقعه قرغويه بعسكر حلب، فأسر قرغويه، ثم أفلت، و انهزم أصحابه؛ و أسر الروم جماعه من غلمان سيف الدوله.

ثم إن نففور ملك الروم خرج إلى معره النعمان ففتحها، و أخرب

١- صدد الآن مركز ناحيه تتبع حمص و تبعد عنها ٦٠ كم باتجاه الجنوب الشرقى، تكثر فيها الكنائس الأثرية، فى وسطها تل أثرى. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٢- الفاثور: الجماعه فى الثغر يذهبون خلف العدو فى الطلب. القاموس.

جامعها و أكثر دورها؛ و كذلك فعل بمعزّه مصرين؛ و لكنه أمن أهلها من القتل، و كانوا ألفا و مائتي نفس، و أسرهم، و سيّتهم إلى بلد الروم.

و سار إلى كفرطاب و شيزر، و أحرق جامعها؛ ثم إلى حماه ففعل كذلك؛ ثم إلى حمص، و أسر من كان صار إلى تلك الناحية من الجفله.

و وصل إلى عرقه ففتحها و أسر أهلها؛ ثم نفذ إلى طرابلس و كان أهلها قد أحرقوا ربضها، فانصرف إلى جبله ففتحها؛ و منها إلى اللاذقيه؛ فانحدر إليه أبو الحسين على بن إبراهيم بن يوسف الفصيص. فوافقه على رهائن تدفع إليه منها، و انتسب له فعرف نقفور سلفه، و جعله سردغوس(١). و سلّم أهل اللاذقيه.

و انتهى إلى أنطاكيه، و فى يده من السبى مائه ألف رأس، و لم يكن يأخذ إلا- الصبيان و الصّبايا و الشباب؛ فأما الكهول و المشايخ و العجائز فمنهم من قتله و منهم من تركه. و قيل بأنه فتح فى هذه الخرجه ثمانيه عشر منبرا. و أما القرى فلا يحصى عدد ما أخرج منها و أحرق؛ و نزل بالقرب من أنطاكيه، فلم يقاتلهم، و لم يرسلهم بشىء.

و بنى حصن بغراس(٢) مقابل أنطاكيه و رتب فيه ميخائيل البرجى، و أمر أصحاب الأطراف بطاعته.

١- أى ستراتيغوس، و هو الحاكم العسكرى للمدينه.

٢- من أشهر القلاع و أكثرها حصانه، تقع على الطريق المؤديه إلى مضيق بيلان فالاسكندرونه. بغيه الطلب ج ١ ص ١٥١-١٥٢. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

و تحدّث الناس أنه يريد أن ينازل أنطاكيه طول الشتاء، و ينفذ إلى حلب أيضا من ينازلها. فأشار الحاجب قرغويه على سعد الدوله أن يخرج من حلب، و لا يتحاصر فيها؛ فخرج إلى بالس فسير إليه قرغويه، و قال له:

«امض إلى والدتك، فإنّ أهل حلب لا يريدونك، و لا يتركونك تعود إليهم».

و حالف قرغويه أهل حلب على سعد الدوله؛ و تقرّب إليهم بعمار القلعه و تحصينها، و عماره أسوار البلده و تقويتها؛ فيئس سعد الدوله من حلب؛ و مضى أكثر أصحابه إلى أبي تغلب بن ناصر الدوله.

و قطع قرغويه الدعاء لسعد الدوله، فعمل على قصد حرّان و المقام بها؛ فمنعه أهلها منها، و راسلهم، و وعدهم بالجميل فلم يستجيبوا له؛ فسألهم أن يتزوّد منها يومين، فأذنوا له في ذلك. فمضى إلى والدته إلى ميفارقين، و حرّان شاغره يدبّرها أهلها، و يخطبون لأبي المعالي سعد الدوله.

و لما قرب أبو المعالي من ميفارقين بلغ والدته أن غلمانها و كتّابه عملوا على القبض عليها و حملها إلى القلعه، كما فعل أبو تغلب بن ناصر الدوله؛ فطردت الكتّاب، و أغلقت أبواب المدينه في وجه ابنها ثلاثه أيام حتى استوثقت منه؛ و فتحت له.

و حين علم ملك الروم بتقويه قرغويه لحلب دخل بلاده.

و أما قرغويه فاستولى على حلب في المحرّم من سنه ثمان و خمسين و ثلاثمائه؛ و أمر غلامه بكجور؛ و شاركه في الأمر؛ و دعى لهما على المنابر في عمله. و كتب اسم بكجور على الشكه. و كان يخاطب قرغويه بالحاجب، و غلامه بكجور بالأمير.

و حصل زهير غلام سيف الدولة بمعزّه النعمان، و كان و اليها؛ و انضاف إليه جماعه من غلمان سيف الدولة. فأقاموا الدّعوه بالمعزّه لسعد الدوله؛ و كاتبوا مولاهم سعد الدوله أبا المعالي و استدعوه إلى الشام؛ فسار و نزل منبج؛ فاجتمعوا معه. و نزلوا على حلب في شهر رمضان من سنه ثمان و خمسين و ثلاثمائه؛ و حاصروا قرغويه و بكجور. و جرت بينهم حروب يطول ذكرها.

و كتب قرغويه إلى الرّوم، فاستدعى بطريقا كان في أطراف بلد الرّوم لنجدته، و هو خادم كان لتقفور و يعرف بالطربازي(١)؛ فسار نحوه، ثم عدل إلى أنطاكيه، و ذلك أنّ ملك الروم لما نزل بوقا، و معه السبي و الغنائم - على ما ذكرناه - توافق هو و أهلها، و كانوا نصارى في أن ينتقلوا إلى أنطاكيه، و يظهرها أنّهم إنّما انتقلوا خوفا من الرّوم، حتى إذا حصلوا بها، و صار الرّوم إلى أنطاكيه وافقوهم على فتحها. ففعلوا ذلك و وافقوا نصارى أنطاكيه، و كاتبوا الطّربازي حين خرج بأن أنطاكيه خاليه، و ليس بها سلطان.

و كان أهلها من المسلمين قد ضيّعوا سورها، و أهملوا حراستها؛ فجاء الروم إليها مع الطربازي و يانس بن شمشقيق، في أربعين ألفا. فأحاطوا بأنطاكيه؛ و أهل بوقا على أعلى السور في جانب منه، فنزلوا و أدخلوا السور، فصعد الرّوم و ملكوا البلد، و ذلك لثلاث عشره ليله خلت من ذى الحجه من سنه ثمان و خمسين.

---

١- هو في تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٣٥ «بطرس الاضطرابو بودرج» - الاستراتيجيةوس.

و دخل الروم فأحرقوا وأسروا و كانت ليله الميلاد. فلما طلع الروم على جبلها، جعلوا يأخذون الحارس فيقولون له: «كبر و هَلِّل»؛ فمن لم يفعل قتلوه؛ فكان الحراس يهللون و يكبرون، و الناس لا يعلمون بما هم فيه، حتى ملكوا جميع أبرجتها، و صاحوا صيحه واحده، فمن طلب باب الجنان قتل أو أسر.

و اجتمع جماعه إلى باب البحر فبردوا القفل فسلموا، و خرجوا و بنوا قلعه في جبلها، و جعلوا الجامع صيره للخنازير(١)؛ ثم ان البطرک جعله بستانا.

ثم إن الطربازی سار إلى حلب، منجدا لقرغويه و بكجور، و أبو المعالی محاصر لهما؛ فانحاز أبو المعالی شريف عن حلب إلى خناصره، ثم إلى معرّه النعمان.

فقطع الروم بحلب فنازلوها؛ و هجموا المدينه من شماليها، و حصروا القلعه.

فهادنهم قرغويه على حمل الجزيه، عن كل صغير و كبير من سکان المواضع التي وقعت الهدنه عليها، دينار، قيمته ستّ عشر درهما إسلاميّه؛ و أن يحمل إليهم، في كل سنه عن البلاد التي وقعت الهدنه(٢) عليها سبعمائه ألف درهم.

١- الصيره: الحظيره.

٢- في تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٣٥: «و ترددت المراسلات بينه و بين أهلها إلى أن تقرر الأمر- على صلح و هدنه مؤبده، و مال يحمل في كل سنه إلى ملك الروم عن حلب و حمص و جميع أعمالها من المدن و القرى، و هي ثلاثه قناطير ذهب عن حق الأرض، و سبعة قناطير ذهب عن خراج هذه الأعمال، و عن كل رجل حالم دينار واحد في السنه، سوى ذوى العاهات، و أن يكون لملك الروم صاحبا مقيما بحلب يستخرج أعشار الامتعه الوارده إليها من البلاد، و يرفعه إلى الملك».

و البلاد: حمص، و جوسيه (١)، و سلميه، و حماه، و شيزر، و كفرطاب، و أفاميه، و معره النعمان، و حلب و جبل السيماق (٢)، و معزه مصرين، و قنسرين، و الأثارب إلى طرف البلاط (٣) الذي يلي الأثارب و هو الرصيف، إلى إرحاب (٤)، إلى باسوفان (٥)، إلى كيما (٦)، إلى برصايا (٧)، إلى المرج الذي هو قريب عزاز؛ و يمين الحدّ كله لحلب؛ و الباقي للزّوم.

١- اسمها الآن جوسيه الخراب، تقع قرب الحدود اللبنانية، و هي تابعه لمنطقه القصير - محافظه حمص، تبعد عن القصير ١١ كم إلى الجنوب. و تبعد عن حمص ٣٨ كم إلى الجنوب الغربى منها. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٢- هو جبل الأربعين الآن.

٣- الطريق الرومانى المرصوف، و يوجد الآن مزرعه فى منطقه حارم اسمها البلاط. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٤- إرحاب قريه فى جبل سمعان، تتبع ناحيه داره عزه، و تتصل بها بطريق مزفته طولها ٩ كم. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٥- على مقربه من دير سمعان.

٦- تقع كيما على بعد ١٢ كم من باسوفان.

٧- جبل برصايا: «جبل عال شامخ شمالى عزاز، يشرف على بلد عزاز و كوره الأرتيق، و هو من أبهى البقاع منظرا، و أرقها هواء». و اسم هذا الجبل الآن برصه، و يقع على بعد ٥ كم شمال مدينه أعزاز، يمتد من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى بطول ٥ كم و عرض أقصى ٥، ٣ كم. بغيه الطلب ج ١ ص ٤٣٧. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

و من برصايا يميل إلى الشرق، و يتصل وادي أبي سليمان إلى فج سنياب(١)، إلى نافوذا، إلى أوانا، إلى تلّ حامد(٢)؛ إلى يمين الشاجور، إلى مسيل الماء إلى أن يمضى و يختلط بالفرات.

و شرطوا أن الأمير على المسلمين قرغويه؛ و الأمر بعده لبكجور؛ و بعدهما ينصب ملك الروم أميراً يختاره من سكان حلب. و ليس للمسلمين أن ينصبوا أحداً، و لا يؤخذ من نصراني جزية في هذه الأعمال، إلا إذا كان له بها مسكن أو ضيعه.

و إن ورد عسكر إسلامي يريد غزو الروم منعه قرغويه، و قال له:

«امض من غير بلادنا، و لا تدخل الهدنه». فإن لم يسمع أمير ذلك الجيش قاتله، و منعه؛ و إن عجز عن دفعه كاتب ملك الروم و الطربازي لينفذ إليه من يدفعه.

و متى وقف المسلمون على حال عسكر كبير كتبوا إلى الملك و إلى رئيس العسكر، و أعلموهما به لينظروا في أمرهما.

و إن عزم الملك أو رئيس العسكر على الغزاه إلى بلد الاسلام، تلقّاه

١- تحدث ابن العديم عن مخارج نهر قويق فقال: «و المنخرج الآخر يجتمع من عيون ماء من سنياب» و قال ياقوت: و سألت عن سنياب «بحلب فقالوا: لا- نعرف هذا الاسم، انما مخرجه من شناذر، قريه على سته أميال من دابق». بغية الطلب ج ١ ص ٣٤٧. معجم البلدان- ماده قويق.

٢- تل حامد: حصن في ثغور المصيصة، و يرجح أن «حامد» تصحيف «خالد» و تل خالد من القلاع الهامه القريه من حلب. معجم البلدان.



بكجور إلى المكان الذي يؤمر بتلقيه إليه؛ و أن يشيِّعه في أعمال الهدنه؛ و لا- يهرب من في الضِّياع لبيتاع العسكر الرّومي ما يحتاجون إليه، سوى التبن؛ فانه يؤخذ منهم على رسم العساكر بغير شىء.

و يتقدم الأمير بخدمه العساكر الرّوميّه إلى الحدّ؛ فإذا خرجت من الحدّ عاد الأمير إلى عمله؛ و إن غزا الروم غير ملّه الإسلام سار إليه الأمير بعسكره، و غزوا معه كما يأمر.

و أىّ مسلم دخل في دين النصرانيّه فلا سبيل للمسلمين عليه؛ و من دخل من التّصارى في ملّه الإسلام فلا سبيل للرّوم عليه.

و متى هرب عبد مسلم أو نصراني، ذكرًا كان أو أنثى، من غير الأعمال المذكوره إليها، لا يستره المسلمون، و يظهرونه، و يعطى صاحبه ثمنه: عن الرّجل ستّه و ثلاثون دينارًا؛ و عن المرأه عشرون دينارًا روميّه؛ و عن الصبيّ و الصبيّه خمسّه عشر دينارًا؛ فان لم يكن له ما يشتريه أخذ الأمير من مولاه ثلاثه دنانير؛ و سلّمه إليه. فان كان الهارب معمدًا فليس للمسلمين أن يمسكوه؛ بل يأخذ الأمير حقّه من مولاه؛ و يسلمه إليه.

و إن سرق سارق من بلاد الرّوم، و أخفى هاربا أنفذه الأمير إلى رئيس العسكر الرّوميّ ليؤدّبه.

و إن دخل روميّ إلى بلد الإسلام فلا يمنع من حاكي.

و إن دخل من بلد الإسلام جاسوس إلى بلد الروم أخذ، و حبس.

و لا يخرب المسلمون حصنًا؛ و لا يحدثوا حصنًا؛ فان خرب شىء

أعادوه. ولا يقبل المسلمون أميرا مسلما؛ ولا يكتبوا أحدا غير الحاجب و بكجور. فإن توفيا لم يكن لهم أن يقبلوا أميرا من بلاد الإسلام؛ ولا يلتمسوا من المسلمين معونه؛ بل ينصب لهم من يختاره من بلاد الهدنه.

و ينصب لهم الملك بعد وفاه الحاجب و بكجور قاضيا منهم، يجرى أحكامهم على رسمهم.

و للزوم أن يعمر الكنائس الخربه فى هذه الأعمال، و يسافر البطارقه و الأساقفه إليها، و يكرمهم المسلمون.

و إن العشر الذى يؤخذ من بلد الزوم، يجلس عشّار الملك مع عشّار قرغويه و بكجور فمهما كان من التجاره من الذهب، و الفضة، و الديقاج الرومى، و القز غير معمول، و الأحجار، و الجواهر، و اللؤلؤ، و السندس عشره عشّار الملك. و الثياب، و الكتان، و المزبون(١)، و البهائم، و غير ذلك من التجارات يعشره عشّار الحاجب و بكجور بعده؛ و بعدهما يعشر ذلك كله عشّار الملك.

و متى جاءت قافله من الزوم، تقصد حلب، يكتب الزروار(٢) المقيم فى الطرف إلى الأمير؛ و يخبره بذلك لينفذ من يتسلّمها، و يوصلها إلى حلب. و إن

١- ثوب على تقطيع البيت كالحجله. القاموس.

٢- تحدث ابن الحوقل عن المراتب فى القسطنطينيه فقال: «ثم الدمستق من بعده، ثم البطارقه و هم اثنا عشر رجلا لا ينقصون و لا يزيدون بوجه، و إذا هلك أحدهم قام مقامه من يصلح له، ثم الزراوره و هم كثره لا يحصون كالقواد اللاحقين بالأمراء، ثم الطرامخه» صوره الأرض - . بيروت، دار مكتب الحياه ص ١٧٨.

قطع الطريق عليها بعد ذلك، فعلى الأمير أن يعطيهم ما ذهب. و كذلك إن قطع على القافلة أعراب أو مسلمون في بلد الأمير، فعلى الأمير غرامه ذلك.

و حلف على ذلك جماعه من شيوخ البلد مع الحاجب و بكجور؛ و سلم إليهم رهينه من أهل حلب: أبو الحسن بن أبي أسامه؛ و كسرى بن كسور؛ و ابن أخت ابن أبي عيسى، و أخو أبي الحسن الخشاب، و أبو الحسن بن أبي طالب، و أبو الطيب الهاشمي، و أبو الفرج العطار، و يمن غلام قرغويه. و كان المتوسط في هذه الهدنه رجل هاشمي من أهل حلب يقال له طاهر.

و عادت الروم عن حلب؛ و بقى الحاجب قرغويه في ولايتها، و التدبير إليه و إلى غلامه بكجور؛ و ذلك في صفر من سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة.

و أقام سعد الدوله أبو المعالي بمعزّه النعمان ثلاث سنين؛ و راسله الحاجب و بكجور و مشايخ حلب، في سنة ثمان و خمسين، على أن يؤدي إلى الروم قسطا من مال الهدنه، و كان القيم بأمر أبي المعالي و عسكره رقطاش غلام سيف الدوله؛ و كان قد نزل إليه من حصن برزويه؛ و حمل إليه غلّه عظيمه و علوفه و طعاما؛ و وسّع على عسكره بعد الضائقه.

و لم يؤدّ سعد الدوله ما هو مقرّر من مال الهدنه على البلاد التي في يده، فخرج الروم و هجموا حمص على غفله.

و قيل: إن سعد الدوله استولى على حلب في سنة ثلاث و ستين، و وصله في شهر ربيع الأول رسول العزيز و أبو القاسم أحمد بن إبراهيم الرسى من مصر؛ فأقام الدعوه له بحلب في هذه السنه؛ و أرسل معه إلى مصر في

جواب الرساله قاضى حلب؛ و أظنه ابن الخشاب الهاشمى.

و وصل إليه بكجور من حلب و هو بحمص؛ فخلع عليه أبو المعالى؛ و ولاة حلب؛ و أقيمت له الدعوه فيها و فى سائر عملها؛ فوافق بكجور و غلمان سيف الدوله على القبض على مولاه قرغويه و قصد أبى المعالى، و قلعه من حمص؛ فقبض عليه. و سار أبو المعالى إلى حلب.

و قيل: دام الأمر بحلب مردودا إلى قرغويه و بكجور، فأحبّ الأمير أبو الفوارس بكجور الحاجبى الكاسكى التفرد بالأمر دون مولاه؛ و حدث نفسه بالقبض عليه، فقبض عليه و غدر به، فى ذى الحجه من سنه أربع و ستين و ثلاثمائه. و استولى على حلب، و انفرد بالأمر، و جعل الحاجب محبوسا بقلعه حلب.

كان سعد الدوله إذ ذاك بحمص، فحين علم بذلك طمع بحلب، فتوجه إليها و معه بنو كلاب، بعد أن أقطعهم بحمص الاقطاع المعروف بالحمصى؛ فنزل بهم على معزّه النعمان، و بها زهير الحمدانى، و قد استولى عليها، و عصى على مولاه؛ ففتح باب حناك(١)؛ و دخلوا منه فقاتلهم زهير، و أخرجهم. ثم أحرقوا باب حمص؛ فخرج زهير مسلما نفسه بعد أن حلف له كبار الحمدانيه أنّهم لا يمكنوا أبا المعالى منه. فلما حصل معه غدر به فتغيرت

---

١- نسبه إلى بلده اسمها حناك؛ هى الآن خربه أثريه فى جبل الزاويه، تابعه لمنطقه معره النعمان. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

وجوه الحمدانيه؛ فأمرهم بنهب الحصن فنهبوا ما فيه؛ و أنفذ زهيرا إلى حصن أفاميه؛ فقتل هناك.

و سار أبو المعالي؛ و نزل بهم على باب حلب؛ و حاصرها مده فاستنجد بكجور بالرّوم؛ و ضمن لهم تسليم حلب و أموالا كثيره؛ فتخلّوا عنه. و كان نقفور- لعنه الله- قد قتل على ما شرحناه.

و جدّ سعد الدوله فى حصارها و القتال، فسلم إليه بعض أهل البلد المرتبين فى مراكز البلد برج باب الجنان؛ و رميت أبواب الحديد، و فتحها بالسيف فلم يرق فيها دما و أمن أهلها.

و انهزم بكجور إلى القلعه فاستعصى بها، و ذلك فى رجب من سنه خمس و ستين و ثلاثمائه.

ثم أقام سعد الدوله يحاصر القلعه مده حتى نفذ ما فيها من القوت؛ فسلمها بكجور إليه، فى شهر ربيع الآخر من سنه سبع و ستين و ثلاثمائه.

و ولى سعد الدوله بكجور حمص و جندها؛ و كان تقرير أمر بكجور بين سعد الدوله و بينه، على يد أبى الحسن على بن الحسين بن المغربى الكاتب، والد الوزير أبى القاسم.

و استقر أمر سعد الدوله بحلب؛ و جدّ الحلبيون عماره المسجد الجامع بحلب؛ و زادوا فى عماره الأسوار فى سنه سبع و ستين.

و غيّر سعد الدوله الأذان بحلب؛ و زاد فيه: «حى على خير العمل؛

محمّد و عليّ خير البشر». و قيل: إنه فعل ذلك في سنة تسع و ستين و ثلاثمائة، و قيل: سنة ثمان و خمسين.

و سيّر سعد الدّولة في سنة سبع و ستين و ثلاثمائة الشريف أبا الحسن اسماعيل بن النّاصر الحسنيّ يهنى ء عضد الدّولة بدخوله مدينة السلام، و انهزام بختيار بين يديه؛ فوجّه إليه بتكنية الطّائع؛ و وصلتته خلعه منه و لقب بسعد الدّولة فلبس الخلعه.

و وصل معها خلع من عضد الدّولة أيضا؛ و خاطبه في كتابه:

«بسيدي، و مولاي، و عدتي» فمدحه أبو الحسن محمّد بن عيسى النّامي بقصيده أولها:

هوى في القلب لا عجه دخيل

و كان أبو صالح بن نانا الملقّب بالشديد قد وزر لسعد الدّولة، فانفصل عنه في سنة إحدى و سبعين؛ و مضى إلى بغداد فاستوزر مكانه أبا الحسن بن المغربي.

و نزل فردس الفقاس الدمستق على حلب، في شهر جمادى الأولى من سنة إحدى و سبعين، و وقع الحرب على باب اليهود في اليوم الثاني من نزوله.

و طالب سعد الدّولة بمال الهدنه، و تردّدت المراسله بينهما، و استقرّ الأمر على أن يحمل إلى الروم كلّ سنة أربعمائه ألف درهم فضّه، و رحل في اليوم الخامس من وصوله.

و فى يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الآخر من سنه ثلاث و سبعين و ثلاثمائه، نزل بردس الدمستق على باب حلب فى خمسمائه ألف ما بين فارس و راجل؛ و كان قد ضمن لباسيل و قسطنطين ملكى الروم الأخوين أن يفتح حلب، و ينقض سورها حجرا حجرا؛ و أنه يحمل سبيها إلى القسطنطينيه.

و احتفل جمعا و حشد من المجانيق و العزادات ما لا يحصى كثره. و أقام بالحدث أياما، يرهب الناس، و يهول عليهم؛ و سعد الدوله بحلب غير محتفل به.

ثم إنه أقبل و على مقدمته ملك الجزيره تريثاويل<sup>(١)</sup>؛ و على ميمنته و ميسرته البطارقه فى الحديد السابغ؛ فارتاع الناس لذلك؛ و بث سراياه، و سعد الدوله قد أمر الغلمان بلبس السلاح؛ فدام على هذا ثلاثه أيام؛ ثم صفّ لقتال البلد؛ و سعد الدوله لا يخرج إليه أحدا حتى استحکم طمعه.

ثم إنه أمر غلمانه بالخروج إليهم فى اليوم السابع، فحملوا حملة لم ير أشد منها؛ و قتلوا فيها ملك الجزيره تريثاويل؛ و كان عمدته عسكرهم؛ فعند ذلك اشتد القتال.

و أمر سعد الدوله عسكره بالخروج إليه، فالتقوا فى الميدان فرجع عسكره أقبح رجوع، و عليه الكآبه؛ و سير سعد الدوله جيشه خلفه حتى بلغت عساكره أنطاكيه.

---

١- كتب بهامش الأصل Taritaouil .

و كان الجيش مع وزيره أبى الحسن على بن الحسين بن المغربى؛ فافتتح فى طريقه دير سمعان عنوه بالسيف؛ و خرّب دير سمعان؛ و كان بنيه عظيمه و حصنا قويا؛ و قد ذكر ذلك الواسانى فى بعض شعره.

و قيل: إنّ الدمستق رأى فى نومه المسيح، و هو يقول له مهدّدا:

«لا- تحاول أخذ هذه المدينة، و فيها ذلك الساجد على الترس». و أشار إلى موضعه فى البرج الذى بين باب قنسرين، و برج الغنم، فى المسجد المعروف بمشهد النور. فلما أصبح ملك الروم سأل عنه فوجده ابن أبى نمير عبد الرزاق بن عبد السلام العابد الحلبى، و كان ذلك سببا لرحيله عن حلب (١).

و قيل: إنّه صالح أهل حلب و رحل.

---

١- قال ابن العديم فى بغيه الطلب ج ١ ص ٤٦١-٤٦٢: «هذا مشهد النور إنما سمي بذلك لأنه رثى النور ينزل عليه مرارا، قال: و كان ابن أبى نمير العابد يتعبد فيه، فاتفق أن نزل ملك الروم على حلب محاصرا لها، فجاء الحلبيون إلى ابن أبى نمير العابد، فقالوا: ادع الله لنا أيها الشيخ، قال: فسجد على ترس كان عنده، و دعا الله تعالى، و سأله دفع العدو عن حلب، فرأى ملك الروم فى منامه تلك الليلة قائلا يقول له: ارحل عن هذه البلده، و إلا هلكت، أتزل عليها و فيها الساجد على الترس فى ذلك البرج، و أشار إلى البرج الذى فيه مشهد النور- و هو بالقرب من باب قنسرين فى برج من أسوار حلب، فيما بين برج الغنم و باب قنسرين. فانتبه ملك الروم، و ذكر المنام لأصحابه، و صالح أهل حلب، و قال: لا أرحل حتى تعلمونى من كان الساجد على الترس فى ذلك البرج، فكشفوا عنه فوجدوه ابن أبى نمير، و رحل ملك الروم عن حلب ... و هذا ابن أبى نمير هو أبو عبيد الله عبد الرزاق بن عبد السلام بن عبد الواحد بن أبى نمير العابد الأسدى».



و قيل: هذا كان في نزول أرومانوس على تبّل، سنة إحدى و عشرين و أربعمائه.

و كان ابن أبي نمير من الأولياء الزهّاد و المحدثين العلماء؛ و توفي بحلب في سنة خمس و عشرين و أربعمائه؛ و قبره بباب قنّسرين.

و يحتمل أن يكون في سنة إحدى و سبعين، حين نزل فردوس على حلب و رحل عنها عن صلح، في سنة اثنتين و سبعين و ثلاثمائه؛ فطلب من العزيز أن يوليه دمشق؛ و كاتب العزيز (١) في إنفاذ عسكر ليأخذ له حلب؛ فأنفذ إليه عسكرا، فنزل على حلب إلى أن نزل الدمستق أنطاكيه؛ فخاف أن يكبسه، فرحل عنها.

و لما يشس الدمستق من حلب، و خاف على نفسه أن يقتله ملك الروم، خرج إلى جهة حمص، فهرب بكجور من حمص إلى جوسيه، فكاتب الدمستق أهل حمص بالأمان؛ و أظهر لهم أنه يسير إلى دمشق، و أنه مهادن لجميع أعمال سعد الدّوله، فاطمأنوا إلى ذلك؛ و أمرهم بإقامه الزاد و العلوفه.

و هجم حمص في ربيع الآخر من سنة ثلاث و سبعين و ثلاثمائه؛ و أحرق الروم الجامع، و كثيرا من البلد.

و كان استوحش أبو المعالي من بكجور، فأمره أن يترك بلده و يمضى.

و صعد بكجور إلى دمشق فوليها في هذه السنه - أعنى سنة ثلاث - من

---

١- العزيز الفاطمي ثاني الخلفاء الفاطميين في مصر ٣٦٥-٣٨٦ هـ / ٩٧٥-٩٩٦ م].

قبل المصريين، و جار على أهل دمشق، و ظلّم، و جمع الأموال لنفسه، فجرد إليه عسكر من مصر مع منير الخادم فى سنة ثمان و سبعين.

و كان بكجور يخاف من أهل دمشق لسوء سيرته؛ فبعث بعض عسكره؛ فكسره منير، فأرسل إليه بكجور و بذل له تسليم دمشق، و الإنصراف عنها؛ فأجابه إلى ذلك؛ فرحل عن دمشق متوجها إلى حوَّارين، فى شهر رجب من سنة ثمان و سبعين.

و مضى إلى الرقه؛ و أقام فيها الدعوه للمصريين (١). و كان سعد الدّوله قد انتمى إلى المصريين؛ و أقام الدعوه لهم بحلب، فى سنة ستّ و سبعين و ثلاثمائه، و وصلته خلع العزيز أبى المنصور، فى شعبان من هذه السنه فلبسها.

و مات الأمير قرغويه بحلب فى سنة ثمانين و ثلاثمائه.

ثم إنّ بكجور قوى أمره و استفحل؛ و أخذ إليه أبا الحسن علىّ بن الحسين المغربى؛ و استوزره لمباينه حصلت بينه و بين سعد الدّوله. و عاث على أعمال سعد الدّوله؛ و جمع إليه بنى كلاب؛ و استغوى بنى نمير؛ فبرز مضرب الأمير سعد الدّوله، يوم السبت الثانى و العشرين من محرّم سنة إحدى و ثمانين، إلى ظاهر باب الجنان.

و سار يوم السبت سلخ المحرّم، على أربع ساعات؛ و قد كان بكجور

---

١- لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ دمشق لابن القلانسى ص ٥٠-٥٤.

سار إلى بالس، و حاصر من كان بها فامتنعوا عليه؛ فقصدته سعد الدولة، و التقوا على الناعوره، في سلخ المحرم من سنه إحدى و ثمانين و ثلاثمائة.

و هزم بكجور، و هرب، و اختفى عند رحا القديمي (١) على نهر قويق، و بثّ سعد الدولة الناس خلفه، و ضمن لمن جاء به شيئاً و افرا، فظفر به بعض الأعراب، و أتى به إلى سعد الدولة، فضرب عنقه صبوا بين يديه، ببندر الناعوره، و صلبه على سبع ساعات من يوم الأحد مستهلّ صفر.

و رحل سعد الدولة يوم الثلاثاء إلى بالس فوجد بكجور قد أخرب ربضها، فأقام بها أربعة أيام.

و رحل حتّى أتى الرقه، و بها حرم بكجور و أمواله و أولاده، فتلّقاه أهل الرقه بنسائهم، و رجالهم، و صبيانهم، فأقام بها بقيه يومه.

و نزل أهل الرقه، فاحتاطوا بحرم بكجور و أولاده، فأمنهم سعد الدولة، في اليوم التاسع من صفر، و تنجّزت أمورهم إلى يوم الخميس الثاني عشر منه. و رضى عن أولاده، و اصطنعهم، و وهب لهم أموال بكجور، و حلف لهم على ذلك، فمدحه أبو الحسن محمد بن عيسى النامي بقصيده أولها:

غرائز الجود طبع غير مقصود و لست عن كرم يرجى بمصدود

---

١- تفاصيل ما أوجزه ابن العديم هنا متوفر عند ابن القلانسي ص ٥٨-٦٥، و عنده « و وافى بكجور إلى رحا تعرف بالقيريمي على فرسخ من حلب مما يلي قنسرين».

و لَمَّا خَرَجَ أَوْلَادُ بَكْجُورٍ بِأَمْوَالِهِمْ وَ آلَاتِهِمْ اسْتَكْثَرَهَا سَعْدُ الدَّوْلَةِ، فَقَالَ لَهُ وَزِيرُهُ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ أَبِي حَصِينٍ: «أَنْتِ حَلَفْتِ لَهُمْ عَلَى مَالِ بَكْجُورٍ، وَ مِنْ أَيْنَ لِبَكْجُورٍ هَذَا الْمَالُ؟ بَلْ هَذِهِ أَمْوَالُكَ». فَغَدَرَ بِهِمْ، وَ نَكَثَ فِي يَمِينِهِ، وَ قَبَضَ مَالَ بَكْجُورٍ إِلَيْهِ، وَ كَانَ مَقْدَارُهُ ثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَ صَادَرَ نَوَابَ بَكْجُورٍ، وَ اسْتَأْصَلَ أَمْوَالَهُمْ.

ثُمَّ عَادَ إِلَى حَلْبٍ فَأَصَابَهُ الْفَالَجُ فِي طَرِيقِهِ. وَ قِيلَ: أَصَابَهُ فِي طَرِيقِهِ قَوْلُنَجٍ فَدَخَلَ إِلَى حَلْبٍ، وَ عُولَجَ فَبُرِيَ ٤. ثُمَّ جَامَعَ جَارِيَهُ لَهُ، فَأَصَابَهُ الْفَالَجُ، وَ اسْتَدْعَى الطَّبِيبَ، وَ طَلَبَ يَدَهُ لِيَجَسَّ نَبْضَهُ، فَنَاقَلَهُ الْيَسْرِي، فَقَالَ:

«الْيَمِينُ» فَقَالَ: «مَا أَبَقْتَ الْيَمِينَ يَمِينًا» يَشِيرُ إِلَى غَدْرِهِ، وَ نَكَثَهُ فِي الْيَمِينِ الَّتِي حَلَفَهَا لِأَصْحَابِ بَكْجُورٍ.

وَ كَانَ مَبْدَأَ عِلَّتِهِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ جَمَادَى الْأُولَى، وَ مَاتَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَ ثَمَانِينَ وَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَ حَمَلَ فِي تَابُوتٍ إِلَى الرَّقَّةِ، وَ دُفِنَ (١) بِهَا.

وَ كَانَ قَاضِي حَلْبٍ فِي أَيَّامِهِ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَاضِي أَبِيهِ؛ ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَهَا رَجُلٌ هَاشِمِيٌّ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْخَشَّابِ؛ ثُمَّ وَلِيَ الشَّرِيفُ أَبُو عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْحُسَيْنِيِّ وَالِدُ الشَّرِيفِ أَبِي الْغَنَائِمِ النَّسَّابِ؛ وَ كَانَ زَاهِدًا عَالِمًا وَوَلَّاهُ سَعْدُ الدَّوْلَةِ قَضَاءَ حَلْبٍ وَ عَزَلَ ابْنَ الْخَشَّابِ عَنْهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَ سِتِّينَ؛

---

١- فِي ابْنِ الْقَلَانَسِيِّ ص ٦٧: «وَ حَمَلَ تَابُوتَهُ وَ دُفِنَ فِي الْمَشْهَدِ ظَاهِرَهَا» وَ الْمَشْهَدُ هُوَ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَ بَعْضُ شُهَدَاءِ صَفِينٍ، وَ هُوَ بِجَوَارٍ مَا يَعْرِفُ الْآنَ بِيَابَ بَغْدَادَ فِي مَدِينَةِ الرَّقَّةِ.

و دام فى ولايته إلى تسع و سبعين و ثلاثمائة؛ و ولى بعده أبو محمد عبيد الله بن محمد.

و كان العزيز أرسل إلى سعد الدوله يسأله إطلاق أولاد بكجور و تسييرهم إلى مصر فأهان الرسول، و لم يقبل الشفاعة، ورد عليه جواب متوعد متهدّد.

**[عهد سعيد الدوله]**

[عهد سعيد الدوله] (١)

ثم إنَّ غلمان سعد الدوله ملكوا ابنه أبا الفضائل سعيداً؛ و لقبوه سعيد الدوله؛ و نصبوه مكان أبيه فى يوم الأحد. و صار المدبّر له و صاحب جيشه من الغلمان الأمير أبو محمد لؤلؤ الكبير السيفى، فاستولى على الأمور و زوّج ابنته سعيد الدوله، فرفع المظالم و الرسوم المقرّره على الرعيّه من مال الهدنه. وردّ الخراج إلى رسمه الأوّل؛ وردّ على الحلبيين أملاكاً كان اغتصبها أبوه و جدّه.

و طمع العزيز صاحب مصر فى حلب؛ فاستصغر سعيد الدوله بن سعد الدوله، فكتب إلى أمير الجيوش بنجوتكين التركى؛ - و كان أمير الجيوش واليا بدمشق من قبل العزيز- و أمره بالمسير إلى حلب و فتحها، فنزل فى جيوش عظيمه، و مدبّر الجيش أبو الفضائل صالح بن علىّ الرّوذبارى.

فنزل على حلب فى سنه اثنتين و ثمانين و ثلاثمائه؛ و فتح حمص و حماه فى طريقه، و حصر حلب مدّه، فبذل له سعيد الدوله أموالاً كثيرة على أن يرحل عنه و على أن يكون فى الطّاعه، و يقيم الدعوه، و يضرب السكّه باسم العزيز، و يكتب اسمه على البنود فى سائر أعماله.

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

فامتنع من قبول ذلك وقاتل حلب ثلاثه و ثلاثين يوما، و ضجر أهل حلب فقالوا لابن حمدان: «إمّا أن تدبّر أمر البلد و إلا سلّمناه». فقال:

«اصبروا علىّ ثلاثه أيّام، فإنّ البرجى والى أنطاكيه قد سار إلى نصرتي فى سبع صلبان»<sup>(١)</sup>. فبلغ ذلك بنجوتكين، فاستخلف بعض أصحابه و هم: بشاره القلعي، و ابن أبى رماده، و معضاد بن ظالم، فى عسكر معهم كبير على باب حلب.

و سار فالتقى البرجى عند جسر الحديد، و بنجوتكين فى خمسه و ثلاثين ألفا و الروم فى سبعين ألفا، فانهزم البرجى؛ و أخذ بنجوتكين سواده و قتل من أصحابه مقتله عظيمه، و أسر خلقا كثيرا<sup>(٢)</sup>.

فانحاز ابن أخت البرجى إلى حصن عمّ<sup>(٣)</sup>، فسار بنجوتكين إلى «عمّ»، فقاتل حصنها، و فتحه بالسيف؛ و أسر منها ابن أخت البرجى، و والى الحصن، و ثلاثمائه بطريق، و حصل عنده ألفا فارس و غنم من «عمّ» مالا كثيرا، و أحرقها و ما حولها؛ و وجد فى «عمّ» عشره آلاف أسير من المسلمين فخرجوا و قاتلوا بين يديه.

و سار إلى أنطاكيه فاستاق من بلدها عشره آلاف جاموس، و من البقر

١- الصليب الرايه لحملها شاره الصليب، و قصده هنا أنه توجه نحوه فى سبع قطع عسكريه.

٢- قدم ابن القلانسى ص ٧٠-٧١، تفاصيل زائده على ما أوجزه ابن العديم.

٣- عمّ الآن فى تركيه و اسمها ينى شهر، و هى مزرعه تتبع قضاء الريحانيه لواء الاسكندرونه، تكثر فيها الينابيع التى تشكل بركه عم إلى الجنوب من مدينه الريحانيه ب ٣ كم. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

و المواشى عددا لا يحصى؛ و سار من ظاهر أنطاكية فى بلاد الروم حتى بلغ مرعش؛ فقتل، و أسر، و غنم، و خرّب، و أحرق.  
و عاد إلى عسكره على باب حلب المعروف بباب اليهود، و قاتلها من جميع نواحيها، و كان هذا فى جمادى الأولى و جمادى  
الآخرة، فأقام على حلب إلى انقضاء سنة اثنتين و ثمانين و ثلاثمائة، و عاد إلى دمشق.  
ثم إنّه عاد، و خرج من دمشق فى سنة ثلاث و ثمانين و ثلاثمائة، و مدّب الجيش أبو سهل منشا بن ابراهيم اليهودى القزّاز؛ فنزلوا  
شيزر و قاتلوها، و فتحوها، و أمّنوا سوسن الغلام الحمدانى- و كان واليا بها- و جميع من كان معه.  
و سار بنجوتكين إلى أفاميه، فتسلمها من نائب سعيد الدوله ثم [سار] أمير الجيوش بمن انتخبه من العسكر إلى أنطاكية، فغنموا  
بقرا و غنما، و رماكا(١) و جواميس؛ و بلغوا نواحي بوقا، و قطعوا بغراس؛ و عاد العسكر إلى الرّوج(٢) ثم إلى أفاميه.  
و سار إلى دمشق، و سيّر العزيز أبا الحسن على بن الحسين بن المغربى الكاتب، الذى كان وزيرا لسعد الدوله أبى المعالى مره، و  
فارقه عن وحشه- و هو والد الوزير أبى القاسم بن المغربى- فى المحرم من سنة أربع و ثمانين

---

١- جمع رمكه و هى الفرس تتخذ للنسل.

٢- فى معجم البلدان: الروح: كوره من كور حلب المشهوره فى غربيها و بين المعره، و لها ذكر فى الأخبار. و أرجح أن يقال:  
فى جنوبى أنطاكية بينها و بين أفاميه.



و ثلاثمائة، من مصر إلى بنجوتكين ليجمعه مدبر جيشه و الناظر في أعمال الشام إن فتحت، لخبرته بتلك الناحية. و سار معه  
عسكر كثير فوصل إلى دمشق.

و سار منها بنجوتكين و ابن المغربي في ثلاثين ألف مقاتل، فوصلوا إلى ظاهر حلب في شهر ربيع الآخر، و ضيق عليها بالحصار،  
فاستنجد سعيد الدوله و لؤلؤ بالروم، فخرج البطريق البرجي والى أنطاكية بعساكر الروم فنزل بالأرواح؛ على المقطعات على  
المخاض، و بث سراياه؛ و رتب قوما يغيرون على أعمال حلب و يمنعون المتعلقه.

و سار بنجوتكين فنزل مقابلهم، و سار عسكر حلب و فيهم الأمير رباح الحمداني و كبار الحمدانيه، فنزلوا مع الروم على مخاضه  
أخرى؛ فقطع المغاربه الماء، و عبروا إليهم، و أنفذ بنجوتكين العرب مع قطعه من عسكره للقاء الحلبيين؛ فحين أشرفوا عليهم  
انهزموا عن المخاضه، و نهبتهم العرب.

فحين شاهد الروم ذلك انهزموا، و تخلوا عن البرجي؛ و اضطروه إلى الهزيمة؛ و تبعهم المغاربه مع بنجوتكين في يوم الجمعه  
لست خلت من شعبان سنه أربع و ثمانين و ثلاثمائة؛ فظفر بهم، و غنم الأموال و الرجال و الخيل التي لا تحصى؛ و قتل خلقا  
كثيرا، و أسر خلقا كثيرا من الروم، و سار فنزل على عزاز فأخذها.

ثم عاد إلى حصار حلب فبنى مدينه بازائها و شتى بها؛ و آثار العماره التي تظهر حول نهر قويق هي آثار تلك العمائر؛ و لم يزل  
على حلب إلى أن انقضت سنه أربع و ثمانين؛ و كان حصارهم حلب أحد عشر شهرا، و أكلوا الخيل و الحمير.

و أنفذ أبو الفضائل سعيد الدوله و لؤلؤ: أبا عليّ بن دريس إلى باسيل ملك الروم بالقسطنطينيه، يستجدانه؛ و كانت له على حلب قطيعه تحمل إليه؛ و قالوا له: «ما نريد منك قتالا دائما نريد أن تجفله».

فخرج باسيل في ثلاثه عشر ألفا، و عسكر بنجوتكين لا خبر معهم لباسيل فسير باسيل جواسيس، و قال لهم: «امضوا إلى العسكر، و أعلموهم بي». و كانت دواب أمير الجيوش بمرج أفاميه، في الربيع؛ فلما أخبر الجواسيس عسكر أمير الجيوس بوصول باسيل إلى العمق(١)، ضرب جميع آلتة بالنار، و رحل إلى قنسرين، فصار هزيمه.

و جاء باسيل ملك الروم، فنزل موضعهم، فلم يمله؛ و كان قد خرج أبو الفضائل إلى ملك الروم؛ و شكره على ما فعل من رحيل بنجوتكين، و معه هديّه جليله القدر؛ فقبلها منه، ثم أعادها إلى حلب و وهب له القطيعه التي كانت له على حلب في تلك السنه، فقال قسطنطين لأخيه الملك باسيل: «خذ حلب؛ و الشام ما يمتنع منك». فقال: «ما تسمع الملوك أنى خرجت أعين قوما فغدرت بهم». فقال له بعض أصحابه: «ليست حلب غاليه بغيره». فقال الملك: «بلى ولو أنها الدنيا»(٢).

١- العمق سهل داخلي في لواء اسكندرونه يقع بين جبال حلب و سمعان و حارم شرقا، و جبال الأمانوس أو اللكام غربا، و بين اللجه و وادي نهر الأسود شمالا، و هضبه القصير جنوبا، يبلغ أقصى امتداد له ٣٠ كم بين الشمال و الجنوب و ٢٥ كم بين الشرق و الغرب، كان يشغل مستنقع العمق منه مساحه ٢٢ ألف هكتار، و بحيره أنطاكيه ١٠ آلاف هكتار، و يجرى بالسهل عدّه أنهار. المعجم الجغرافي للقطر العربي السورى.

٢- كان الامبراطور باسيل الثانى عندما سمع بأخبار حصار حلب معسكر بعيدا عن القسطنطينيه- يحارب البلغار، فترك أرض المعركه، و حث الخطا نحو حلب بمن خف معه من قواته، فقطع مسافه ثلاثمائه فرسخ في سته عشر يوما حتى وصل إلى حلب، حيث أخذ القوات الفاطميه على حين غره و أجبرها على رفع الحصار و الانسحاب ... انظر كتابي إماره حلب- ط. دمشق، دار الكتاب العربي ص ٣٧.

و كان إذا خرج أبو الفضائل إلى ملك الروم أقام لؤلؤ بحلب؛ و إذا خرج لؤلؤ أقام أبو الفضائل. و كان قد ضاق صدر أبي الفضائل لطول الحصار، و أراد تسليم حلب إلى بنجوتكين.

فتوجع لؤلؤ فركب إليه أبو الفضائل يعوده، فحجبه ساعه، فشق عليه، و انصرف مغضبا فلحقه لؤلؤ و قال له: «ما كنت عليلا، و إنما أردت أن أعلمك أنك متى مضيت إلى غير هذا البلد أنك تحجب على أبواب الناس، و قد شق عليك أنى حجبتك، و أنا عبدك، و البلد بلدك». فرجع إلى قول لؤلؤ.

و عصى رباح السيفي بالمعزة على مولاه أبي الفضائل؛ فخرج إليه مع لؤلؤ في سنة ست و ثمانين، و انحاز إلى المغاربه، فخرج أبو الفضائل و لؤلؤ و حصراه مده، فورد بنجوتكين لنجدته فانهزما و دخلا حلب.

و خرج بسيل إلى أفاميه بعد وقعه جرت للروم مع المغاربه فجمع عظام القتلى من الروم، و صلى عليهم و دفنهم، و سار إلى شيزر ففتحها بالأمان من المغاربه، و ذلك في سنة تسع و ثمانين و ثلاثمائة.

و سار ملك الروم إلى وادي حيران(١)، فسبى منه خلقا عظيما من

---

١- كذا بالأصل و أرجح أنها تصحيف حيلان، هذا و قال ياقوت: حيران: كأنه جمع حير، و هو مجتمع الماء، و اسم ماء ما بين سلميه و المؤتفكه، ذكره ابو الطيب المتنبى.

المسلمين؛ و خرج إليه أبو الفضائل من حلب إلى شيزر، فأكرمه و قال له:

«قد وهبت لك حلب». و وهب لأبي الفضائل في جملة ما وهبه سطييل ذهب، و قال له: «اشرب بهذا».

و مات أبو الفضائل سعيد الدولة، ليله السبت النصف من صفر سنة اثنتين و تسعين و ثلاثمائة، سقته جاريه سما، فمات. و قيل: إن لؤلؤ دسّ عليه ذلك و على ابنته زوجة أبي الفضائل، فماتا جميعا.

و كان قاضى حلب فى أيامه عبيد الله بن محمد بن أحمد القاضى أبا محمد.

و ملك لؤلؤ السيفى ولديه:

أبا الحسن عليا و أبا المعالى شريفا ابنى سعيد الدولة. و استولى لؤلؤ على تدبير ملكهما، و ليس إليهما شىء.

و خاف لؤلؤ على حصن كفر روما<sup>(١)</sup>، و حصن عار، و حصن أروح، أن يقفز<sup>(٢)</sup> فيها، فهدمها جميعا سنة ثلاث و تسعين و ثلاثمائة.

و أحب لؤلؤ التفرد بالملك، فسير أبا الحسن و أبا المعالى ابنى سعيد الدولة عن حلب إلى مصر مع حرم سعد الدولة، فى سنة أربع و تسعين و ثلاثمائة. و حصل الأمر له ولولده مرتضى الدولة أبى نصر منصور بن لؤلؤ.

١- كفر روما: من أشهر حصون منطقه معره النعمان، و كذلك كما يبدو الحصنين الآخرين. معجم البلدان.

٢- أى يستولى عليها خلسه أو بطريقه ما، و هذه طريقه للتعبير عرفها عصر ابن العديم.

و قبض لؤلؤ على أحمد بن الحسين الأصفر بخديعه خدعه بها؛ و ذلك أنه طلب أن يدخل إليه إلى حلب، و أوهمه أن يصير من قبله؛ فلما حصل عنده قبض عليه، و جعله في القلعه مكرما، لأنه كان يهوّل به على الروم(١).

و كان هذا الأصفر قد عبر من الجزيره إلى الشام مظهرا غزو الروم(٢)، فتبعه خلق عظيم، و كان يكون في اليوم في ثلاثين ألفا ثم يصير في يوم آخر في عشره آلاف و أكثر و أقل.

و نزل على شيزر و طال أمره فاشتكاه باسيل ملك الروم إلى الحاكم، فسير إليه والى دمشق في عسكر عظيم فطرده عنها؛ و دام الأصفر معتقلا في قلعه حلب إلى أن حصلت للمغاربة في سنه ست و أربعمائه.

و توفي قاضى حلب أبو طاهر صالح بن جعفر بن عبد الوهاب بن أحمد الصالحى الهاشمى(٣)، مؤلف كتاب «الحنين إلى الأوطان»، في سنه سبع و تسعين و ثلاثمائه. و كان فاضلا؛ و أظن أن ولايته القضاء كانت بعد أيام سعيد الدوله، بعد القاضى أبى محمد عبيد الله بن محمد بن أحمد.

- 
- ١- من أنواع المهدي المنتظر، و ظهر هذا بين قبائل حلب سنه ٣٩٤/١٠٠٣ م و دعا إلى الجهاد ضد الروم، مما سبب اضطرابا في الأراضى البيزنطيه، فأوعز الامبراطور باسيل الثانى إلى لؤلؤ بالقبض عليه فغرر به و تخلص منه. انظر كتابى اماره حلب ص ٣٦.
  - ٢- كان هناك أصفر آخر نشط في أراضى الجزيره و قد قبض عليه نصر الدوله ابن مروان حاكم ميفارقين. إماره حلب ص ٣٦.
  - ٣- له ترجمه في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ١٢ ص ٣٢.

و ولى لؤلؤ قضاء حلب فى هذه السنه أبا الفضل عبد الواحد بن أحمد بن الفضل الهاشمى.

و توفى لؤلؤ الكبير بحلب فى سلخ ذى الحجه من سنه تسع و تسعين و ثلاثمائه. و قيل: ليله الأحد مستهل المحرم سنه أربعمائه؛ و دفن بحلب، فى مسجده المعروف به، فيما بين باب اليهود و باب الجنان؛ و كانت داره القصر بباب الجنان؛ و له منها إلى المسجد سرب يدخل فيه إلى المسجد، فيصلى فيه.

و كان لؤلؤ يعرف بلؤلؤ الجراجى (١)؛ و يعرف بذلك لأنه كان مولى جراج، أحد غلمان سيف الدوله؛ فأخذه منه و سمّاه لؤلؤ الكبير. و كان عاقلا، محبا للعدل، شهما؛ و ظهرت منه فى بعض غزوات سيف الدوله شهامه، فتقدّم على جماعه رففته من السيفيه و السعديه.

---

١- فى أخبار الدوله المنقطعه- الدوله الحمدانيه- ص ٥٧: لؤلؤ الحمدانى، لؤلؤ الجراجى.

[عهد منصور بن لؤلؤ]

[عهد منصور بن لؤلؤ] (١)

و تقررت إماره حلب بعده لابنه:

أبى نصر منصور بن لؤلؤ و لقب مرتضى الدوله.

و كان ظالما عسوفاً، فأبغضه الحلبيون و هجوه هجوا كثيرا فمما قيل فيه:

لم تلقب و إنما قيل فالأمرتضى الدوله التى أنت فيها

و سير مرتضى الدوله ولديه أبا الغنائم و أبا البركات إلى الحاكم وافدين عليه، فأعطاهما مالا جسيما؛ و أقطعهما سبع ضياع فى بلد فلسطين، و لقب أباهما مرتضى الدوله، و كان ذلك قبل موت لؤلؤ بسنه (٢).

و كان لسعد الدوله بن سيف الدوله بحلب ولد يقال له أبو الهيجاء، و كان قد أوصى سعد الدوله لؤلؤا لما مات به؛ فلما أن ملك لؤلؤ خاف منه، و ضيق عليه لؤلؤ و مرتضى الدوله؛ و كان قد صاهر ممهد الدوله أبا منصور أحمد بن مروان صاحب ديار بكر على ابنته؛ و أظن ذلك كان فى أيام أبيه.

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- انظر كتابى إماره حلب ص ٣٩.

فخاف أبو الهيجاء من لؤلؤ و ابنه مرتضى الدولة، فتحدّث مع رجل نصراني يعرف بملكونا كان تاجرا و بزّازا لمرتضى الدولة، فأخرجه من حلب هاربا، و التجأ إلى ملك الروم فلقبه الماخسطرس.

فلما كثر ظلم منصور و عسفه رغب الرعيه و بنو كلاب المتدبرون ببلد حلب في أبي الهيجاء بن سعد الدولة؛ و كاتبوا صهره ممهد الدولة ابن مروان في مكاتبه باسيل ملك الروم في إنفاذه إليهم.

فأنفذ إلى الملك يسأله تسيير أبي الهيجاء إليه ليتعاضدا على حلب، و يكون من قبله من حيث لا يكلفه إنجاده برجال و لا مال.

فأذن باسيل لأبي الهيجاء في ذلك، فوصل إلى صهره بميفارقين، فسير معه مائتي فارس و خزانة؛ و كاتب بني كلاب بالانضمام إليه.

و سار قاصدا حلب في سنة أربعمائه فخافه منصور، و رأى أن يستصلح بني كلاب و يقطعهم عنه، لتضعف منته؛ فراسلهم و وعدهم بإقطاعات سنیه؛ و حلف لهم أن يساهمهم أعمال حلب البرائیه.

و استنجد مرتضى الدولة بالحاكم، و شرط له أن يقيم بحلب واليا من قبله، فأنفذ إليه عسكر طرابلس مع القاضي علي بن عبد الواحد بن حيدر قاضي طرابلس، و أبي سعادة القائد والي طرابلس، في عسكر كثيف فالتقوا بالنقره.

و تقاعد العرب عن أبي الهيجاء لما تقدّم من وعود مرتضى الدولة لهم،



فانهزم أبو الهيجاء راجعا إلى بلد الروم و نهبت خيامه و جميع ما كان معه.

ثم دخل إلى القسطنطينيه فأقام بها إلى أن مات(١).

و كان الحاكم قد كتب لمنصور بن لؤلؤ في شهر رمضان من سنه أربع و أربعمائيه سجلا، و قرى ء في القصر بالقاهره، بتمليكه حلب و أعمالها؛ و لقب فيه بمرتضى الدوله.

و كان في قلعه عزاز غلام من غلمان مرتضى الدوله فاتهمه في أمر أبي الهيجاء، فطلب مرتضى الدوله منه النزول فلم يفعل، و خاف منه و قال:

«ما أسلمها إلا إلى القاضي ابن حيدره» فسلمها إليه.

و كتب القاضي فيها كتابا إلى الحاكم، و سلمها إلى مرتضى الدوله، فنقم عليه، و قتله بعد ذلك.

و أما أبو الهيجاء فأقام بالروم إلى أن مات.

و عاد قاضي طرابلس إلى منصور يطلب منه ما كان وعده به، فدافعه، فرجع إلى طرابلس خائبا ..

و كان أبو المعالي بن سعيد الدوله بمصر، فسيره الحاكم بعساكر المغاربه إلى حلب، فوصل معرّه النعمان في سنه اثنتين و أربعمائيه؛ و أرادت العرب الغدر به، و بيعه من مرتضى الدوله، لأنهم أغاروا. و ركب يريداهم، فأخذه مضى ء الدوله نصر الله بن نزال وردّه إلى العسكر، و رجع فمات بمصر(٢).

١- عالجت هذا الموضوع في كتابي إماره حلب ص ٣٩-٤٢.

٢- إماره حلب ص ٤٢.

## [قيام الدوله المرداسيه]

## اشاره

[قيام الدوله المرداسيه](١)

و أما بنو كلاب فانهم طلبوا من مرتضى الدوله ما شرطه لهم من الإقطاع، فدافعهم عنه، فتسلطوا على بلد حلب، و عاثوا فيه، و أفسدوا، و رعوا الأشجار و قطعوها، و ضيقوا على مرتضى الدوله، فشرع فى الاحتيال عليهم، و أظهر الرغبه فى استقامه الحال بينهم و بينه و طلبهم أن يدخلوا إليه ليحالفهم و يقطعهم و يحضروا طعامه، و اتخذ لهم طعاما.

فلما حصلوا بحلب مدّ لهم السماط و أكلوا و غلّقت أبواب المدينه، و قيد الأمراء: و فيهم صالح بن مرداس، و فيهم أبو حامد و جامع ابنا زائده.

و جعل كبار الأمراء بالقلعه، و من دونهم بالهرى. و قتل منهم أكثر من ألف رجل، و ذلك لليلتين خلتا من ذى القعدة من سنه اثنتين و أربعمائه(٢).

فجمع مقلد بن زائده من كان من بنى كلاب خارج حلب، و أجفل بالبيوت، و نزل بهم كفر طاب و قاتلها، فرماه ديلمى اسمه بندار فقتله، فى

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- يعد هذا الحادث مقدمه لنهايه الدوله الحمدانيه و اسبابها و بدايه لقيام الدوله المرداسيه. انظر المعالجه المفصله لهذه المسأله فى كتابى إماره حلب ص ٤٢-٤٥.

أوائل سنة ثلاث و أربعمائه. و كان مرتضى الدولة قد أخرج أخويه أبا حامد و جامعا و غيرهما؛ و جعلهم فى حجره، و جعل فيها بسطا، و أكرمهم لأجل مقلده. فلما جاءه خبر قتله أنفذ إليهم يعزيهم به فقال بعضهم لبعض: «اليوم حبسنا».

و سير مرتضى الدولة إلى صالح بن مرداس، و هو فى الحبس، و ألزمه بطلاق زوجته طرود، و كانت من أجمل أهل عصرها؛ فطلقها، و تزوجها منصور، و هى أم عطية بن صالح، و إليها ينسب مشهد طرود، خارج باب الجنان، فى طرف الحلبة. و به دفن عطية ابنها؛ و مات أكثر المحبسين بالقلعة فى الضر، و الهوان، و القله، و الجوع.

و كان مرتضى الدولة فى بعض الأوقات إذا شرب يعزم على قتل صالح، لحنقه عليه من طول لسانه، و شجاعته. فبلغ ذلك صالحا، فخاف على نفسه، و ركب الصعب فى تخليصها؛ و احتال حتى وصل إليه فى طعامه مبرد؛ فبرد حلقه قيده الواحد، و فكها و صعبت الأخرى عليه، فشدّ القيد فى ساقه، و نقب حائط السجن؛ و خرج منه فى الليل؛ و تدلّى من القلعة إلى التل، و ألقى نفسه فوق سالما ليله الجمعة مستهل المحرم سنة خمس و أربعمائه.

و استتر فى مغازه بجبل جوشن، و كثر الطلب له و البحث عنه، عند الصباح؛ فلم يوقف له على خبر، و لحق بالحلّه؛ و اجتمعت إليه بنو كلاب؛ و قويت نفوسهم بخلاصه، و بعد ستة أيام ظفر صالح بسلام لمنصور كان قد

أعطاه سيف صالح، فاستعاده منه و أيقن بالظفر، و تفاعل بذلك(١).

و لما كان فى اليوم العاشر من صفر نزل صالح بتلّ حاصد(٢) من ضياع النقره يريد قسمتها، بعد أن جمع العرب و استصرخهم؛ و كان يعلم صالح محبه مرتضى الدوله لتل حاصد.

فحين علم منصور بنزول صالح على تلّ حاصد، رأى أن يعاجله قبل وصول المدد إليه، فجمع جنده، و حشد جميع من بحلب من الأوباش، و السّوقه، و النّصارى، و اليهود؛ و ألزمهم بالسّير معه إلى قتال صالح؛ فخرجوا ليله الخميس ثانى عشر صفر من سنه خمس و أربعمائنه.

و بلغنى: أنّ مرتضى الدّوله لما وصل إلى جبرين(٣) تطير و قال: جبرنا؛ فلمّا وصل بوشلا(٤) قال: شللنا؛ فلمّا وصل تلّ حاصد قال: حصدنا.

و أصبح عليهم يوم شديد الحرّ فماتلهم صالح باللقاء، إلى أن عطش العوام و جاعوا؛ و سيّر جاسوسا إلى العسكر فجاء و أخبره أنّ معظم عسكره

١- المرجح أن هروب صالح تمّ على غير هذه الصوره، و أن الأمر دبّر مع متولى قلعه حلب أو سواه. انظر إماره حلب ص ٤٥.

٢- فى منطقه السفيره- محافظه حلب، قريه اسمها الآن تل حاصد واقع شمال جبل الأحص، فلعلها هى التى عرفت من قبل باسم تل حاصد. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٣- جبرين مزرعه قرب حلب تبعد عنها مسافه ٨ كم نحو الشرق. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٤- فى منطقه أريحا- محافظه ادلب- معلم أثرى اسمه « بشلله»، فلعله المقصود هنا، المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

من اليهود، و التّصاري؛ و أنّه سمع يهوديا يقول لآخر بلغتهم: «والك حفيظه اطعزه و اتأخر، و إياك يكون خلفه آخر يطعرك بمطعازه، يخعب بيتك للدواغيث»<sup>(١)</sup>.

فقوى طمع صالح فيهم، و حمل عليهم فكسرهم؛ و أسر مرتضى الدّوله و سالم بن مستفاد، أبا المرّجأ<sup>(٢)</sup> الحمداني، و خلقا غيرهما.

و قتل جمع كثير من العسكر و مقدار ألفى راجل من العوام؛ و آثار عظامهم إلى اليوم مدفونه في أرجام حجاره شبيهه بالتلال، فيما بين تلّ حاصد و بوشلا.

و انهزم أبو الجيش و أبو سالم أخو مرتضى الدّوله؛ و قصد القلعه فضبطها أبو الجيش المفلول، و ضبط البلد أخوه أبو الجيش و أمّه.

و حدّث بنو كلاب أنّهم لم يروا و لم يسمعوا بأشجع من مرتضى الدّوله، و أنه لو لم يقف به الحصان ما وصلو إليه، و أنه لما وقف به الحصان لم يقدم عليه أحد حتى جاء صالح، فقال: «إلّي يا مولانا». فرمى السّيف من يده؛ فلما رماه تقربوا منه؛ و أخذه صالح فقيّده بالقيد الذي كان في رجله.

و كان بين هرب صالح و أسره مرتضى الدّوله أحد و أربعون يوما.

و رأى صالح أنّه لا قدره له على أخذ البلد لضبطه بأبي الجيش، فرأى

١- اطعزه: اطعنه، اضربه، ادفعه. يخعب: يخرب. الدواغيث الدواويث جمع ديوث فيما أرجحه.

٢- لسالم بن مستفاد ترجمه في بغية الطلب ص ٤١٦١-٤١٦٣.

أن يوقع الصلح؛ فتراسلوا في ذلك؛ و أشركوا أبا الجيش في تقرير ذلك؛ فخرج مشايخ من أهل حلب من أبا الجيش في حديث الصلح و تقريره.

فلما وصلوا إلى صالح سلموا عليه غير هائين له و لا مبجلين، لقرب عهدهم برؤيته أسيرا حقيرا؛ و كلموه بكلام جاف؛ و رادوه في شروط شرطها عليهم؛ فأحس منهم بذلك، فقال لهم: «قبل أن نتفرق بيننا أمر، اجتمعوا بأمركم، و شاوروه فيما تتحدثون به معي من الشروط».

قال: فقاموا، و دخلوا على مرتضى الدولة، و فيهم الشاهدان اللذان شهدا على صالح بطلاق طرود، فوجدوا مرتضى الدولة على أقبح صورته مكشوف الرأس، على قطعه من كساء خلق، و القييد قد أثر في ساقيه فاحتقروه؛ و عظم صالح في أعينهم؛ فهناؤه بالسيلامه؛ فقال: «سلامه العطب أصلح منها»؛ ثم قال: «إن الأمير صالح يطلب مني طلاق طرود، فاشهدوا علي أنها طالق؛ و يطلب مني تسليم حلب؛ و لست الآن مالكةا، فدبروا الأمر على حسب ما ترونه و يستصوبه أخي أبو الجيش، الذي هو الآن المستولى على القلعة و المدينة».

فلم يزالوا يترددون بينهما؛ و يدخلون إلى حلب، و يشاورون أبا الجيش إلى أن استقر الأمر مع صالح بعد التضرع إليه و سؤاله باللطف في كلام خلاف ما بدأوه به على أن يطلق منصور؛ على أن يحمل إليه خمسين ألف دينار عينا؛ و مائه و عشرين رطلا بالحبلي فضه؛ و خمسمائه قطعه ثياب أصنافا مختلفه؛ و يطلق جميع من في الجوس من بني كلاب و حرمهم؛ و أن يقاسمه

باطن حلب و ظاهرها شطرين؛ و يجعل ارتفاع ذلك نصفين؛ و أن يزوجه مرتضى الدوله بابتته.

فأجاب إلى ذلك و وقعت اليمين عليه؛ و أخرج إلى صالح أمه بجيلا، و زوجته أم الكرم ابنه رباح السيفي، و أولاده منها: أبا الغنائم، و أبا علي، و أبا الحسن، و أبا البركات، رهائن على المال.

و أطلق مرتضى الدوله فدخل إلى حلب يوم السبت لسبع بقين من صفر سنة خمس و أربعمائه، فلما حمل المال إلى صالح، خلى سبيل الرهائن؛ و باع كل واحد من العرب ما حصل في يده من الغنيمه و الأسارى من الجند و غيرهم من الرعيه المسلمين و أهل الذمه لأهاليهم بما اتفق؛ و استغنى العرب و قويت شوكتهم.

و لما حصل منصور إلى حلب عاد إلى عاداته الأولى في الغدر، و منع صالحا ما صالحه عليه من ارتفاع البلاد و التزوج بابتته؛ فضيق صالح عليه، و حاربه، و منع الميره أن تدخل إليه حتى ضاقت على الرعيه فكرهوه(١).

و انضاف إلى ذلك أنه وقعت التهمه بين مرتضى الدوله و بين غلامه فتح القلعي - و كان والى القلعه - في العاشر من شهر رجب من سنه ست؛ فاتهمه بأنه هو الذى هرب صالحا، و تابع لومه له، و قال: لولا قلّه تحفظه و تضجيعه

---

١- تطور الصراع بين صالح بن مرداس و منصور بن لؤلؤ، إلى درجه عرضه على الامبراطور البيزنطى باسيل الثانى. انظر اماره حلب من ٤٥-٤٧.

فى الاحتياط على صالح لما هرب من السجن؛ و هذه المحن كلها بسببه.

و تواعده.

و عزم على أن يولى قلعه حلب صاحباً له يعرف بسرور، فأسرّ ذلك إليه؛ فتمّ الخبر من سرور إلى رجل يقال له ابن غانم صديق لفتح، فأطلعه على ذلك؛ فخاف فتح القلعيّ منه، فوافق المقيمين معه على العصيان؛ فأجابوه إلى ذلك.

و طلب نزوله فتعلّل، و أخذ حذره منه؛ ثم كاشفه بالعصيان؛ فصعدت إليه بجيلاً والده مرتضى الدولة و عنفته، فلم يصغ إلى قولها، فقالت له: «كيف تفعل هذا مع ابن سيدك؟» - لأنه كان مولى لؤلؤ السيفى - فقال: «كما فعل هو و أبوه بأولاد سيّده» - يعنى بولدى سعد الدولة أبى الفضائل و أبى الهيجاء -.

ثم أنفذ فتح إليه و قال له: «إمّا أن تخرج من حلب، و إلا سلمت القلعه إلى صالح». فبينما مرتضى الدولة فى قصره سنة ست و أربعمائه، إذ ضربت البوقات و الطبول على القلعه، و صاح من فيها: «الحاكم يا منصور؛ صالح يا منصور» فظنّ منصور أن صالحاً قد حصل فى القلعه، ففتح باب الجنان؛ و هرب هو و أخوه و أولاده، و من تبعه من غلمانته إلى أنطاكية؛ و أخذ معه ما قدر على حمله من المال.

فلما علم أهل حلب بخروجه قصدوا داره؛ فأخذوا منها من الذهب و الفضة و المراكب و الأثاث ثمانين ألفاً من الدنانير.



و أخذ في جملة ما نهب له ثمانيه و عشرون ألفا من الدفاتر المجلده، و كانت مفهرسه بخطه في درج؛ و نهبوا دور إخوته و دور بعض النصارى و اليهود(١).

و وصل مرتضى الدوله إلى أنطاكيه لخمس بقين من شهر رجب، فطالع قطبان(٢) أنطاكيه الملك باسيل بهرب منصور إليه؛ فأنفذ إليه يأمره باكرامه، و أن يواصله براتب و إقامه، و كذلك برزق أجناده و أصحابه؛ ففعل ذلك، و كان جملةهم سبعمائه رجل من فارس و راجل؛ و أن لا ينقصه في المخاطبه و الكرامه من الرسم الذى كان يخاطبه به في أيام امارته، و أمر أن يلقب بالماخسطرس.

و استدعى الملك إخوته و ابنتيه: أبا الغنائم، و أبا البركات؛ فخلع عليهم؛ و أنفذ على أيديهم توقيعاً باقضاع عدّه ضياع له و لهم؛ و كان من جملةها شيخ ليلون(٣)؛ فعمر مرتضى الدوله حصنها، و سكن فيه ليقرب عليه ما يحتاج إلى معرفته من أمور حلب.

أما مرتضى الدوله فانه عمر إلى أن قدم أرمانوس من القسطنطينيه؛ و نزل على تبلى في سنه إحدى و عشرين و أربعمائه، و كان معه إذ ذاك، و توفى بعد ذلك(٤).

١- بهذه الواقعة انتهى حكم الدوله الحمدانيه فعليا من حلب، و يعتقد أن للخلافه الفاطميه دورها في عصيان فتح على منصور بن لؤلؤ. اماره حلب ص ٤٨ - ٥٠.

٢- Catapan أى حاكم.

٣- هى فى بغية الطلب ج ١ ص ٢٣٣ «شيخ اللون»، فى منطقه أنطاكيه.

٤- سترد أخبار حمله الامبراطور رومانوس الثالث على حلب بعد مقتل صالح بن مرداس.

**[الحكم الفاطمي لحلب]****[الحكم الفاطمي لحلب] (١)**

و أما فتح القلعي أبو نصر فإنه نادى بشعار الحاكم صاحب مصر؛ و صالح صالح بن مرداس على نصف الارتفاع ظاهرا و باطنا؛ و سلم إليه حرم منصور و حرم إخوته و أولاده، ليسيرهم إلى ابن لؤلؤ إلى أنطاكية؛ و في الجملة بنته التي وعده أن يزوجه بها؛ فأخرجهم صالح إلى الحلّة و ضبط عنده بنته التي وعده بتزويجها منه؛ و دخل إليها و أنفذ إليه بقيه الحرم.

و تسلّم صالح الأعمال و الضياع التي تقرّر مع ابن لؤلؤ أن يدفعها إليه. و استدعى والي أفاميه أبا الحسن عليّ بن أحمد العجمي المعروف بالضيّف، فأنزله بالمدينه بالقصر بباب الجنّان، في أوائل شعبان من سنه ست و أربعمائه.

و بقي «فتح» بالقلعه فأحسن «الضيّف» السيره؛ وردّ على الحلبيين ما كان قد اغتصبه سيف الدوله و ولده من أملاكهم؛ و بالغ في العدل (٢).

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- كان صالح بن مرداس معاديا لسقوط حلب للفاطميين، و كذلك فعلت الامبراطوريه البيزنطيه، مما سيؤدي إلى تطورات سريعه تقود نحو تأسيس حكم الدوله المرداسيه. اماره حلب ص ٥٠-٥١.

و كاتب «فتح» الحاكم يخبره بما فعل، فوردت مكاتبه الحاكم إليه يتضمن شكره على ما فعل، و لقبه مبارك الدوله و سعيدها.  
و كتب إلى أبي الحسن الضيف يأمره بمعاضدته، و لقبه سديد الدوله، و كتب إلى صالح بن مرداس يأمره بالاتفاق معهما، و لقبه  
أسد الدوله.

و كتب لأهل حلب توقيعا باطلاق المكوس و المظالم، و الصفح عن الخراج؛ و هو عندى متوج بعلامه الحاكم عليه: «الحمد لله  
رب العالمين». و نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا من أمر الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لجميع أهل حلب و أعمالها ..

إنه لَمَّا انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنتم فيه من الظلمه المدلهمة، و قبيح ظفر(١) من يتولى أموركم فى المعاملات و زيادتهم  
عليكم فى الخراج و الجبايات، إضعافا لكم، و عدولا عن سنن الحق بكم، أمر- زاد الله أمره علوا و نفاذا- بإطلاق المؤمن من  
دار كوره و نظائرها؛ و الصفح عن الواجب عليكم من مال الخراج لاستقبال سنه سبع و أربعمائه، لتعلموا أن ضياء الدوله النبويه قد  
لمع و ظهر، و أنّ حنّس الظلام قد انجاب و دثر».

و ذكر تمامه.

١- كذا بالأصل، و أراها تصحيف «نظر».

و وصل من قبل الحاكم والى طرابلس مختار الدوله ابن نزال الكتامي؛ و والى صيدا مرهف الدوله بجكم التركي؛ و كانوا جميعا فى البلد من قبل الحاكم.

ثم كتب الحاكم إلى حسان بن المفرج بن الجراح الطائى (١) و عشيرته، و سنان بن عليان الكلبي و عشيرته (٢)، بالاحتياط على حفظ حلب، و أتبع ذلك بمكاتبه إلى «فتح»، يمني و يعده الجميل إذا سلم القلعه. فأجاب إلى تسليمها؛ و أخذ جميع ما كان بها من الدخائر لمنصور من عين، و ورق، و متاع، و سلاح.

و كتب بولايه صور، فسلم القلعه إلى الأمير عزيز الدوله أبى شجاع فاتك، فى شهر رمضان من سنه سبع و أربعمائته (٣). و كان الحاكم قد خلع عليه فى جمادى الأولى من سنه سبع و أربعمائته. و حملة على عدّه من الخيل بسروج محلاه بذهب مصفّحه؛ و قلده سيفاً و منطقته بمنطقه و سيره إلى حلب.

و توجه «فتح» إلى صور. و ولى «الضيف» بحلب فى سنه سبع

١- لحسان بن المفرج ترجمه فى بغيه الطلب ص ٢٢٣٩ - ٢٢٤١.

٢- سترد بعد قليل أخبار الحلف الثلاثى فيما بين صالح بن مرداس و سنان بن عليان، و حسان بن المفرج ضد الخلافه الفاطميه.

٣- بهامش الأصل: مطلب: «و قد كان صالح راسل فتحاً و أشار عليه أن يقيم بالقلعه و يكون هو خارج حلب و أن تتفق على إخراج المغاربه من حلب و الاجتماع على حفظها. فعلم أهل حلب بذلك فاجتمعوا تحت القلعه، و قالوا: ما نريد إلا المغاربه، و لا رغبه لنا فى الباديه. و صارت فتنه، فكتب الضيف إلى الحاكم يطلب منه أن يمده بالعساكر لتقوى يده على صالح؛ فسيّر إلى ولاه البلاد يأمرهم بالتوجه إليه ه.». «.

و أربعمائه، حين تولّى، القاضى أبا جعفر محمد بن أحمد السمنانى الحنفى القضاء بحلب.

و كان عزيز الدوله أرمنيا لبنجوتكين مولى العزيز صاحب مصر. و كان بنجوتكين شديد الشّغف به؛ و كان أدبيا عاقلا، كريما، كبير الهّمّه. فولاه الحاكم حلب و أعمالها؛ و لقبه أمير الأمراء، عزيز الدوله، و تاج المله. و دخل حلب يوم الأحد الثانى من شهر رمضان من سنه سبع و أربعمائه.

و كان محبّا للأدب و الشعر. و صنّف له أبو العلاء بن سليمان «رساله الصّاهل و الشّاحج» و «كتاب القائف».

و فيه يقول القائد أبو الخير المفضّل بن سعيد العزیزى شاعره يمدحه، و يذكر و قود قلعه حلب ليله الميلاد، و كان الغيم قد ستر النجوم:

ابق للمعروف و الأدب آمنا من صوله النّوب

يا عزيز الدّوله الملك المتّضى للمجد و الحسب

كيف يخشى الدّين حادثهو عزيز الدّين فى حلب

سدّ منه ثغرها بفتى لا يشوب الجدّ باللّعب

أضرم العنقاء قلعهه فبدت فى منظر عجب

لزت الأرض السّماء بهافتت كشحا على و صب

و رمتها بالشرار كمارمت الغبراء بالشّهب

أوقدت تحت الغمام فمايلقها من مزنه يذب

سخت حوض الحيا فهمى بجحيم عنه منسكب

لو تدوم النَّارُ نَشْفَهُ حَرًّا ما يلقى فلم يصب

طلعت شمس النَّهارِ بهاو الدَّجى مسدوله الحجب

فلو أنَّ النارَ لاحقها النَّجومُ الزَّهر من كتب

حكَّت السَّماءُ غانِيهَ حَلَّتْ بالدَّرِّ و الذَّهَبِ

حاربتها الرِّيحُ فاضطَّرت غضبه من شدَّه الغضب

جاذبتها فى تغيظها شعلا محمَّره العذب

يا أمير الآمرين و يامستجار القصد و الطَّلب

قد نفيت اللَّيلَ عن حلب نفى مظلوم بلا سبب

و تركت السَّمسَ حائرَه فى دجى الظُّلْماءِ لم تغب

و عزيز الدوله هذا، هو الذى جدّد القصر تحت قلعه حلب؛ و تنهى فى عمارته؛ و حمّام القصر كانت له، و جعله ملاصقا لسفح القلعه؛ و قصد بعمارته قربه إلى القلعه، خوفا مما جرى لمرتضى الدوله. و كان متّصلا بالقلعه و هو الذى أمر بعمارته القناديل الفضة للمسجد الجامع، و هى باقيه إلى الآن و اسمه عليها.

و كلّف عزيز الدوله أسد الدوله صالح بن مرداس أن يحمل والدته إلى حلب، لتسكن الأنفس و يعلم العوامّ التثام الكلمه و التضافر على الأعداء، ففعل ذلك فى سنه ثمان و أربعمائته.

ثم إنّ عزيز الدوله تغيّر عليه الحاكم فعصى عليه، و ضرب الدينار و الدرهم باسمه بحلب، و دعا لنفسه على المنبر، فأرسل الحاكم إلى الجيوش، و أمرها أن تتجهز إليه فى سنه إحدى عشره و أربعمائته.

فلما بلغ عزيز الدولة ذلك أرسل إلى باسيل ملك الرم يستدعيه ليسلم إليه حلب، فخرج باسيل الملك؛ فلما بلغ موضعا يعرف بمرج الديباج (١)، بلغ عزيز الدولة وفاه الحاكم، فأرسل إلى باسيل يعلمه أنه قد انتقض ما كان بينهما من الشرط، وأنه إن ظهر كان هو و بنو كلاب حربا له.

فعدل باسيل إلى مناز كرد (٢) فأخذها من الخزر، و كان الناس قد أجفلوا من ملك الروم إلى حلب؛ فكانت هذه الجفلة تسمى جفلة عزيز الدولة لأنها بسببه.

و لما اطمأن عزيز الدولة بموت الحاكم، و وصلته من الظاهر الخلع من مصر؛ و دخل غلام له يدعى تيزون، و كان هنديا؛ و كان يميل إليه؛ و دخل في أول الليل عليه، و هو نائم في المركز، و في يده سيف مجرد مستور في كفه ليقتله، فوجد صبيا من رفقة يغمزه فلما رآه الصبي حرّك مولاه ليوقظه، فبادر الهندي، و ضرب عزيز الدولة فقتله، و ثنى بالصبي، و قتل الهندي. و ذلك كله لأربع ليال خلت من شهر ربيع الآخر، سنى ثلاث عشره و أربعائه (٣).

و عمل شاعره المفضل بن سعيد:

لحمامه المقضى ربى عبده و لنحره المفري حد حسامه

- 
- ١- واد عجيب المنظر نزه بين الجبال، بينه و بين المصيصة عشره أميال. معجم البلدان.
  - ٢- بلد مشهور قرب خلاط، كان يعد في أرمينية، ليس بعيدا عن بحيره وان و فيه ستحصل المعركة الحاسمه بين السلطان ألب أرسلان و الامبراطور البيزنطى رومانوس دايجينس.
  - ٣- عالجت ملاسبات اغتيال عزيز الدولة فى كتابى إماره حلب ص ٥٢-٥٤، و يبدو أنه كان للخلافه الفاطميه دورها الكبير.

و كان الوالى بالقلعه، من قبل عزيز الدوله، أبا النجم بدر التركى مملوكا كان لبنجوتكين مولى عزيز الدوله فاتك؛ و كانت بينهما فى أيام بنجوتكين صداقه و موّده بحكم المرافقه(١).

فلما تقدّم عزيز الدوله قزبه و اصطفاه، و ولاه القلعه بحلب من قبله.

و قيل: إنه مملوك لعزیز الدوله، و يعرف ببدر الكبير. و قيل: إنه هو الذى حمل تيزون على قتل عزيز الدوله؛ فلما قتل استولى على البلد، يوم الأحد العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشره و أربعمائه، و لقب و فئ الدوله و أمينها.

و كان كاتب بدر رجلا يقال له ابن مدبر إلى أن وردت العساكر المصريه من جهه الظاهر؛ و زعيمها سديد الدوله على بن أحمد الضيف؛ فتسلم حلب من و فئ الدوله بدر.

و لما دخل الضيف على بدر بكتاب الظاهر، لطف به، و استرسل إليه، و طرح القيد فى رجله، و قبض عليه، و انزله من القلعه، و تسلمها منه، فتسلمها إلى صفى الدوله أبى عبد الله محمد ابن وزير الوزراء أبى الحسن على بن جعفر بن فلاح الكتامى، يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر رجب سنة ثلاث عشره و أربعمائه.

و كان صفى الدوله هذا شاعرا أديبا؛ و أبوه على وزير للحاكم؛ و جدّه جعفر بن فلاح أحد قواد المصريين؛ و وليت القلعه يمن الدوله سعاده الخادم

---

١- بهامش الأصل: «و أظن أن عزيز الدوله وليّ قضاء حلب فى أيامه أبا على أحمد بن أبى ابراهيم الشريف الحسينى، و أقطعه اللجينه و الله أعلم».



المعروف بالقلانسي، و كان خادما بلحيه بيضاء؛ و كان من أفاضل المسلمين؛ فيه الدين و العلم؛ و جعل الظاهر في المدينه واليا، و في القلعه واليا خوفا أن يبدو من والى حلب ما بدا من عزيز الدوله فاتك.

و عزل صفى الدوله بن فلاح عن حلب، يوم الاثنين النصف من المحرم سنه أربع عشره و أربعمائته.

و ولى حلب الأمير سند الدوله أبو محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامى الجيملى، و كان و أهله من وجوه كتامه، و كان واليا بحصن أفاميه. و هو الذى كتب إليه أبو العلاء بن سليمان «الرساله السنديه» فى مجلد واحد، و كان وزيره أبو سعيد مسبح.

و توفى سند الدوله بمرض ناله بحلب، يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنه خمس عشره و أربعمائته.

و كان خير مرضه قد وصل إلى الظاهر، فكتب إلى أخيه سديد الملك أبى الحارث ثعبان بن محمد بن ثعبان إلى تئيس (١)، و كان يليها، أن يسير واليا إلى حلب.

فخرج من تئيس فى البحر إلى طرابلس، و سار من طرابلس جريده فورد إلى حلب، و قد توفى أخوه. و كان وصوله إلى حلب، يوم الأحد السابع عشر من جمادى الأولى سنه خمس عشره و أربعمائته.

و كان قاضى حلب، فى سنه خمس عشره و أربعمائه، أبا أسامه عبد الله بن أحمد بن على بن أبى أسامه، نيايه عن ابن أبى العوام قاضى مصر عن الظاهر. و لى القلعه أبو الحارث موصوف الخادم الصقلايى الأبيض الحاكمى، من قبل الظاهر؛ و كان شجاعا، عاقلا؛ و أقاما فيها واليين أحدهما بالمدينه، و الآخر بالقلعه، إلى أن حالف الأمير أبو على صالح مرداس بن ادريس الكلابى سنان بن عليان الكلبى، و حسن بن المفرج بن الجراح الطائى على الظاهر؛ و تحالفوا على احتواء الشام، و تقاسموا البلاد. فتكون: فلسطين و ما برسمها لحسان؛ و دمشق و ما ينسب إليها لسنان؛ و حلب و ما معها لصالح. فأنفذ الظاهر إلى فلسطين أنوشتكين الذزبرى (١) واليا، فاجتمع الأمراء الثلاثة على حربته، فهزموه إلى عسقلان (٢).

و فتح حسن الرمله بالسيف، فى رجب سنه خمس عشره و أربعمائه.

و أحرق أكثرها، و نهبها، و سبى خلقا من النساء و الصبيان (٣).

١- للذزبرى ترجمه فى المقفى للمقرزى ج ٢ ص ٣٠٢-٣٠٦.

٢- مدينه فلسطينه على ساحل البحر بين غزه و بيت جبرين. معجم البلدان.

٣- عالجت مسأله الحلف الثلاثى فى كتابى إماره حلب ص ٧٦-٨٣.

**[إماره صالح بن مرداس]**

[إماره صالح بن مرداس] (١)

و سَيرَ صالح بن مرداس كاتبه أبا منصور سليمان بن طوق، فوصل إلى معرّه مصرين؛ و غلب عليها؛ و قبض واليها؛ و قيده؛ و سار إلى حلب في جماعه من العرب، لسبع بقين من رجب. فجرى بينه و بين سديد الملك ثعبان و موصوف الخادم، حرب في أيام متفرقه.

و سار صالح بن مرداس إلى حلب، في جمع كثير؛ و نزلها يوم الأحد لسبع عشره ليله خلت من شهر رمضان من سنه خمس عشره و أربعمائ؛ على باب الجنان. و جاب الحلل يوم الاثنين؛ و حاصرها سته و خمسين يوما؛ فوقع خلف بين موصوف الخادم و بين أبي المرحب سالم بن مستفاد غلام سيف الدوله بن حمدان؛ و كان من كبار القواد بحلب؛ و داره بالزجاجين، و حمامه أيضا، آثارها باقيه إلى وقتنا هذا.

فغزم موصوف على قتل سالم هذا؛ فجمع سالم جمعا، و فتح باب قنسرين؛ و خرج إلى صالح، فأخذ منه الأمان لنفسه، و لجميع أهل المدينه.

و سلمت المدينه إليه، يوم السبت لثلاث عشره ليله خلت من ذى القعدة.

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

و احتفى سديد الملك بن ثعبان فى القصر الملاصق للقلعه؛ و نصبت المنجنيقات و العرّادات عليه و عليها.

ثم إنّ صالحا رتبّ أبا المرّجّا سالم بن المستفاد، و كاتبه سليمان بن طوق على قتال القصر و القلعه بحلب.

و سار إلى فلسطين منجدا حسيان بن المفزّج على الدّزبرى، فإنه جمع، و عاد إليه فى جيش كثيف، فالتقى الجيشان فكسر الدّزبرى، و عاد مفلولا.

و أما قلعه حلب فإنّ الحلبيين نقبوها؛ و وصل النقب إلى بئرها المعين؛ و قلّ الماء فيها؛ و دام الحصار عليها سبعة أشهر.

و راسل من فى القلعه سالما و سليمان فى الصلح فى عاشر ربيع الآخر؛ فلم يجيباهم. و نصبوا الصّلبان ثلاثة أيام؛ و دعوا لملك الرّوم؛ و لعنوا الظّاهر؛ و نقر الناقوس؛ و قاتلوا القلعه، ثم نفروا يوم الجمعة ثانى عشر الشّهر، و حملوا المصاحف على أطراف الرّماح فى الأسواق؛ و نادوا التّفير و زحفوا.

فاستأمن جماعه من المغاربه الذين فى القلعه، فخلع عليهم، و طيف بهم فى المدينه. و بسطت ثياب الدّيباج و السّقلاطون(1)؛ و بدر المال مقابل القلعه، و بذلت لمن ينزل إلى ابن مستفاد و سليمان مستأمنًا.

---

١- السقلاطون: نوع من النسيج مصنع من الحرير الموشى بالذهب.

فلما يئس أهل القلعه من النجده نزل رجل أسود يعرف بأبى جمعه، و كان عريف المصامده إلى المدينه، و بقى أياما ينزل من القلعه و يصعد فأفسده سالم بن مستفاد و سليمان بن طوق.

فلما جاء ليطلع القلعه فى بعض الأيام تقدّم موصوف الخادم والى القلعه برّد الباب فى وجهه؛ فصاح إلى أصحابه، فالتفت المصامده و العبيد فى القلعه؛ و وقع الصوت إلى أهل حلب، فظلعوا إلى القلعه من كلّ مكان(١).

و دخلها ابن طوق و ابن مستفاد، يوم الاربعاء مستهلّ جمادى الأولى سنة ست عشره و أربعمائه، و قدم صالح بن مرداس حلب عائدا من كسره الدزبرى. فدخلها يوم السبت ثامن شعبان من السنه، و قبض على موصوف الصقلبيّ و سديد الملك ثعبان، و أبى الفضل بن أبى أسامه.

فأما ثعبان ففدى نفسه بمال دفعه إلى صالح؛ و أمّا موصوف فضرب رقبتة صبّرا بين يديه. و أمّا القاضى أبو الفضل بن أبى أسامه فدفنه حيا فى القلعه.

و لما جدّد الملك العزيز أبو المظفر محمّد بن غازى - رحمه الله - الدار الكبرى التى ابتناها بقلعه حلب، و حفر أساسها؛ وجدوا مطموره فيها رجل فى ساقيه لبنه حديد، و هو جالس فيها قد دفن حيا و لم يبق إلا عظامه، و هو على هيئه القاعد فيها. و لا أشكّ فى أنّه ابن أبى أسامه المذكور؛ و الله أعلم.

١- انظر بشأن سقوط حلب لصالح بن مرداس و دور بيزنطه فى ذلك كتابى إماره حلب ص ٧٧- ٨٠.

و ملك صالح فى هذه السنه: حمص، و بعلبك، و صيدا، و حصن ابن عكار بناحيه طرابلس. و كان فى يده الرّحبه، و منبج، و بالس، و رّفنيه(١).

و كان، و هو محبوبس بالقلعه عند مرتضى الدوله، قد رأى فى المنام كأنّ انسانا قد دخل عليه، فألبسه قلنسوه ذهب، ففرّج الله عنه؛ و خرج من السجن؛ و كان منه ما ذكرنا.

ثمّ إن الظاهر سيّر عسكرا مع الدزبرىّ و ضمّ رافع بن أبى الليل إليه و قدّمه على الكلبيين(٢)، و جهّزه إلى محاربه حسان بن المفرج الطائى، لأنّه كان قد أخرب الشام، و عاث، و أفسد.

فلما علم حسان بقربه استصرخ صالحا، فتوجّه نحوه؛ فرأى صالح ذلك الشّخص فى المنام بعينه، قد دخل عليه و انتزع من رأسه القلنسوه الذهب؛ فتطير من ذلك.

و لما وصل إلى حسان و نشبت الحرب بينهما و بين الدزبرى، و ذلك بالموضع المعروف بالأقحوانه(٣) على الأردنّ، طعن صالح فسقط عن فرسه،

١- حلت محل رّفنيه بلده بارين، التى يرسم اسمها الان «بعرين» و هى تتبع ناحيه عوج و تبعد عنها ٥، ٨ كم إلى الشمال، و تتبع عوج منطقه مصيف، و فى بعرين بقايا قلعتها التاريخيه الشهيره. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٢- كان سنان بن عليان قد توفى، فتمزقت قبيله كلب، و تحالف رافع بن أبى الليل مع الدزبرى و صاهره، مما أخل بموازين القوى و أدى إلى انهيار الحلف الثلاثى. إماره حلب ص ٨١-٨٣.

٣- كانت على شاطىء طبريه قرب عقبه أفيق. معجم البلدان.

طعنه طريف الفزاري، فرآه رافع بن أبي الليل فعرفه، فأجهز عليه، و قطع رأسه، و بادر به الذّزبرى.

و قيل: طعنه رجل يقال له ريحان. [و كان] أسد الدّوله صالح [على] (١) فرس؛ فما زال يرمح حتى رماه، و جاءه رافع فأخذ رأسه؛ و كان مقتله لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنه عشرين و أربعمائه. و قيل: فى يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى من السنه.

و كان قاضى حلب فى أيامه القاضى أبا يعلى عبد المنعم بن عبد الكريم بن سنان المعروف بالقاضى الأسود، بعد ابن أبى أسامه، ولى قضاءها سنه ست عشره، و استمرّ على القضاء فى أيام ابنه شبل الدّوله.

و كان وزير صالح تاذرس بن الحسن النصرانى، فأخذ فى الوقعه و صلب و كان هذا النصرانى متمكّنا عند صالح؛ و كان صاحب السيف و القلم.

و قيل: إنّه كان يترجّل له - لعنه الله - الولاه و القضاء، فمن دونهم إلا القاضى أبا يعلى عبد المنعم بن عبد الكريم بن سنان قاضى حلب، و الشيخ أبا الحسن المهذّب بن على بن المهذّب فانه أراد أن يترجّلا له فحلف أن لا يفعل.

---

١- جاءت الجملة بالأصل مضطربه كما يلى « فرس أسد الدوله صالح، فما زال يرمح حتى » فأعيد تقويمها.

و قيل: إنّ أهل «حاس»<sup>(١)</sup> - قريه بمعزّه النعمان - قتلوا حماه، و كان يقال له الخورى، و كان من أهل تلمنّس لأذّيته لهم؛ فحين سمع تاذرس بقتل حميه الخورى، خرج فى عسكر حلب؛ و طلب أهل «حاس» فى الجبال و الضّياع؛ و هرب القاتلون إلى أفاميه، فلحقهم، فسلمهم إليه واليها.

فكتب إلى صالح يستأذنه فى قتلهم، فأذن له فقتلهم، و صلبهم، فلما أنزلوا عن الخشب ليصلّى عليهم و يدفنوا، صلّى عليهم خلق عظيم.

و قال الناس حينئذ، يكایدون النصارى: «قد رأينا عليهم طيورا بيضا، و ما هى إلا الملائكه»، فبلغت هذه الكلمه تاذرس - لعنه الله - فنقمها على أهل المعزّه، و اعتدها ذنبا لهم.

فاتفق أن صاحت امرأه فى الجامع، يوم الجمعة، و ذكرت أنّ صاحب الماخور أراد أن يغصبها نفسها، فنفر كلّ من فى الجامع إلا القاضى و المشايخ؛ و هدموا الماخور، و أخذوا خشبه؛ و كان أسد الدوله صالح فى صيدا، سنه سبع عشره و أربعمائه.

فلما توجه إلى حلب، سنه ثمان عشره، لم يزل به تاذرس حتى اعتقل مشايخ المعزّه و أمثالها، فاعتقل منهم سبعين رجلا، و قطع عليهم ألف

---

١- حاس: قريه فى جبل الزاويه، تتبع ناحيه كفرنبيل، منطقه معره النعمان، محافظه ادلب، تبعد آثارها عن المعره ٩ كم إلى الجنوب الغربى منها. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.



دينار. و قال له صالح حين لَجَّ عليه: «أقتل المهذب أو أبا المجد، بسبب ماخور! ما أفعل!».

و قد بلغنى أنه دعى لهم فى آمد و ميافارقين؛ فغلبه على رأيه، فبقوا فى الاعتقال فى الحصن، سبعين يوما، إلى أن اجتاز صالح بالمعزّه؛ و استدعى أبا العلاء بن سليمان بظاهر المعزّه.

فلما حصل عنده بالمجلس قال له الشيخ أبو العلاء، ساعيا فيهم:

«مولانا السيد الأجل أسد الدوله و مقدّمها و ناصحها، كالنهار الماتع، اشتدّ هجيرها، و طاب أبرداه، و كالشيف القاطع، لان صفحه، و خشن حدّاه، خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١) فقال صالح: «قد وهبتهم لك أيها الشيخ». و لم يعلم أبو العلاء بما قطع عليهم من المال فأخذ منهم. ثم قال أبو العلاء شعرا:

تغيّبت فى منزلى برههستير العيوب فقيد الحسد

فلما مضى العمر إلا الأقلّ و حمّ لروحي فراق الجسد

بعثت شفيعا إلى «صالح» و ذاك من القوم رأى فسد

فيسمع منى سجع الحمام و أسمع منه زئير الأسد

فلا يعجبني هذا التّفاق فكم نفقت محنه ما كسد (٢)

١- سورة الأعراف- الآيه ١٧٧.

٢- لزوم مالا يلزم- ط. دمشق ١٩٨٦ ص ٥٣٤. إماره حلب ص ٢٠٩- ٢١١.

## [إماره نصر بن صالح]

[إماره نصر بن صالح] (١)

و لما قتل صالح بن مرداس؛ ملك حلب بعده ابناه:

معز الدوله أبو علوان شمال فى القلعه، و شبل الدوله نصر فى المدينه.

و أوقعا فى هذه السنه على قيبار (٢) بقطبان أنطاكيه ميخائيل الخادم. و كان قصد بلد حلب بغير أمر الملك و لاطفه شمال و نصر؛ فلم يرجع عن قصد بلد حلب؛ فكبساه فى قيبار، و هو يقاتل حصنها؛ و قتل جماعه من الفريقين؛ و انهزم عسكر الزوم يوم الخميس ليله بقيت من جمادى الآخره.

ثم استعطفاه و استقامت الحال بينهم (٣)؛ و داما على ذلك إلى أن جرى بين معز الدوله شمال و بين زوجته كلام؛ فغضبت عليه؛ و خرجت إلى الحله بظاهر حلب؛ فأمر شمال أن يصاغ لها لالكه (٤) من ذهب مرصعه بالجواهر؛

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- القيبار: حصن بين أنطاكيه و الثغور. معجم البلدان.

٣- إماره حلب ص ٨٨ - ٨٩.

٤- لالك بالفارسيه: حذاء، عرف الديك، تاج. اكليل. المعجم الفارسى الكبير لايراهيم الدسوقي شتا. ط. القاهره - مكتبه مدبولى.

فلما استوت أخذها في كَمّه و خرج.

فحين علم نصر ركب و اجتاز تحت القلعه، كأنّه يريد الخروج من باب العراق، في جماعه من أصحابه؛ و جذب سيفه لَمّا قارب باب القلعه؛ و هجمها فلم يمانعه أحد من الأجناد لهيبته؛ و تبعه أصحابه مجرّدين سيوفهم؛ فجلس في المركز و قال: «إنّ من قدّم أخي علىّ فقد أساء؛ لأنّني أولى بمداراه الرّجال؛ و هو أولى بمداراه النّساء».

و من ذلك اليوم جعل لأبواب قلعه حلب سلسله تمنع الرّاكب الصعود فجاءه، و رسم أن لا يدخلها أحد متقلّدا سيفاً، و لو أنّه أقرب النّاس موّدّه إلى مالكها.

فتفرّد نصر بالأمر في القلعه و البلد، و ذلك في سنه إحدى و عشرين و أربعمائه. و كان وزيره أبا الفرج المؤمل بن يوسف الشّمّاس، الذي ينسب إليه حمّام الشّمّاس بحلب؛ في الجلّوم (١)؛ و كان نصرانيا و كان حسن التّديبير، محبّاً لفعل الخير؛ و كان أخوه ناظراً في البلد البرّاني، فعمره، و عمر المساجد البرّانيه.

فجمع أبو علوان ثمال بن صالح الأعراب؛ و عزم على منازل أخيه نصر؛ فسير نصر إلى ملك الرّوم أرمانوس - و كان قد هلك باسيل في سنه

---

١- من أحياء حلب القديمه، كان ينفذ إلى ظاهر المدينه بباب أنطاكيه غربا و باب قنسرين جنوبا. أحياء حلب و أسواقها لخير الدين الأسدى - ط. دمشق ١٩٨٤ ص ١٦٤ - ١٧٢.

خمس عشره، و ولى أرمانوس - يستدعيه إلى حلب فخرج على ما قيل فى ستمائه ألف حتى وصل إلى أنطاكيه.

فتوسط مقدمو العرب بين نصر و شمال؛ و وقفوا بينهما على أن يكون لنصر حلب؛ و لثمال بالس و الرّحبه؛ فرجع نصر عما كان راسل به ملك الرّوم.

و أرسل ابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس إلى ملك الرّوم، يسأله أن لا يقصده، و يحمل إليه من القطيعه ما كان يحمله أولاد سيف الدوله إلى باسيل، فأبى و اعتقل مقلد بن كامل عنده؛ فحين تحقّق رجوع نصر عن رأيه الأول جبن و ضعف عن منازله حلب.

و سار من أنطاكيه إلى قيبار فى بضعه عشر يوما؛ و كسرت سريه له عرب حلب؛ و كانوا قد طاردوا عسكر الرّوم، فاستظهر الرّوم عليهم، و كان معه ملك البلغر، و ملك الرّوس، و الأبخاز، و الخزر و الأرمن، و البجناك، و الأفرنج.

و نزل الملك بجيوشه على تبيل قريبا من الجبل، فى موضع بعيد عن الماء، و ضرب على عسكره خندقا؛ و كانت أمواله على سبعين جمّازه؛ و كان قدر موضع عسكره لمن يدور حوله مقدار يوم فى يوم للمجدّ الرّاكب على فرس.

و لقيه فى طريقه أبو علوان دفاع بن نبهان الكلابيّ فى خيل قليله؛ فنال من سراياه كلّ ما طلب؛ و أرسل الملك سريّه فيها صناديد عسكره إلى عزاز؛

فلقيتها بنو كلاب، فظفروا بها، و قتلوا بطارقها، و أسروا جماعه من أولاد الملوك الذين معهم، و جسرت عليهم بنو كلاب، فحاصروهم فى الموضع الذى نزلوا فيه.

و لقد أخبر بعض من شاهدهم أن مقشاه كانت قريبه من العسكر بمقدار رميه سهم، و أن الروم لم يقطعوا منها قتاه واحده، خوفا من العرب أن تتخطفهم.

و لما كسرت السريه التى أرسلها الملك أجمع رأيه على العود إلى بلاده، و اعتذر قائلا: «لولا عطش عسكرى لبلغت مرادى». و هجم نصر و العرب على سوق الملك فنهبوه؛ و تأخر رحيل ملك الروم من منزلته ثلاثه أيام.

و أقبل شبل الدوله نصر فى تسعمائه و ثلاثه و عشرين فارسا، و قيل فى سبعمائه فارس؛ فحين أشرف على الروم ظنوا أنها كبسه؛ فانهمزوا؛ و منح الله أكتافهم يوم الاثنين لسبع ليال خلت من شعبان سنه إحدى و عشرين.

و نزع ارمانوس الملك خفه الأحمر لثلا يعرف؛ و لبس خفا أسود- و لا يلبس الخف الأحمر عندهم إلا الملك- و هرب. و أخذ شبل الدوله تاجه و بلاطه و لباده؛ و هرب فى أرمن كانوا معه حموه بالسهم(١).

و أخذ الروم الطريق إلى الجبل منهزمين و طلغوا فيه، و حصلوا فى بلد

---

١- عالجت هذه الأحداث فى كتابى إماره حلب ص ٨٧-٩٦، معتمدا على مختلف المصادر، لا سيما البيزنطيه منها.

قورس(١)، و كان للزوم. و لحق بعضهم بعضا و لم يبق مع الملك إلا القليل. و قتل المسلمون من بطارقتة و غيرهم ما لا يحصى، و أسروا من أولاد الملوك و غيرهم كذلك، و اشتغل الناس بالنهب، و أخذوا من الدواب و الثياب و الديباج و الأمتعة و آلات العسكر ما لا يوصف.

و ذكر أنّ طائفه من بنى قطن من نمير وردت عند الهزيمة؛ فأخذت ثقل الملك نحو من ثلاثمائة بغل محمله، حتى أنّهم تقاسموا الدنانير الأرمانيّة بالقصعة؛ فحصل لكل واحد منهم ثمانى عشره حفنه.

و كان ملك الزوم لما رحل طرح النار فى المنجنيقات و العرّادات و التراس؛ و نهب الناس منها ما أبقتة النار، حتى أنّ أكثر سقوف بلد حلب جعلت التراس عليها عوض الدفوف.

و قيل: إنّ الناس بحلب باتوا على السور قبل الوقعه بيوم، و فيهم ابن نمير العابد، فبات يصلّى على السور، و سجد فى آخر الليل، فنام و هو ساجد، فرأى فى منامه عليا- عليه السلام- راكبا، و لباسه أخضر، و بيده رمح، و هو يقول له: «ارفع رأسك يا شيخ، فقد قضيت حاجتك». فانتبه بقوله فحكى للناس ذلك، فتباشروا به.

و حكى عن مرتضى الدولة أنّه قال: «استدعانى أرمانيوس فى آخر تلك

---

١- لعل قورس المعروفه الآن باسم كويرى، و تبعد عن حلب مسافه ٣٣ كم. و كانت قورس كالمسلحه لأنطاكيه. بغيه الطلب ج ١ ص ٢٦٣-٢٦٤.

الليله التي رأى ابن نمير تلك الرؤيا فيها، فقال لى: لكم بحلب راهب.

فعلمت أنه يعنى ابن نمير، فقلت: نعم؛ فقال: صفه لى! فوصفته، و حليته.

فقال لى: رأيت هذا الرجل بعينه فى هذه الساعه، و كأنى قد أشرفت على سور هذه المدينه؛ و هو قائم عليه يومى إلى بيد و يقول: ارجع، فما تصل إلى هذا البلد. و تكرر ذلك، و لا أرى أنه يتم فيه شىء. فلما كان من غد كسرت السيره التي أرسلها الملك إلى عزاز، ثم كانت الوقعه و الهزيمه بعد ذلك».

و قد ذكرنا عن ابن نمير نحو من هذه الحكايه، عند منازل ملك الروم حلب.

و حكى بعض الكتّاب بحلب: أنه كان فى خدمه وثاب بن محمود بن نصر، عند تاج الدوله تتش بن ألب أرسلان، و هو فى نوبتيه على ظاهر حماه، فخلع على وثاب فرجيه و شقّ، و قال: «هذه مباركه أخذها أبى السلطان ألب أرسلان من ديوخانس ملك الروم لما كسره»<sup>(١)</sup>.

قال: فاستدعى وثاب قحف مينا ظاهرا و باطنا، و قال: «هذا يا مولانا مبارك نشرب به لأن جدى نصرأ أخذه من الملك أرمانيوس بناحيه عزاز».

فقال تاج الدوله: «يا وثاب لم يكن بد من مساواتى فى الافتخار». فقال: «لا بل عزفت مولانا كبر بيتى، و إننى له كبعض العبيد الصغار». فقال له بالتركى: «بل أنت أختى الكبير». فقام وثاب؛ و قبل الأرض قدام السيرير، فزاد فى إقطاعه، و خلع و حملة على مر كوبه.

١- لما كسره فى معركة مناز كرد سنه ٤٦٣ هـ.

وقيل: إنّ ثمالا و نصرا حقد عليهما ملك الروم ما جرى منهما على ميخائيل بناحية قيبار، فخرج بنفسه، فسيرا ابن عمهما مقلد بن كامل يبذلان له الطاعة و الخدمة، و كان قد سيرا إليهما يسومهما تسليم حلب، و يقول إنّه يخاف أن تتم عليهما حيله فتخرج حلب من أيديهما؛ و عرض عليهما عوضا عنها ما اختاراه؛ فاعتقلا رسوله انتظارا لما يرد من جواب رسالتهما.

فبلغه ذلك فاعتقل مقلد بن كامل، و خرج بنفسه؛ فأخرج حرمهما من حلب إلى البرية خوفا منه، حتى كان من أمره ما ذكرناه؛ و كان شمال في القلعة يحفظها، و نصر باشر القتال.

فلما عاد ملك الروم سار نصر و شمال لاحضار حرمهما، فسبق نصر إليها، و استولى عليها، و عوض شمالا بوساطه من توسط بينهما الرّحبه و بالس و منبج و أعمالها.

و خرج بعد هذه الكسره قطبان أنطاكية الخادم المعروف بنقيطا- و تفسيره بالعربية الدويك- في خلق عظيم، فعاث في البلد العربي، و أفسد، و فتح حصن المنيقه، و هجم رفته، و سبى عشره آلاف من أهلها، و نقض أبرجه سورها في سنه إحدى و عشرين؛ و فتح في سنه اثنتين حصن بنى الأحمر، و حصن بنى غناج، و غير ذلك من الحصون و حربها(١).

---

١- يرجح أن هذه الحصون وجدت ما بين منطقة القدموس امتدادا حتى سفوح منطقه جبله و طرطوس. انظر تاريخ يحيى بن سعيد ص ٤١٨-٤٢٢، فالمنيقه سيكون من حصون الدعوه الاسماعيليه، و بدّل اسم بكسراييل إلى بنى قحطان، و مرقه تحمل الاسم نفسه أو اسم نبع حسان في أحواز طرطوس إلى جانب منتجج الرمال الذهبية.



فراسله شبل الدولة و لاطفه إلى أن صالحه، و جعله سفيرا بينه و بين ملك الروم في طلب الهدنه، فاستقر أن يحمل نصر في كل سنه إلى ملك الروم دراهم خمسمائه ألف درهم، في نجمين من السنه، قيمتها ثمانيه آلاف مثقال ذهب.

و أطلق الملك مقلد بن كامل بن مرداس رسول نصر، و أعطاه صليبا من ذهب مرصعا أمانا لنصر، و وفاء بالشرط.

و سير شبل الدولة نصر شيخ الدولة أبا الحسن بن الأيسر إلى الظاهر بمصر؛ و حمل إليه هديّه من جملة ما غنمه من الروم، من الثياب، و الصياغات، و الأواني، و الألفاظ الكثيره. و قاد في صحبته نحو مائه و خمسين رأسا من الدواب، خيلا و بغالا، و وقع فعله عندهم أحسن موقع (١).

و قام أبو الحسن الجرجاني بتمهيد أمره.

و أقام ابن الأيسر إلى أن توفي الظاهر، فخلع المستنصر على ابن الأيسر؛ و سير معه خلعا لنصر بن صالح، و لقبه مختص الأُمراء، خاصّه الإمامه، شمس الدولة و مجدها، ذو العزيمتين.

و في أيام نصر اجتمع بجبل السّماق قوم يعرفون بالدّرزيّ منسوبون إلى رجل خياط أعجميّ؛ و جاهروا بمذهبيهم، و خرّبوا ما عندهم من المساجد، و دفعوا نبوه الأنبياء، و جحدوهم إلا الإمام الحاضر الذي يدعو إليه الدّرزي،

١- عالجت هذه القضية في كتابي إماره حلب ص ٩٦-٩٩.

و أحلّوا نكاح المحارم، و تفاقم أمرهم، و تحصنوا فى مغاير شاهقه على العاصى، و انضوى إليهم خلق من فلاحى حلب، و طمعوا بالاستيلاء على البلاد.

فخرج إليهم نقيطا قطبان أنطاكيه، و حاصرهم فى المغاير، و دخن عليهم، و ساعده على ذلك نصر بن صالح صاحب حلب، ثم التمسوا الأمان بعد اثنين و عشرين يوما، فأخرجوهم بالأمان؛ و قبضوا على دعائهم و قتلوهم؛ و ذلك فى شهر ربيع الأول من سنه ثلاث و عشرين و أربعمائه.

و فى هذه السنّه استوحش سالم بن مستفاد الحمدانى من شبل الدوله نصر؛ و كان صالح بن مرداس قد ولاه رئاسه حلب بعد ما سلمها إليه، و قدّمه على الأحداث، و أبقاه نصر بعده على حاله إلى هذا التاريخ و استقرّ عليه أحداث حلب و رعاها؛ و لبسوا السلاح؛ و عولوا على محاربه القلعه.

و كان يتردد بين سالم و بين شبل الدوله كاتب نصرانى يعرف بتوما و كان يحرف ما ينقله عن ابن مستفاد إلى نصر، و يزيد فى التجنى، و يسوم شططا لا يمكن إجابته إليه، و ذلك من غير علم ابن مستفاد.

فلما رأى شبل الدوله نصر كثره تعديه حمل نفسه على محاربه، و ركب إليه؛ فلما رآه الحلبيون دعوا له و انقلبوا إليه، و قاتلوا دار ابن مستفاد، فطلب الأمان فحلف له أنه لا يجرى له دما و حبسه بالقلعه، و نهبت داره؛ ثم خاف استبقاءه فقتله خنقا، ليخرج عن يمينه بأنه لم يجر له دما.

(١)

و تبين لنصر بعد قليل كذب ذلك النصراني الكاتب، و ما كان يحرفه في رسالته فقبض عليه، و طالبه بمال؛ فلما استصفي ماله دخل عليه بعض أجناد القلعه فخنقه في ذي القعدة. و قيل ذي الحجه من سنه خمس و عشرين و أربعمائه.

و دام نصر بن صالح في مملكه حلب إلى سنه تسع و عشرين و أربعمائه.

و قتل في المصاف بينه و بين أمير الجيوش الدزبري.

و ذلك أن أمير الجيوش استقر بدمشق، بعد قتله صالح بن مرداس بالأقحوانه؛ فسعى جعفر بن كليد الكتامي والي حمص في إفساد ما بين نصر بن صالح و أنوشتكين الدزبري. و كان عند أنوشتكين استعداد لذلك لقتله صالحا أباه؛ فشرع جعفر بن كليد يغري أنوشتكين بنصر، و يحمله على أذاه حتى خرجا إلى الوحشه و المنافره.

فكاتب الدزبري ملك الروم، و استأذنه في محاربه نصر، و استنقاذ حلب منه، و أن يؤدى ما عليه من الحمل المقرر إليه، فأذن له في ذلك، فاستمال الدزبري جميع العرب من: الطائيين، و الكلبيين، و بعض الكلابيين، و سيرهم إلى نصر بن صالح و معهم رافع بن أبي الليل. و من قبله من المغاربه، و اجتمع إليه علان بن حسان بن الجراح الطائي.

و رحل الدزبري قاصدا حماه، و كان عسكره قد تقدم إلى وادي الملوك، شرقى الرستن؛ فحين عرف نصر بخروجهم جمع بنى عمه و عسكره؛ و نزل تلا غربى سلميه، و التقوا فكسر نصر و أصحابه، و شرع في جمع من قدر

عليه، و استنجد بشيب بن وثاب أخى زوجته.

و رحل الدزبرى عقيب الوقعه الأولى إلى حماه، فدخلها، و نهبها. ثم رحل منها فالتقوا عند تلّ فاس، غربى لظمين(١)، فانهزم شمال بن صالح.

و ثبت نصر فى خواص أصحابه، و قاتل قتالا شديدا، فطعن و وقع، و احتزّ رأسه فى نصف شعبان. و قيل: لسبع عشره ليله بقيت منه، من سنه تسع و عشرين و أربعمائنه.

و حمل رأسه إلى الدزبرى فحمله، و تأسف عليه، و أظهر عليه حزنا، و أنفذ من تسلّم جثته فصلبت فى حماه على الحصن، ثم أمر بانفاذ ثياب، و طيب، و تكفين الجثّه فى تابوت، و دفنها فى المسجد؛ فنقلها مقلد بن كامل لِمَا ملك حماه إلى قلعه حلب.

و قيل: إنّ الذى قتله ريحان الجوينى، و أجهز عليه هفتكين التركى المعروف بالسرورى. و تأمل المنجمون الوقت و الزمان الذى قتل فيه أبوه فكان بين قتله و قتل أبيه أربعة أيام، يريد من السنين الشمسيّه(٢).

١- لظمين الآن احدى قرى محافظه حماه، و تبعد عنها مسافه ٣٦ كم.

٢- انظر معالجه هذه المسأله فى كتابى إماره حلب ص ٩٩-١٠١.

**[عهد أنوشكتين الدزبرى]**

[عهد أنوشكتين الدزبرى] (١)

و لما هرب ثمال بن صالح وصل إلى حلب، و معه شبيب بن وثاب، فى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان؛ فملكها ثمال، و وعده مشايخها بالمعونه و النصر، فخوّفه خليفه بن جابر الكعبى، و قال له: «رَبِّما خذلتك عشيرتك و قعد بك أهل البلد، و لم يمكنك الثبات و المقاومه، و لا الانصراف على حال السّلامه». و أراد بذلك غشه لا نصحه.

و كان أمير الجيوش قد سَير فى أثرهم إلى حلب عسكرا يقدمه طغان المظفرى، فخاف ثمال من المقام بحلب، و ولى بقلعه حلب مقلد بن كامل بن مرداس، و بالمدينه خليفه بن جابر الكعبى.

و أطلق للتجار ديونا كانت لهم على أخيه مقدارها ثلاثون ألفا ذهبا، ليستميل الناس بذلك إلى طاعته؛ و أخذ أولاد أخيه، و أخذ شبيب (٢) زوجه أخيه - أخته غلويّه المعروفه بالسّيده - و أخذوا من المال و الآنيه الذهب و الفضة و الثياب ما قدرا على حمله؛ و ساروا إلى الجزيره.

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- شبيب بن وثاب النميرى، و أخته علويه بنت وثاب زوج نصر وام محمود بن نصر.

وقيل: إنّ السيّد أخذت من القلعه عند قتل نصر خمسين ألف دينار، وأخذ شمال ثلاثين ألفاً، و سار شمال يستنجد بأخواله بنى خفاجه.

و وقعت الفتنة بحلب، و نهبت دار السلطان، و أموال التجار. و كان رسول ملك الروم قد وصل إلى حلب فنهب العامه متاعه و دوابه.

و أما طغان فإنه لما وصل بالعسكر إلى حلب نزل على المدينة، فراسله خليفه بن جابر الكعبي و من وافقه من الحلبيين في تسليم البلد؛ فتسلمه في يوم السبت الرابع من شهر رمضان.

و أنفذ رسولا إلى الدزبرى يعلمه بذلك؛ فأغذّ السير إلى حلب، و وصل إليها في عده قليله، و اجتاز في طريقه بمعزّه النعمان، فالتقاه أهلها، فأكرمهم و سألهم عن أبي العلاء بن سليمان. و قال لهم: «لأسيرن فيكم بسيره العمرين». و اجتمع عنده بالمعزّه كثير من العرب، فخشى منهم، فأركب رجلا من أصحابه جملا، و نادى بمعزّه النعمان و بظاهرها: «من لم يأخذ معه قوت ثلاثة أيام فلا يلومنّ إلا نفسه». فلم يبق من العرب أحد حوله؛ و ظن كلّ منهم أنه يطلب حلته.

و تمّ أمير الجيوش إلى حلب، فدخلها يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان، و القلعه مستعصيه على أصحابه في يد سيف الدوله مقلد بن كامل بن مرداس، و قد احتوى على الأموال التي بها، و استولى على جمهورها.

فتردّدت الرسل بينه و بين مقلد حتى قرّر له عمّا في القلعه ثمانين ألف دينار، و ثيابا، و فرشاً، و آلات فضّه، مكرراً و خديعه و أن يأخذ المقلد الباقي،

وقنع الدّزبرى بذاك؛ و أفرج له عن نزوله و خروجه فسلم مقلد القلعه و صعد إليها أمير الجيوش، يوم الثلاثاء لثمان بقين و قيل لسبع بقين من شهر رمضان.

و أقام مقلد يوما واحدا بعد نزوله من القلعه؛ و هرب بما معه من الأموال خوفا من غدر الدّزبرى به؛ و لحق بحلته و بثمان بن صالح بالجزيره؛ و نادى الدّزبرى فى مدينه حلب بأن يخرج منها جميع الجند و الحواشى الذين كانوا يخدمون ابن صالح.

و اجتمع الناس من سائر البلدان ليهنئوه بالفتح؛ و جلس للهناء فى القصر بباب الجنان؛ و عيّد عيد الفطر بحلب؛ فذكر أنّه لم ير بحلب عيد أحسن منه، لكثرة ما أظهر فيه من العده و الآله؛ و أحسن إلى أهل حلب؛ و أمر بردّ ما كان صالح اغتصبه من أملاك الحلبيين؛ و تزوج بنت منصور بن زغيب. و ولى بقلعه حلب مملوكين له: أحدهما يقال له فاتك، و الآخر سبكتكين؛ و ولى بالمدينه غلامه رضى الدوله بنجوتكين.

ثم قصد بالس و منبج؛ فأخذهما. و رام أخذ الرّحبه فلم يقدر عليها.

و أقام بحلب إلى أن عيّد عيد الأضحى، و سار إلى دمشق. و مدحه ابن حيوس بقصيده يذكر فيها قتل نصر، يقول فيها:

و لما طغى «نصر» أتحت له الرّدى و لم ينجه الجمع الكثير و لا الحشد

(١) و بأخرى يذكر فيها فيها فتح حلب، أولها:

هل بعد فتحك ذا لباغ مطمع لله هذا العزم ماذا يصنع (١)

و ولى قضاء حلب أبا الوليد سليمان بن خلف الباجي سنة واحده (٢)؛ ثم وليه بعده القاضى أبو الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبى جراده- جدّ جدّ أبى- (٣).

و مات شبيب بن وثاب النميرى فى سنة إحدى (٤) و ثلاثين و أربعمائه.

و استولى أخواه مطاعن و قوام على ما كان فى يده من الجزيره؛ و كانت أخته السيده علويّه- امرأه نصر- مقيمه بالرافقه؛ فتحيّلت على غلام أخويها الوالى بالرافقه إلى أن أخرجته؛ و استولت على البلد، و تزوجت بشمال لتقيم هيبتها به، و يحفظ أمرها.

و وقع فى هذه السنه وقعه بين عسكر الروم و عسكر حلب، فكسر عسكر أنطاكيه الحلبيين؛ و عاد الدّمستق إلى أنطاكيه، و دخل طغان حلب، و حصل شمال بن صالح فى الرّقه، و خشى الدّزبرى من قربه إلى حلب، فاشتري قلعه دوسر (٥) ليكون مطلا عليه. و راسل نصر بن مروان صاحب ميافارقين فى أن يزوّج ابنته لابنه، فأجابه إلى ذلك، فاستوحش المصريون منه

١- ديوان ابن حيوس- ج ١ ص ٣٣٧.

٢- لأن الباجى عاد إثر هذا إلى الأندلس.

٣- هذه هى المره الأولى التى دانت فيها جميع بلاد الشام للفاطميين انظر كتابى إماره حلب ص ١٠٥-١٠٩.

٤- بهامش الأصل: بلغ مقابله و سماعا بخط المؤلف.

٥- هى قلعه جعبر القائمه الآن فى وسط بحيره سدّ الفرات فى سوريه.



لذلك، و أنفذ إلى مصر ليحضر زوجته و ابنته، فلم يطلقهما الوزير.

و ثقل على الوزير الجرجرائى فتح الدّزبرى حلب، لأنه لم يكن برأيه؛ و أنكر ذلك فقال الدّزبرى: «قد خرف الوزير»، و بسط لسانه فيه بالكلام القبيح، فكاتب و لاه الشّام بترك الانقياد له؛ و كتب توقيعا عن المستنصر لثمال بن صالح بحلب؛ و شرط عليه أن يحمل جميع ما بقلعتها من المال إلى المستنصر.

و كاتب أجناد دمشق، و أغراهم به فتاروا عليه، و أحدقوا به بقصر كان له فى ظاهر دمشق؛ فهرب من دمشق ليلا؛ و معه ثلاثمائة صبى من غلمان الأتراك ليس لواحد منهم لحيه، و على وسط كل واحد منهم ألف دينار؛ و أحدقت به بنو كلاب فلم يقدرُوا عليه.

و نزل بحصن المعره، ثم سار منها إلى حلب؛ و لقيه عسكره بها فى أراضى سرمين، فدخل حلب فى شهر ربيع الآخر من سنه ثلاث و ثلاثين و أربعمائه.

و شرع ثمال بن صالح فى جمع عشيرته، و حشد من أجابه من العرب و غيرهم لمنازله حلب؛ و طمع فى الدّزبرى. فرأى بنفسه الذلّ لئلا لم يكن له طاقه بدفعهم، و زاد همّه و غمّه، حتّى مرض مرضا حادا؛ و مات بعد ثلاثة أيّام، يوم الأحد النصف من جمادى الأولى سنه ثلاث و ثلاثين و أربعمائه.

و دفن بحلب؛ ثم نقل منها إلى البيت المقدّس، فى سنه ثمان و أربعين

فدبر البلد بعده مملوكه رضى الدوله بنجوتكين التركى أبو منصور، بقيه جمادى الأولى و ثمانية و عشرين يوما من جمادى الآخرة؛ فوصل معز الدوله أبو علوان شمال بن صالح بالتوقيع الذى سيّره إليه المستنصر، فسلم بنجوتكين و أهل المدينة إليه، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من سنه ثلاث و ثلاثين و أربعمائه، بعد أن نزل إليها و معه مقلد ابن عمه فى جماعه، و قاتلوا أياما، و استظهر الحلبيون عليهم، فرحلوا إلى ناحيه قنسرين.

و جرى بين الحلبيين و المغاربه عربده، و قتل بينهم جماعه، و نهبت أهراء السلطان، و طلع أصحاب الدزبرى إلى القلعه خوفا على أنفسهم، فلم يمكنهم سبكتكين من دخولها، فنزلوا فى القصر تحت القلعه.

و استدعى الحلبيون شمالا و مقلدا. فورد مقلد فى مقدمته من قنسرين، فتسلمها يوم الاثنين ليلتين بقيتا من جمادى. و وصل شمال يوم الثلاثاء، فدخلها و اجتمع إليه أحداثها. و اعتصم سبكتكين بالقلعه شهرا و سلمها إليه.

و قيل: إنه بقى بها إلى النصف من صفر سنه أربع و ثلاثين و أربعمائه؛ و ان القلعيين رموا على الحلبيين، و أتوا على عدد كثير منهم، و أصلح الحلبيون المنجنيقات، و قاتلو بها القصر الذى تحت القلعه، و نقبوه، و خربوا حيطانه مما يلى المدينة مع قطعه من سور المدينة من ناحيه باب العراق.

و ثبت سبكتكين على الحصار مدّه سبعة أشهر، و استنصر الفريقان (١) و نفذ ما مع آل مرداس من المال، و وقع المرض فى القلعين فأفناهم، و أيس الباقون من نفوسهم فجنحوا إلى التسليم، و اصطلحوا على شروط منها أن لا يعرض لأحد من القلعين بمساءه، و انتظم الأمر و سلّمها سبكتكين بجميع ما فيها بعد أن أخذ لنفسه ثلاثين ألف دينار، و لورثه الدزبرى اثنين و ثلاثين ألف دينار.

---

١- راسل شمال الامبراطوريه البيزنطيه و طلب تأييدها. إماره حلب ص ١١٣

**[إمارة شمال بن صالح]**

[إمارة شمال بن صالح] (١)

و استقرّ ملك حلب:

لمعرّ الدولة أبي العلوان شمال بن صالح بن مرداس.

و وصله تشریف من المستنصر في سنة ستّ و ثلاثين. و درّت الأرزاق في أيامه على الناس، و أحسن السيرة معهم، و جاد بالعتاء.

و ظهر في أيامه بعلبك رأس يحيى بن زكريّا في حجر منقور فنقل إلى حمص ثم إلى حلب، فوضع بمقام ابراهيم - صلى الله عليه - بقلعه حلب في سنة خمس و ثلاثين و أربعمائه.

و كان شمال لما طاول حصار قلعه حلب قد رغب إلى تدورا ملكه الرّوم، و سيّر رسولا يلتمس نصرتها و إعانتها و انتماء إليها، فرتبت شمالا ماخسطرس على حلب، و مقامد ابن عمه بسطرخس، و جعلت له واجب الماخسطريه عن حلب؛ و رتبت صالح بن شمال، و منيع بن مقامد، و محمود بن نصر، و عطية و حسنا أخوى شمال، بطارقه. و رتبت السّيده علويّه أم محمود بطريقه؛ و أطلقت لجماعتهم واجبات هذه المراتب؛ و سيّرت إليهم هدايا كثيرة؛

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

و شرطت على ثمال أن يحمل في كل سنة ما كان يحمله أخوه نصر، على الشروط المشروطة عليه (١).

و كان المستنصر قد وقّع لثمال بحلب على أن يحمل إليه جميع ما بقلعتها من المال - على ما ذكرناه - فلما استولى ثمال على حلب حمل إلى المستنصر من ذلك مائتي ألف دينار؛ و أفرد برسم عماره القلعه و مساكنها و مصانعها خمسه و سبعين ألف دينار؛ و إقامه العوض عما استنفد من العده و هلك من أصحاب الأسلحه باستعمالها و الابتدال لها في الحرب ثلاثين ألف دينار؛ و ما أخذه من آلات ذهب و فضّه و غيرها خمسه عشر ألف دينار.

فلما علم المستنصر بذلك شقّ عليه ذلك، و وقعت الوحشه بينه و بين معزّ الدوله ثمال، فعصى ثمال على المستنصر، فسيّر المستنصر إليه إلى حلب الأمير ناصر الدوله أبا محمد الحسن بن الحسين بن الحسن بن حمدان (٢)، و معه عبد العزيز بن حمدان، و شجاع الدوله بن كلید.

و كان ناصر الدوله بن حمدان قد ولّى دمشق من قبل المستنصر بعد المدّزبري، فوصلوا إلى حلب بعد أن فتحوا حماه و معزّه النعمان، في سنه تسع و ثلاثين و أربعمائنه؛ فطاف بحلب و لم ينزل بها؛ فخرج أهل حلب لقتاله، فهزمهم و اختنق منهم في الباب - على ما يقال - سبعة عشر ألف نفس.

١- انظر إماره حلب ص ١١٣-١١٤.

٢- هو الحسن بن الحسين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان، ناصر الدوله بن ناصر الدوله. ترجم له ابن العديم في بغية الطلب ص ٢٣٢٩-٢٣٣٣.

و عاد ناصر الدّوله فنزل بصلدى- قريه قريبه من حلب على نهر قويق- فجاءهم سيل فى الليل لم يسمع بمثله، فغرق أكثر المضارب، و أتلف الرجال، و أهلك الدّواب المشبوحه، فانهزم ناصر الدّوله عن حلب إلى دمشق، فقبض عليه الأمير منير الدّوله بها فى شهر رجب من سنه أربعين و أربعمائته، و سيّر إلى مصر(١).

و كان معزّ الدّوله ثمال قد خاف من الحلبيين أن يسلموا البلد إلى أبى محمد بن حمدان حين توجه إلى حلب؛ فقبض أعيان الحلبيين- و منهم قاضى حلب أبو الحسن بن أبى جراده- و اعتقلهم بالقلعه سنه أربعين، فلمّا كفى أمر ابن حمدان أطلقهم فى سنه اثنتين و أربعين و أربعمائته.

و قتل معزّ الدّوله منهم الشريف أبا على محمد بن محمد بن صالح المحبره بسعايه ابن الأيسر به، دون الباقيين؛ فانّ ابن الأيسر صعد إلى مصر رسولا فتحقق براءه الباقيين من تهمة تتطرق إليهم.

و وصل شجاع الدوله بن كليد والى حمص، فى سنه أربعين و أربعمائته عائتا على بلد حلب، فخرج إليه مقلد بن كامل بن مرداس و أبو الوفاء حفاظ المعزى، فى جمع من الكلابيين و رجّاله الحلبيين و الفلاحين، فالتقوا بكفر طاب.

و مضى ابن كليد لينهزم، فلحقته بنو كلاب، فقتل فى هذه المره شجاع

الدّولة بن كليد والى حمص؛ قتله جعفر بن كامل بن مرداس، و حمل رأسه إلى حلب. و كان المنجّم رأى أنّه يدخل إلى حلب، فدخلها قطعاً، و انهزمت عساكره.

فسار مقلّد بن كامل إلى حماه ففتحها بعد أن قاتل حصنها أياماً؛ ثم سار إلى حمص و وجد ابن منزو قد أتاها في عسكر من دمشق، فانهزم إلى باطن حمص، و قاتل قتالا عظيماً فقلّ عليه الماء، فخرج ابن منزو إليهم بالأمان.

ثم إنّ المستنصر سيّر الأمير أبا الفضل رفق(١) الخادم إلى جيش كثيف إلى حلب، في سنة إحدى و أربعين، و قيل سنة اثنتين. و نزل على حلب على مشهد الجف، فقاتله الحلبيون، فانكسر عليها و جرح و أخذ أسيراً، فمات في قلعه حلب في الأسر.

و سيّر معزّ الدّولة كلّ من بقى من أصحابه مأسورا إلى مصر؛ ففي ذلك يقول الأمير أبو الفتح بن أبي حصينه:

يا رفق رفقاً ربّ فحل غزّه ذا المشرب الأهنى و هذا المطعم

حلب هي الدّنيا تلذّ و طعمها طعمان شهد في المذاق و علقم

قد رامها صيد الملوك فما انتثوا إلا و نار في الحشا تتضرم(٢)

١- لرفق الخادم ترجمه في بغيه الطلب ص ٣٦٧٤-٣٦٧٨.

٢- ديوان ابن أبي حصينه- ط. دمشق ١٩٥٦، ج ١ ص ٢٤٧.

و كان رفق لّما نزل على حلب داهن عليه العرب الكلبيون، فأشار عليه عسكره أن يرحل عن حلب إلى صلدع فلم يفعل؛ فأشير عليه أن يقبض على أمراء طىء و كلب فلم يفعل، ف قيل له أن ينشىء سجلا عن السلطان بأنّه قد أقطع الشام لمعز الدولة، و يعود بهيئته فلم يفعل؛ فلمّا رآه أمراء العسكر لا يلتفت إليهم، و لا يقبل مشورتهم، و وقع القتال، انهزم العرب فانهزم العسكر معهم، فسير رفق إليهم و أمرهم بالعود فلم يلتفتوا.

و خرج من حلب خيل يسيره فشاهدوا رحيل العسكر فظنوا أنه حيله فاتبعوهم، و غنموا منهم. و خرج من بحلب فلحقوا رفق الخادم، فى طرف جبل جوشن، و جرح ثلاث جراحات، و أخذ و الضرب القوي برأسه، فمات فى القلعه و دفن فى مشهد الجفّ. و نهب من العسكر شىء عظيم من الأموال و القماش و الدواب (١).

ثم أن معز الدولة شمالا استمال المستنصر بعد هذه الوقعه، و لطفه، و حمل القسط إلى مصر على يد شيخ الدولة عليّ بن أحمد بن الأيسر، و سير معه ولده و ثاب و زوجته علويّه بنت و ثاب المعروفه بالسيدّه، و سير معه من مال القلعه أربعين ألف دينار، و هدايا، و ألطافا فاخره، و تحفا جليله.

فلما وصلت أكرمها المستنصر غايه الإكرام، و حضرت بين يديه،

---

١- استنجد شمال ببيزنطه، و استجاب الامبراطور فسطنطين التاسع إلى طلب شمال، فبعث رسولا إلى القاهره يطلب ايقاف حملة رفق و يهدد بالتدخل لصالح شمال. إماره حلب ص ١١٦-١١٩.



فقبلت الأرض، وقالت: «خَصَّكَ اللهُ يا أمير المؤمنين بأفضل تحية و سلام».

فردّ عليها أفضل ردّ؛ و سألتها عن خلفته بالشام، فقالت: «فى نعيم و خير إن أنعمت عليهم بأمان و ذمام، حسبما جرت به عادة هذا البيت المنيف من الإحسان و الإكرام».

فأعجبه منها سرعه جوابها و حسن توصّلها، و قال لها: «أنت المسمّاه بالسّيده» فقالت: «نعم، سيّده قومى و أمتك يا أمير المؤمنين، صلوات الله عليك». فقال: «ما خيب الله من فوض تدبير أمره إليك فى هذه الرّساله». ثم أمرها أن تمل على كاتبها تذكره ليوقع لها بجميع ما تقترحه توقيعا مفردا، و توقيعا بحلب و سائر أعمالها لمعزّ الدّوله.

و أمر لمعزّ الدّوله بتشريف و لجميع بنى عمّه، و أفاض عليها ما غمرها و جميع أصحابها و حاشيتها؛ و عادت بمقصودها(١).

و لما وردت زوجه معزّ الدّوله إلى حلب سكن معزّ الدّوله إلى ذلك، و اطّيانّ، و نشر العدل، و طابت قلوب الرّعيه. و ولى وزارته فى سنه اثنتين و أربعين و أربعمائه رجلا- من أهل الرّحبه يقال له أبو الفضل ابراهيم بن عبد الكريم بن الأنبارى، و لقبه الثقة الكافى؛ و كان رجلا حسن السّياسه.

و سيرّ ثمال شيخ الدّوله علىّ بن أحمد بن الأيسر، فى سنه ثلاث و أربعين، رسولا إلى القسطنطينيه بالمال المقرّر عليه فى كلّ سنه، و بهديه

فشاهدوا من سداده و كمال مروءته ما أوجب لهم أن ميّزوه عن غيره من الرّسل، و أكرموه، و جعلوه بسطرخس في مرتبه مقلد بن كامل، و جعلوا مقلدا ما خسطرس في مرتبه ثمال، و جعلوا ثمالا ابريدرس(١)؛ و سيّروا إليه هديّه سنّيه عوضا عن هديّته.

و مات قاضي حلب أبو الحسن بن أبي جراده في سنه خمس و أربعين، فولّى القضاء بحلب القاضي أبا محمد كسرى بن عبد الكريم بن كسرى و إليه ينسب آدر بنى كسرى(٢) بحلب.

ثم قدم الوزير فخر الدّوله أبو نصر محمّد بن محمّد بن جهير حلب فاستوزره معزّ الدّوله، و فوّض أموره جميعها إليه، فاستقامت، و تضاعف ارتفاعه، و ضبط أمواله، فحسد على مكانه، و قربه منه، فسعى به إلى معزّ الدّوله. و كان معزّ الدّوله له وفاء و ذمه فتبّهه على ما سعى به عليه، فاستأذنه في المفارقه ففسح له في ذلك، فسار من حلب سنه ستّ و أربعين و أربعمائه، و قصد ابن مروان.

فولّى معزّ الدّوله وزارته سديد الدّوله أبا القاسم هبه الله بن محمد بن

---

١- Protoproedrus منصب رفيع أبداع في القرن الحادى عشر للميلاد. انظر, ٤ Vol, ٢ P art, ٢ P, Cambridge Medieval History.

٢- حيث قامت المدرسه الصلاحيه في محله سويقه على، و أسست المدرسه من قبل الأمير المملوكى صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدوادار ت ٧٤٥ هـ]. الآثار الاسلاميه و التاريخيه بحلب ص ٢٢٨-٢٢٩.

الربعاني الرحبي إلى أن سلّم حلب إلى المستنصر؛ و سافر ابن الربعاني إلى مصر، فولاه المستنصر وزاره مصر عشره أيام، ثم عزله، ثم أعاده إلى الولاية فأقام فيها عشره أيام و انصرف.

و وصلت الخلع و التشريف من مصر لثمال، في محرم سنه سبع و أربعين و أربعمائه، على يدى أبى الغنائم صالح بن على بن أبى شيبه، فمدحه أبو القاسم هبه الله بن فارس المؤدّب بقصيده أولها:

لا زال طوعا لأمرك الأمم و لا خلت من ديارك النعم

و تنكّر معزّ الدوله ثمال لثقتة و أمينه شيخ الدوله على بن أحمد بن الأيسر، و قد ساء رأيه فيه، فصرفه عمّا كان يتولاه من أموره، و أقام مقامه سالما و مسلما ابني على بن تغلب. و استوحش ابن الأيسر من المقام بحلب خوفا على نفسه فتسبّب في أن سار إلى مصر.

و أرسل ثمال سالما إلى تدورا الملكة بهديّه، و التمس منها الزيادة في مرتبته، فقبلت هديته، و عوضته عنها، و أجابته إلى ملتسمه، و جعلت سالما بسطرخس عوضا عن ابن الأيسر.

و اندفع البساسيري(١) المتغلب على بغداد إلى الشام، في سنه سبع و أربعين و أربعمائه، منهزما من طغلبك؛ و حصل في أرض الرّحبه، و وصل

---

١- للبساسيري ترجمه في بغيه الطلب ص ١٣٤٧-١٣٥٧. كما و عالجت مسأله قيام هجره الغز و تأسيس السلطنه السلجوقيه و إثر ذلك ثوره البساسيري في كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه- ط. دمشق ١٩٧٣ ص ١٣-١٢٤.

فى قل من الرّجال، فلقية معزّ الدّوله شمال و أكرمه و حمل إليه مالا عظيما.

و حدّث بعض العرب من بنى كلاب أنّهم لم يروا مثله فى الشجاعه و المكر و الحيله؛ و كان إذا ركب معزّ الدّوله قفز إليه، ليمسك له الرّكاب، و يصلح ثيابه فى السّرج، و همّت بنو كلاب بالقبض عليه فمنعهم معزّ الدّوله.

ثمّ ندم بعد ذلك فإنه تقدّم إلى بالس، و شتى بشطّ الفرات؛ و اجتمعت إليه العرب و الأتراك، ففزع منه معزّ الدّوله؛ و كان قد عرض عليه معزّ الدّوله أولا مفاتيح الرّحبه فلم يأخذها منه؛ ثم طلبها منه فى هذه الحاله ليجعل فيها ماله و أهله، فى سنه ثمان و أربعين، فسلمها معزّ الدّوله إليه.

و كان معزّ الدّوله كريما معطاء حليما. فمها يحكى من كرمه: أنّ العرب اقترحوا عليه مضيره(١)، فتقدّم إلى و كيله أن يطبخها لهم، و سأله: «كم ذبحت لأجلها؟» فقال: «سبعمائه و خمسين رأسا». فقال: «و الله لو أتممتها ألفا لوهبت لك ألف دينار».

استغنى أهل حلب فى أيامه، حتى أنّ الأمير أبا الفتح بن أبى حصينه امتدحه بقصيده، شكّا فيها كثره أولاده، و كان له أربعة عشر ولدا، قال فيها:

جنيت على نفسى بنفسى جنايها أثقلت ظهري بالذى شبّ من ظهري

عداد الثّريا مثل نصف عدادهم و من نسله ضعف الثّريا متى يثرى

و أخشى اللّيالى الغادرات عليهم لأنّ اللّيالى غير مأمونه الغدر

---

١- المضيره أن تطبخ اللحم باللبن.

ولى منك إقطاع قديم و حادث تقلبت فيه تحت ظلك من عمرى

و ما أنا باليمنوع منه و لا الذى أخاف عليه منك حادثه تجرى

و لكننى أبغيه ملكا مخلداخلود القوافى الباقيات على الدهر(١)

فأمر معز الدولة بإحضار شهود، أشهدهم بتمليكه ضيعتين من أعمال حلب و منبج، مضافتين إلى ما كان له من الإقطاع؛ فأثرى و حسنت حاله؛ و عمر بحلب دارا؛ و كتب على روشنها(٢):

دار بنيناها و عشنا بهافى نعمه من آل مرداس

قوم محوا بؤسى و لم يتركواعلى للأيام من باس

قل لبنى الدنيا ألا هكذافليفعل الناس مع الناس(٣)

فكتب معز الدولة له دارا إلى جانب داره؛ و هى الآن لبعض الشراف بحلب بالبلاط، تجاه المسجد؛ و الدار التى بناها إلى جانبها مقابل حمام الواسانى(٤).

و ممّا يحكى عن معز الدولة: أنّ فرّاشا من جملة الحفده صبّ يوما من الأيام على يده ماء بإبريق كان فى يده، فصادفت أنبوبة الإبريق بعض ثنّيته،

١- ديوان ابن أبى حصينه ج ١ ص ٣٥١-٣٥٢، و فيه أن القصيده قيلت فى مدح عطيه بن صالح.

٢- الروشن: الشرفه.

٣- ديوان ابن أبى حصينه ج ١ ص ٣٦٠-٣٦١، و فيه أنه قالها فى مدح نصر بن صالح.

٤- كانت فى محله سوقه على، و هى قد زالت تماما بعد فتح طريق إلى القلعه سنه ١٩٤٥. الآثار الاسلاميه و التاريخيه فى حلب ص ١٧٦-١٧٧.

فكسرتها و سقطت في الطست، فهم به الغلمان فمنعهم، و أمر برفعها، و عفا عنه، فقال ابن أبي حصينه:

حليم عن جرائنا إليه و حتى عن ثبته انقلاعا(١)

و لما اتسع الرزق على معز الدولة، و لم يبق له عدو يقصده، اضطرب عليه بنو كلاب، و امتدت أعينهم إلى ما في يده، و استقلوا ما كان يصل منه إليهم، و أكثروا في العنت له، و قالوا: «لولانا ما صرت إلى ما صرت إليه، و ما أنت بأحق منا بذلك، فينبغي أن تفرضه على جميعنا».

و أوجب الزيادة في ذلك أن معز الدولة في سنة تسع و أربعين، سلم الرقة و الرافقه إلى منيع بن شبيب بن وثاب النميري، لأنها كانت لأبيه و كانت عمته السيدة زوجه معز الدولة- و كانت قبله عند أخيه شبل الدولة، فولدت له محمود بن نصر- و هي التي أخذتها من غلمان أبيها، على ما ذكرناه؛ فأعادها إلى منيع؛ فكثرت اشتطاط بنى كلاب و فسادهم.

فكاتب معز الدولة المستنصر في تسليم حلب إليه؛ و طلب أن يعوضه عنها أماكن تبعد عن مواطن الكلبيين، ليأمن شرهم و تزول متهم عنه؛ فأجابه المستنصر إلى ذلك؛ و عوضه عنها بيروت، و عكا، و جبيل(٢).

و أنفذ المستنصر نوابه فتسلموها منه؛ و هم: مكين الدولة أبو علي

١- ديوان ابن أبي حصينه ج ١ ص ١٦٨.

٢- لم تكن الأمور بهذه البساطة، بل ارتبطت بحركة البساسيري مع أسباب أخرى، انظر إماره حلب ص ١٢٠-١٢٤.

الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي، و عين الدولة أبو الحسن علي بن عقيل، و القاضي أبو محمّد عبد الله بن عياض قاضي صور، تسلّموا البلد و القلعه، في ذى القعدة من سنه ثمان و أربعين و أربعمائه.

و قد كان أبو علي بن ملهم مقيما برفنيه؛ فقلّد الحرب و الخراج بحلب.

و في الليله التي سلّمها معزّ الدولة إليهم احترق المركز الشرقي بالقلعه، و ولّوا في قلعه حلب رجلا يعرف بركن الدولة.

و صعد معزّ الدولة مع عين الدولة و قاضي صور إلى مصر، فلقى من المستنصر من الكرامه و الجباء ما لم يلقه وافد منه و لا من آبائه؛ و جعل له كلّ يوم، إلى أن وصل إلى مصر، ثلاثمائه دينار، و أعطى ما لم يعط أحد من المال و الجواهر و الآله؛ و كان إذا ركب السلطان حجبه، و كان ذنب دابّته عند رأس دابّته السلطان.

و اعتلّ معزّ الدولة بمصر، فركب السلطان، فوقف بباب داره حتّى خرج إليه و سأله عن حاله.

## [إماره محمود بن نصر الأولى]

(١) و أما ابن ملهم:

فإنه أقام بحلب، و عدل في الرعيه، و أحسن السيره، و بسط وجهه و يده لهم، و رخصت الأسعار في أيامه، و بنى كثيرا من أبرجه سور حلب؛ إلى أن تجمعت بنو كلاب و امتدت أطماعهم إلى حلب. و ذلك أن البساسيري كان من المنتمين إلى المصريين، و دعا لهم ببغداد، في سنه إحدى و خمسين و أربعمائه فعاد السلطان طغرلبك، و جمع جموعا عظيمه، و لقي البساسيري فقتله، و كانت الرّحبه في يده- على ما ذكرناه.

فسار الأمير أسد الدوله أبو ذؤابه عطيه بن صالح إلى الرّحبه، فأخذ جميع ما تركه البساسيري بها، من السلاح الذي لم ير مثله، كثره وجوده، و أموالا جزيله كانت للبساسيري؛ ثم ولى فيها بعض أصحابه (٢).

فطمع بنو كلاب حينئذ في حلب، و قوى جأشهم، و قدموا عليهم:

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- انظر إماره حلب ص ١٢٤-١٢٥.



الأمير محمود بن نصر بن صالح.

لأنّ حلب كانت لأبيه شبل الدّوله؛ فسار إليها محمود بنى كلاب، فى جمادى الأولى سنة اثنتين و خمسين و أربعمائه؛ و نزل عليها، و قاتلها، و أقام عليها سبعة أيّام، و معه منيع بن مقلّد بن كامل؛ ثم رحل عنها.

فطلب الأحداث من مكين الدّوله مالا ينفقه فيهم، فقال: «قد أخذتم واجبكم المقرّر على الكمال، و تسلّتم أيضا؛ فلا تطمعوا فى وصول شىء آخر إليكم». فعصى أحداث(١) حلب عليه، و غدروا به، و أنفذوا إلى محمود بن نصر بن صالح فردّوه.

فلما قرب منهم محمود، و ثب أهل حلب على دار الشريف القاضى معتمد الدّوله يحيى بن يزيد بن يحيى الحسينى الزّيدى، و كان قاضى الشّام، و على دار رجل يعرف بالظّهير جلال الدّوله؛ و كانا مكرمين لأهل حلب؛ فنهبا داريهما؛ و أخرجوهما راجلين، حفاه، مكشّفى الرؤوس إلى الضّياح العريّيه، و كان من جملتهم: كندى، و ابن الزغرى، و ابن عنتر، و ابن النّاقد.

و وصل محمود بنى كلاب، فسلموا إليه حلب يوم الاثنين مستهلّ جمادى الآخرة سنة اثنتين و خمسين و أربعمائه؛ و انحاز مكين الدّوله بن ملهم

---

١- عالجت مسأله أصل منظمه الأحداث، و تكوينها و أدوارها فى كتابى إماره حلب ص ٢١٥ - ٢٢٠.

إلى القلعه، و تحصن بها، و أنفذ إلى مصر رسولا، فطلب النجده و الإعانه، فوصل الأمير ناصر الدوله أبو على الحسين ابن الأمير ناصر الدوله الحسن بن الحسين بن حمدان- و هو ولد ناصر الدوله الذى نازل حلب أولا فى أيام معز الدوله- و قدم فى عسكر ضخم فى جيوش المغاربه، حتى نزل حمص لنصره أصحاب القلعه؛ فسارت إليه بنو كلاب و بنو خفاجه، و كانوا جيرانا لهم بالظعن، فى خلق كبير.

فرجع ناصر الدوله بن حمدان إلى بعلبك، و همّت بنو كلاب باتباعه، فأبى عليهم أسد الدوله أبو ذؤابه عطيه بن صالح بن مرداس، و انحاز عنهم فافترقوا، و رجعوا إلى قنسرين.

و أقبل ناصر الدوله حتى نزل أفاميه، و استدعى من قدر عليه من بنى كلاب، و استحلفهم أربعين يمينا، و خلع عليهم خلعا فاخره، و سار بعد أن استوثق منهم، فلمّا وصل إلى سرمين أجفلت بنو كلاب و محمود إلى الشرق، و أجفل أحداث حلب منها؛ و حصلوا مع بنى كلاب، و ذلك ليله الاثنين السابع من رجب من السنه.

و نزل مكين الدوله ابن ملهم و أصحابه من القلعه، فنهبوا المدينه، و قتلوا من وجدوا من أحداثها، و عدّتهم أربعون رجلا و صلبوا فى محال حلب جماعه من القتلى، و نهبوا كلّ موضع جليل يعرفونه بالمدينه، و قياسر الوكلاء، و أموال التجار، و غير ذلك.

و وصل ناصر الدوله أبو على الحسين فنزل حلب، و أراد أن ينهبها، فقبل

له: «إن أصحاب مكين الدولة قد سبقوك؛ ولم يبق لك ولأصحابك إلا الاسم بلا فائده» فامتنع من النهب. وقال: لا بد من أهل المدينة أن يقسطوا لي خمسين ألف دينار، عوضا عن ترحيل محمود عنهم، فبذلوا له خدمه فلم يفعل، وقال: «أنا أمضى إلى الفينديق وأقابل محمودا على فعله، و أعود أنتقم من الحلبيين».

فسار عن حلب في مقدار خمسه عشر ألف فارس، و محمود في دون الألفين؛ و نزلوا على الفينديق و هو المعروف الآن بتل السلطان(١)؛ و انهزمت بنو كلب و بنو طىء؛ و بقى العسكر وحده؛ و قتل الماء عليهم، فكسروا. و أسر الدين بن أبى كلب الجهلى الكلابى ناصر الدولة، و أمكنته الهزيمه فلم ير على نفسه أن يولى، و أسر كل مقدم كان فى عسكره.

و قتلت بنو كلاب أكثر عسكره، و غنموا كلما كان فى العسكر، و لم يسلم منهم إنسان بالجمله إلا عاريا.

و بعد ذلك علم محمود بن نصر بن صالح بأسر الأمير ناصر الدولة، فاشتراه من الدينين بألفين و سبعمائه دينار؛ و قيل: بأقل من ذلك.

و أسر رجل يقال له جبر من بنى كلاب أخا ناصر الدولة، فاشترى

---

١- تل السلطان قريه تعرف أحيانا باسم المرج الأحمر، و هى واقعته فى سهول ادلب الشرقيه، و تتبع ناحيه أبى الظهور، و تبعد عنها مسافه ٧ كم إلى الشمال الغربى. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

أيضا بمال كثير، و كانت الكسره فى يوم الأربعاء سلخ شهر رجب سنه اثنتين و خمسين و أربعمائته(١).

و وصل وقت الكسره أسد الدوله أبو ذؤابه عطيه بن صالح بن مرداس إلى حلب، و تسلّم المدينه من المغاربه، يوم الخميس؛ و دار فيها ساعه، و نزل عند شافع بن عجل بن الصوفى فى داره، التى هى الآن مدرسه القاضى بهاء الدين بن شداد.

و قيل: إن [ابن] ملهم استدعاه، و سلّم المدينه، و فرّج الله عن أهل حلب(٢). و قدم الأمير محمود بن نصر إلى المدينه، فانهزم عطيه منه آخر النهار من يوم الخميس مستهلاً شعبان؛ و تسلّم محمود البلد يوم الجمعة الثانى من شعبان سنه اثنتين و خمسين و أربعمائته، و هذا من أغرب الاتفاقات أن يملك حلب ثلاثه من الملوك فى ثلاثه أيام متتابعه.

و أيس مكين الدوله بن ملهم و ركن الدوله والى القلعه، من حلب و من نجده تصل إليهما من مصر بعد هذه الكسره فأنفذا من استخلف محمود بن

- 
- ١- هناك بعض الشكوك حول تفاصيل هذه الروايه و التواريخ فيها، لأنه من غير المعقول أن نتصور أنه يمكن فى مده قدرها اثنان و ثلاثون يوما انجاز الأعمال التاليه: توجه رسول من حلب إلى القاهره حاملا طلب المساعده، استجابته القاهره بإصدار الأوامر إلى والى دمشق ليقوم بواجب التفريج عن حلب، قيام هذا الوالى باطاعه ما صدر إليه من أوامر بتشكيل جيش فيه ما بين عشره آلاف إلى خمسه عشر ألفا من العساكر و قيادته نحو حلب! من أجل معالجه هذه المسأله انظر إماره حلب ص ١٢٦-١٢٩.
  - ٢- يبدو أن عطيه جاء بناء على اتفاق مسبق. اماره حلب ص ١٢٩.

نصر على شروط اشتراطها عليه، و سلمًا إليه القلعه في عاشر شعبان من هذه السنه، بعد أن أخذوا أولاد بنى كلاب: ولد محمود بن نصر، و ولد شبل بن جامع، و ولد محمود بن زائده، و ولد منصور بن زغيب، و جعلاهم في حصن أفاميه رهينه على أنفسهما و عسكرهما و أموالهما ثم سيّرهم مع الأمراء في الزوج إلى أفاميه سالمين؛ و أخذوا أولادهم الرهائن و رجعوا إلى حلب.

و أما ناصر الدّوله، فبقى في أسر محمود إلى أن قدم البلد عمّه معزّ الدّوله، فاصطنعه منيع بن وثّاب؛ و خلّى سبيله في سنه ثلاث و خمسين.

و سيّر محمود كل من كان في أسره من الأمراء و القوّاد إلى مصر، بعد أن أحسن إليهم، و شلّت يد ناصر الدّوله في وقعه الفينيق، فلمّا وصل إلى مصر و لاه المستنصر دمشق، فقال أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الحلبيّ الفكيك فيه:

على حلب به حلبت دماء و حكّم فيكم الرّمح الأصمّ

و قد أرسلته والى دمشق يد شلا و أمر لا يتمّ

و في ذلك يقول أبو نصر منصور بن تميم بن الزنكل السرميني من قصيده، يذكر فيها مآثر بنى كلاب:

أليس هم ردّوا ابن حمدان عنوه على عقبه لا يتّقون العواقبا

أليس ابنه يوم الفينيق قاده دنين أبي كلب و عزّاه سالبا

و لما أخذ محمود حلب من ابن ملهم، كان عمّه معزّ الدّوله بمصر، فصرفه المستنصر عن عكا و بيروت و جبيل، و قال له: «إنّ هذه الأماكن

أخذتها عوضاً عن حلب، وقد عادت إلى ابن أخيكم، فتمضى إلى حلب و تستعيد لها منه»، فقال: «إنّ نوابكم فرطوا فأعينوني بمال». فأعانوه على ذلك بمال، و سيّروه، و قرّروا ألقابه: «الأجلّ، الأعزّ، تاج الأمراء، عماد الملك، سيف الخلافة، عضد الإمامه، بهاء الدّوله العلويه، و زعيم جيوشها المستنصريّه، علم الدّين ذو الفخرين مصطفى أمير المؤمنين».

فعاد معزّ الدّوله إلى حلب، و جمع قوماً من عشيرته، بعد أن كاتبهم حين وصل إلى حمص، فأجابوه، و لقيه أكثرهم بحمص و بعضهم بحماه، فلمّا نزل معزّه النعمان، أقام بها ثمانية أيّام، و ضيقّ العرب على النّاس، و كان ذلك في قوّه الشّتاء، فنزلوا منازل النّاس.

و سيّر محمود الشيخ أبا محمّد عبد الله بن محمّد الخفاجي رسولا إلى ملك الرّوم، يستنجده على عمّه و بقي عندهم إلى أن ملك شمال حلب؛ و كتب الخفاجي إلى حلب القصيده المشهوره:

هذا كتابي عن كمال سلامه (١)

و رحل شمال، فنزل حلب محاصراً لابن أخيه محمود، فأغلق محمود باب حلب في وجهه؛ و عمل قوم من الأحداث؛ و فتحوا لمعزّ الدّوله باب قنّسرين.

و دخل أصحابه إلى أن وصلوا درب البنات، فنزل محمود من القلعه،

---

١- طبع ديوان ابن سنان الخفاجي في بيروت سنة ١٣١٦ هـ و كانت نسخه منه موجوده في المكتبه الظاهريه، فقدت و لم أستطع الحصول على نسخه أخرى في سوريه، علما أنني وقفت على نسخه موجوده في مكتبه معهد الدراسات الشرقيه و الأفريقيه بلندن.

و عاد أخرجهم و لم يقتل منهم واحد، و قبض على من كان سبب ذلك من الأحداث و هم: ابن حَيّون، و ابن المغازلي؛ و ذلك في ذى الحِجَّة من سنة اثنتين و خمسين و أربعمائه.

و وصل منيع بن شبيب بن وثّاب إلى حلب لنصره محمود بنى نمير، و حصل مع محمود بالقلعة، فرحل معزّ الدّولة عن حلب؛ و نزل منيع بنى نمير مدّة عشرين يوما في ضيافته محمود، و أشار على محمود باطلاق ناصر الدّولة بن حمدان ففعل، و خلع عليه، و قاد خيلا كثيره إليه، و سيّره إلى مصر.

و سار محمود إلى الحانوته (١) ليجمع العرب على عمّه فعاد معزّ الدّولة ثانياً يوم مسيره، و نزل على حلب، ثم رحل طالبا لمحمود فلقيه، و كسره، و انهزم محمود، و دخل حلب في ثلاث فوارس آخر صفر؛ و أسر معزّ الدّولة أكثر عسكره، و الأحداث الذين كانوا معه، و هم: كندی، و صبح، و ابن الأقراصى، و الشّطيّطى، و اللّباد. و استأمن منهم صبح إلى القلعة، فحبسه نائب محمود، و قيده خيفه من حيله تتمّ عليه.

و قصد محمود حسام الدّولة منيع بن مقلّد، و قال له: «أنت كنت مساعدى و معاضدى فى كسر العسكر المصرى الواصل مع ناصر الدّولة و أوثر أيضا أن تساعدنى على عمّى» فاستمهله إلى غد ذلك اليوم، و رحل فى اللّيل

---

١- الحانوته أو تل الحواصيد، قريه فى هضبه حلب تتبع منطقه جبل سمعان. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

طالباً معزّ الدّولة، و قال لنائبه: «تقول لمحمود: عمّيك هو الشيخ الكبير، و العرب تأنف من معاضده الولد على الوالد، بل أنا برحيلي أصلح الأمر بينكما إن شاء الله».

فأمر محمود كاتبه أبا العلاء صاعد بن عيسى بن سمّان النّصرانيّ بأن يعمل شعراً، يذكره فيه بعهدده، و يعتب عليه في اطراح ودّه، فكتب إليه:

ألا أيّها السّارى تخبّ برحله قصيره فضل التّسعيتين إذا تسرى

تحمل - هداك الله - عنى رسالها إذا بلغت يوماً شفيت بها صدرى

إلى معشر إن تنح نحوى سهامهم فأخطأ منها ما توغلّ فى صدرى

و خصّ حسام الدّولة ابن مقلدأخا الغاره الشّعواء و الكرم الدّثر

و من علقت كفاى جبل و داده و ما خلّت أن تغتاله نوب الدّهر

تذكر - هداك الله - يوماً أظنّنا به الموت فى ظل الرّديتيه السّمر

لقد غالنى فى وذك الدّهر بعد ما غدوت أراه و هو من أنفس الدّخر

و حاشا لذاك العهد من بعد ما غدانقى الحواشى أن يدنس بالغدر

و أنت من القوم الذين نفوسهم ترى الغدر بالإخوان ضرباً من الكفر

سأصفيك ما صافيت يوماً بحفظه و آمل ان ضيعتنى عاجل النّصر

و أنت عليم أنّى غير جازع إذا ما رمانى الدّهر بالتّوب الغبر

و إنى إذا ما يدج ليل خطوبها أصدعه بالسّيف عن فلق الفجر

و ما الموت إلا خطّه حمّ وقتها و أكرمها ما كان فى طلب الفخر

أبى الله و الأصل الذى طاب فرعه إلى اليوم إعطاء القياد على قسر



و أخسر من تلقاه في الناس صفقهفتي عند مجد لا يريش و لا يبرى

فلا تحتقر ذنبا جنيت على الوفاو لا تعتذر منه فما لك من عذر

فقال منيع بن مقلد و أبو العلوان ثمال لما وصلت هذه القصيده: «من أين لمحمود هذه الفصاحه؟ و من له بالشعر؟». فقيل: «إن هذا شعر أبي العلاء بن سمان النصراني». فقال منيع بن المقلد: «لقد ألبسني هذا النصراني من العار طوقا لا يبلى، و لئن عشت لأقابلته بما يكون له أهلا».

و ترددت الرسل بين ثمال و محمود، في تسليم حلب، و توسط بينهما مشايخ العشيره، و قالوا: هذا بمنزله والدك، فتأخذ من الأعمال ماشئت.

فأجابهم محمود: بأن هذا صحيح، و لكنه ضيع مملكتنا و إرثنا، و قد استعدتها بسيفي، و بذلت فيها مهجتي. فاعترف له معز الدوله بذلك؛ و ضمن له معيشه بخمسين ألف دينار، و ثلاثين ألف مكوك غله. و شهد مشايخ العشيره بها.

و عاد محمود إلى حلب في آخر ربيع الأول و قد استقرّ الصلح بينهما يوم الأربعاء الرابع و العشرين من شهر ربيع الأول من سنه ثلاث و خمسين و أربعمائه. و فتحت أبواب البلد عند دخوله؛ ثم خرج إلى عمه (١) إلى المخيم، و استركبه يوم الاثنين مستهل ربيع الآخر من سنه ثلاث و خمسين و أربعمائه، و داخله القلعه، و سلمها إليه، و سار محمود ليحضر أهله من الحله.

١- بالأصل «عمله» و هو تصحيف واضح.

و لما استقرَّ معزّ الدّولة بالقلعه، نفى من الحلبيّين الأحداث العتق جماعه، و صلب منهم خمسة عشر رجلا. و كاتب المستنصر بظفره بحلب، فسير إليه الخلع مع ظفر المستفادى، و لأخيه و لأولاده، و لحسام الدّولة منيع بن مقلد. و لما وصل ظفر رأى المصلّيين من الأحداث فسأل فيهم فدفنوا.

و لما ملك معزّ الدّولة حلب جاء أبو العلاء بن سمان ليسلم عليه، فحمل عليه ليطعنه، فطرح نفسه من بغلته، و غيب شخصه عنه، و سار إلى أنطاكيه، و صار بها أسقفا إلى أن مات.

و فسد ما بين منيع بن وثّاب و بين شمال. و كان منيع بالرّحبه، فسير شمال أخاه أسد الدّولة عطيه بن صالح، فى شعبان من سنه ثلاث و خمسين و أربعمائه، لدفع منيع عنها؛ فأخذها عطيه، و أقام بها، و عصى على أخيه شمال، و عاد محمود إلى حلب من الحله بأمه السيده، و اجتمع بعمّه معزّ الدّولة، و سارت السيده، و أصلحت ما بين أخيها منيع و بين زوجها معزّ الدّولة (١).

و فى المحرّم من سنه أربع و خمسين و أربعمائه، عمر الرّوم حصن قسطون (٢) و حصن عين التمر (٣)، فسار معزّ الدّولة فى جمادى الأولى لغزوهم،

١- اماره حلب ص ١٣٠.

٢- قسطون قريه فى الجزء الشمالى من سهل الغاب عند أقدام السفح الغربى لجبل الزاويه، قربها تل أثرى يحمل الاسم نفسه. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٣- لم أقف على عين تمر فى بلاد الشام، و تشير المصادر المتفرقه أن بيزنطه أرادت تحصين خط- الثغور بدليل الخبر فى أن شمال بن صالح غزا البيزنطيين و افتتح أرتاح، و المثير للانتباه تغيير شمال لموقفه من بيزنطه، و لعل أسباب ذلك تغيير موازين القوى إثر ظهور الغز و شروعهم باجتياح الأراضى البيزنطيه، و ادراك شمال بعد عودته من القاهره، أن الخلافه الفاطميه باتت عاجزه عن ممارسه أدنى تهديد ضد حلب. إماره حلب ص ١٣٠-١٣١.

ففتح حصن أرتاح، فراسلوه فى الصّيلح، فأرسل إليهم شافع بن الصّوفى يقول: «لا أجيب إلى الصّيلح إلا على أن تهدموا الحصنين المجدّدين، و أن يكون ليلون للمسلمين، لا علقه لهم فيه، و يحملون عن حصن أرتاح مالا و يرده عليهم» فضمنوا ذلك.

فرحل فى الثّانى من جمادى الآخرة، و دخل إلى حلب، و لم يف الرّوم إلا ببعض ما ضمنوا له من الشّروط.

و بلغ معزّ الدّولة أن قوما من أحداث حلب مضوا إلى أنطاكيه، و تحدّثوا مع واليها فى تسليم معزّه مصرين، و التدرّج منها إلى غيرها، و قالوا له: «حزبنا فى حلب و أصحابنا تحت أوامرنا». فلمّا صحّ عند معزّ الدّولة ذلك، طلبهم و أحضر منهم قوما و قتلهم. و هم: ابن أبى الريحان، و ابن مطر، و ابن الشّاكرى، و بهلول؛ و صلبهم، و ترك باقيهم؛ و ذلك فى شهر رمضان من سنه أربع و خمسين.

و كبس الرّوم فى شّوال مريمين(١) العقبه، و أحرقوها، و نهبها، و أدركهم الأمير منصور بن جابر، و الأمير حارثه بن عبد الله؛ و ظفروا بالرّوم على كثرتهم و قلّه المسلمين؛ فقتلوا من الرّوم مقدار ألف و خمسمائه.

---

١- عدّ ياقوت مريمين من قرى حلب المشهوره.

و سار معزّ الدّوله، فى العشر الثّانى من شّوال، للغزو فنزل قىبار، و فتحها، و نهبها، و قتل الرجال، و سبى النساء و الصبيان. ثم مرض معزّ الدّوله فى العشر الأوّل من ذى القعدة، من سنه أربع و خمسين و أربعمائه؛ و اضطرب البلد، فبلغه ذلك، فاستدعى أخاه أبا ذؤابه عطيه بن صالح؛ و وصّى له بحلب، و ولاه الأمر.

و توفى يوم الخميس لسّتّ بقين من ذى القعدة سنه أربع و خمسين و أربعمائه. و دفن فى مقام ابراهيم الفوقانى بالقلعه، داخل الباب الغربى؛ و عمل عليه ضريح؛ و بقى إلى أيام الملك رضوان(١)؛ و قلع و بَطّ عليه.

---

١- رضوان بن تتش. سترد أخباره فى العصر السلجوقى.

## [إماره عطيه بن صالح]

(١) و جلس أخوه:

أسد الدّوله عطيه بن صالح بن مرداس

فى منصبه يوم الجمعة، فبلغ ذلك محمود بن نصر بن صالح و هو فى حلّته فلم يرض بالوصيّيه، و أرسل إلى عطيه يقول له: «إنّ معزّ الدّوله شرط على نفسه أن يردّ علىّ البلد عند موته لئما تسلّمه منى، و أنا أخذته بسيفى من المصريين عن غلبه و قهر؛ و هو إرثى عن أبى». و عرف ذلك مشايخ العشيره و اجتمعوا على صحّحه ما ذكره، و ساعدوه على منازلهم حلب، فكان فى كلّ وقت يقصدها و يرعى زرعها و يأخذ ما فى ضواحيها و يرحل عنها.

فجاء فى رجب من سنه خمس و خمسين و أربعمائه، و نزل بحلّته على عين سيلم (٢)، فخرج إليه أسد الدّوله عطيه فكسره، و نهب حلّته و انهزم محمود.

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- وقعت عين سيلم على مسافه ثلاثه أميال من حلب، و كانت العرب تنزلها. معجم البلدان.

ثم إنّه تجمّع إليه شبل الدّوله بن جامع، و محمد بن زغيب، و غيرهما من بنى كلاب، و نزلوا على قنّسرين - و عطيه نازل على السعدى بباب حلب - فلم يقدرّوا على التّزول على حلب.

فسار إليهم سيف الدّوله منيع بن مقلّد بن كامل فقوى جأش محمود به لأنّه كان ذا مال عظيم. و كان كريما يطعم العرب و يعلق على خيلهم، و يخلع و يهب، فلما حصل معهم نزلوا على حلب. و حاصروا حلب شهورا فضرب حجر المنجنيق منيع بن مقلّد فقتله.

و قيل: إن رجلا - حقيرا ضرب صدغه بمقلاع فيه حجر، فبقى أيّاما، و مات؛ و ذلك فى العشر الأوّل من شوّال سنه خمس و خمسين و أربعمائه.

و أوصى منيع بجميع ماله و ما يملكه لخاله أسد الدّوله أبى ذؤابه عطيه الذى كان يحاربه. و كان إقطاعه يرتفع منه كل سنه ثمانون ألف دينار؛ و كان له فى حصن يقال له المجدّد، ثلاثمائه ألف دينار، و سلاح و آله بمال عظيم.

و كان أبو الحسن علىّ بن محمد بن عيسى العمريّ الحلبيّ وزير منيع؛ و كان عطيه قد دعاه إلى خدمته فامتنع، فلما مات منيع عاد أبو الحسن العمريّ إلى حلب فقبض عليه عطيه، و قتله لحقده على ما فعله من امتناعه من خدمته.

و لعله احتجّ بأنّه حمل منيعا على حصار حلب مع محمود؛ و بعد أن قتله صلبه؛ و رثاه أبو محمد الخفاجى بأبياته التى يقول فيها:

و معذل جار على غلوائه يروى حديث نداء عن أعدائه

و استوزر عطيه أبا الحسن على بن يوسف بن أبي الثريا الذى داره الآن مدرسه ابن أبى عصرون(١) بحلب. ثم صالح عطيه بن مرداس ابن أخيه محمود؛ على أن يدفع لمحمود إقطاعا بخمسه و عشرين ألف دينار؛ من ذلك: سرمى و باقى الاقطاع فى بلد حلب من الأرتيق(٢)؛ و تحالفا على ذلك و تمامه.

و فى نصف جمادى الأولى سنة ست و خمسين و أربعمائه، سلم ثابت بن معز الدوله إلى ابن عمه محمود معره النعمان و كفر طاب و حماه، و كان فيها من قبل عمه.

و ذلك أن بنى كلاب تجمعوا بأرض شيزر: شبلى بن جامع بن زائده، و محمود بن زائده، و منصور بن محمد بن زغيب، و حسين بن كامل بن حسين بن سليمان بن الدوح، و جماعه معهم من سبيعه و ذؤيبه؛ و أجمع رأيهم على الوثوب على بلدان أسد الدوله عطيه.

فأخذوا حماه و كفر طاب؛ و أتوا إلى معره النعمان و فيها شههم الدوله خليفه بن جبهان، فأخذ منهم أمانا و سلمها، و ساروا حتى نزلوا قريبا من

١- ما تزال هذه المدرسه تحمل الاسم نفسه فى محله الفرافره فى حلب. الآثار الاسلاميه و التاريخيه فى حلب ص ٢٢٦-٢٢٨.

٢- ذكر ابن العديم فى بغية الطلب ج ١ ص ٤٣٧، هذه الكوره و قال إنه يشرف عليها و على عزاز جبل برصايا.

حلب، فسار عطيه من حلب يكبس محمودا، و كان بتل خالد(١) فظفر به محمود، و عاد عطيه منهزما إلى حلب.

و نزل محمود ببني كلاب على حلب، و منعوا منها الميره، و حصروها، و قاتلوا قتالا كثيرا، و أشرفت على أمر عظيم من الجوع و قله ما يدخلها.

و كان أسد الدوله عطيه قد أرزق أحداثها، فمنعوا باقى أهلها من التسليم.

فلما رأى أسد الدوله ضعف البلد صالح ابن أخيه محمودا. فكان لعطيه حلب و الرحبه و بالس و منبج و عزاز و قنسرين. و سلم بعد ذلك ما كان فى يده غير هذه المواضع المذكوره إلى ابن أخيه محمود بن صالح، و وقع الصلح على ذلك.

و استدعى عطيه ابن خان و كان فى ديار بنى مروان مغاضبا لأبيه ملك الترك، و كانت الروم تمده بالخلع و الدنانير إكراما لأسد الدوله عطيه لأنه كان مهادنهم، فقدم ابن خان إلى عطيه فى ألف قوس فأكرمهم و أضافهم.

فلما حصل ابن خان على باب حلب- و كان هذا أول دخول الترك إلى الشام- تجمعت بنو كلاب إلى محمود بن نصر بن صالح؛ و قصدوا حلب فرأى محمود أنه لا طاقه لهم بالترك فانهزم.

و مشى السفراء بين محمود و بين عطيه، فانعقد الصلح بينهما على أن يأخذ عطيه: حلب و الرحبه و منبج و عزاز و بالس و أعمال ذلك؛ و يأخذ محمود

---

١- كتبت هذه الصفحه بخط مختلف، و الكلمه مطموسه و هذه أقرب قراءه لها، و تل خالد قلعه قرب حلب. معجم البلدان.



ابن أخيه من الأثارب قبله و اقطاعه الذى كان قديما و ما كان فى يده فى أيام معز الدولة شمال. و تم ذلك فى المحرم من سنه سبع و خمسين و أربعمائه.

و خرج عطيه بالأتراك و أحداث حلب إلى الغزو، ففتح كمنون، و سبى أهلها، و عاد إلى حلب غانما. و دخل ابن خان حلب فخاف الحلبيون و عطيه منه؛ فأغرى بهم الأحداث من أهل حلب فنهبوهم ليلا، فى صفر من سنه سبع و خمسين و أربعمائه، و قتلوا منهم جماعه، و نهبوا خيولهم و سلاحهم و ما قدروا عليه من رحلهم.

و ركب ابن خان منهزما- و كان ظاهر البلد- و صاح تحت القلعه:

«أليس قد غدرت بى و بأصحابى يا عطيه، و الله لأنزلك منها على أقبح قضيه».

و سار إلى الشرق فعبرت طائفه منهم إلى الجزيره فنهبتهم بنو نمير، و رجع الباقون فصادفوا عسكرا للروم فى بطريق لهم يعرف بالنحت، فلم يجدوا بدا من شق عسكر الروم، و كان فى عشرين ألفا ففتح لهم الروم طريقا بينهم ليطبقوا عليهم فعبروا سالمين.

و قتلوا من الروم خلقا عظيما، و كان السالم منهم نحوا من مائه و خمسين رجلا، فركبت عليهم العرب بنو قريظ و ربيعه بن كعب و غيرهم، فأشار أمير منهم يقال له قمار على الملك أن يموت كريما، و لا يثق بالعرب فلم يفعل.

و التجأ إلى منصور بن جابر فغدر به بعد أن كان أعطاه مقنعه زوجته و مخصرته؛ و قتل قمار و جماعه.

و سلم ابن خان فى جماعه فلق بمحمود، و نزل عليه و هو بسرمين؛

فأمنهم؛ و بعث بهم إلى معره النعمان. ثم أن محمودا سير ولده إلى أنطاكية رهينه، فوجهوا قطعه منهم، و تلقاه بالجناب في كل منزل بمراكبها، و جعلوا له كل يوم خمسين دينارا، و خلعوا عليه و على أصحابه خلعا سنيه، و وهبوا له في جملة ما وهبوا دبوس ذهب وزنه ثلاثمائة مثقال.

و سار محمود بمن جمعه من العرب، و معه ابن خان التركي و من انضوى إليه من التركمان، إلى مرج دابق، فخرج عطيه إليهم، و جمع جموعا كثيره من العوفيين و غيرهم، و قصد محمودا و التركمان، في يوم الخميس حادي عشر جمادى الآخرة سنه سبع و خمسين، فالتقوا، فانهمزم عطيه إلى حلب، و تبعه محمود بمن معه.

و نزل على حلب محاصرا لها و فيها عمه عطيه و جاءه ظفر المستفادى رسولا من المستنصر، و هو محاصر حلب، و لقبوه عظيم أمراء العرب عضد الدوله، سيف الخلافه، ذو الفخرين؛ و كان يلقب أولا عزّ الدوله، و شمسها؛ فبقى محاصرا حلب مائه يوم و يومين.

ثم سلّمها إليه عمه أسد الدوله بن صالح بعد حصار شديد و جوع عظيم؛ و أخذ عمه عطيه الرحبه، و عزاز و منبج؛ و بالس، و جميع الضياع التي شرقي حلب و شماليتها؛ و أخذ محمود حلب و قبليها؛ و اصطالحا صلحا خالصا ذلت به لهما العرب (١).

---

١- يعد دخول ابن خان حدثا هامما في تاريخ حلب و بلاد الشام، و قد عالجت هذه المسأله و تقصيت ما ورد في مختلف المصادر حول ابن خان هذا. إماره حلب ص ١٣٣-١٣٦.

**[إماره محمود بن نصر الثانيه]**

(١) و دخلها محمود بن نصر يوم السبت النصف من شهر رمضان سنة سبع و خمسين و أربعمائه، و استقرت ألقابه: الأجل، شرف أمراء العرب، سيف الخلافة، معزّ الدّولة و فخرها، و عضدها، ناصر الملك، ذو الحسين (٢).

و مضى عطيه إلى الرّحبه و كانت ألقاب عطيه خالصة الأمراء، عمده الإمامه، عضد الخلافة، أسد الدّولة و سيفها، ذو العزيمتين.

و أقطع محمود معزّه النّعمان الملك هرون بن خان ملك الترك؛ فدخل

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- رأيت منذ سنوات في قلعه حلب حجرا ملقى داخل مسجد حلب حجمها ٥١\* ٣١ سم عليه نقش مؤلف من خمسة أسطر جاء به: - بسم الله الرحمن الرحيم ( أمر بعمله الأمير) - الأجل تاج الملوك ناصر الدين شر ( ف) الأمه ذو الحسين خالصة أمير المؤمنين أبو سلامه محمود بن نصر بن صالح. سنة خمس و ستين و أربعمائه. و عرف محمود بذي الحسين لأن أباه من كلاب و أمه من نمير.

المعزّه يوم الأربعاء السّابع عشر من شوال، سنه ثمان و خمسين و اربعمائه، و وصل معه إليها من التّرك، و الدّيلم، و الكردي، و الأوج(١) مقدار ألف رجل مع حاشيتهم فنزل بالمصلّى.

فما رؤى أعف منهم عن البساتين و الكروم و غيرها، و لم يكونوا يأخذون من أحد شيئاً إلا بثمانه؛ و سقوا دوابّهم الماء بثمانه. و فزعت العرب منه فزعا عظيماً؛ ثم استدعى إلى حلب و عوّض معزّه النّعمان.

و خرج محمود بن نصر بابن خان و التّركمان، فى سنه تسع و خمسين، و معه بنو عوف من بنى أبى بكر بن كلاب، فنزل المعشيره(٢) - من بلد حماه - ثم أتى حماه؛ و وطىء جميع العرب و أدلّها.

و كانت العرب تطلب فتنه تقع بينه و بين عمّه عطيه بن صالح، و كان بحمص، فظنّت بنو كلاب أنّه يحاربه؛ فلم يفعل عطيه، لمعرفته بغدر العرب به مره بعد أخرى؛ و أراد أن لا ينهدم مجد آل مرداس.

و فى هذه السنه سلّم حسين بن كامل بن الدّوح «حصن أسفونا»(٣) إلى نواب المصريّين، بعد أن نهب عسكر التّرك «حناك»(٤) و جميع ضياعه بالشّام.

١- الأوج اسم أطلق على المسلمين من سكان الثغور البيزنطيه الاسلاميه.

٢- لعل المعشيره هى العشارنه الحاليه إلى الغرب من شيزر على العاصى.

٣- أسفونا الآن تل أثرى فى جبل الزاويه، ناحيه كفر نبل، منطقه معره النعمان يقع شمال غرب قريه اسمها سفوهن. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

٤- حناك - كما سلف القول - خربه أثرية فى جبل الزاويه تتبع منطقه معره النعمان.

و وقع الوباء العظيم بحلب، حتّى أنه مات فى رجب من هذه السنه زهاء عن أربعة آلاف فضلا عن سائر الشهور.

و فيها طلعت طائفه كبيره من التّرك، فنزل بعضها على دلوک و تقدم منهم نحو ألف، فنهبوا بلد أنطاكيه عن آخره؛ و أخذوا نحو اربعين ألف جاموس. و قيل أكثر، حتى أنّ الجاموس كان يباع بدينار، و أكثره بدينارين و ثلاثه. و أما البقر، و الغنم و المعز، و الحمير، و الجوارى، فلم يقع على ذلك إحصاء من الكثره. و كانت الجاريه تباع بدينارين و الصبى بتطبيقه نعال للخيل.

و خرب بلد الرّوم خرابا لم يسمع بمثله؛ و بقيت الغلات فى البيادر ما لها من يرفعها منهم، حتّى كان الفلاحون و سائر العوامّ يمضى الواحد منهم و يأخذ ما يريد، فلا يجد من يدافعه عن ذاك؛ لأنّ الرّوم تحصّنوا فى الحصون و الجبال، و المغاير، و تركوا بيوتهم على حالها لم يأخذوا منها شيئا، لأنّ التّرك أتوهم على غفله، و كان ذلك فى شوال.

و كان مقدّمهم أفشين بن بكجى، و كان قد غضب عليه العادل ألب أرسلان بسبب خادم كان زعيم بعض عساكره، فقتله الأفشين. و قطع الفرات إلى بلد الرّوم، ثم خرج إلى أعمال حلب، و باع الغنائم التى كانت معه.

و نزل فى سنه ستين حول أنطاكيه؛ و ضاق الشىء فيها حتى بلغت

الحنطه قفيزين(١) بدينار. فلما لم يبق شىء دون فتحها أته كتب العادل ألب أرسلان من العراق بالرضا عنه. وقيل إن أصحاب مؤونه السوق بحلب حصل فى دفاترهم نحو سبعن ألف مملوك و مملوكه سوى ما بيع بغير مؤونه فى بلد الرّوم و سائر البلدان، و أخذ من أصحاب أنطاكيه مائه ألف دينار، و مثلها من ثياب الدّيباج و الآله و سار إلى العراق فى جمادى الآخره من السنه.

و فى هذه السنه سلّم أمير من أمراء المغاربه يعرف بابن المرأه حصن أسفونا إلى الأمير عزّ الدوله محمود بن نصر بن صالح. و تولى ذلك الأمير سديد الملك أبو الحسن على بن منقذ.

و فى يوم الثلاثاء السّابع و العشرين من شعبان، فتحت أرتاح بالسّيف؛ و نهب جميع ما فيها و ما فى حصنها من الأموال و الذّرارى؛ و كان فيها خلق عظيم من النّصرانيه لأنّ جميع من كان فى تلك المواضع منهم حصل بها لأنّها كانت الكرسى لهم هناك. و قتل من رجالها نحو ثلاثه آلاف رجل؛ و قد كان الملك ابن خان حاصرها زهاء خمسه أشهر.

و أتى عسكر عظيم من عساكر الرّوم، فنزل على باب أنطاكيه ليصالح الملك ابن خان عن أرتاح و غيرها من بلاهم؛ فلم يتمّ بينهم صلح. و إنّما كان غرض العسكر أن يدسّ إلى أنطاكيه غلّه حملت إلى السويداء(٢) لتقويتها.

و كان فتح أرتاح فتحا عظيما لأنّ عملها قريب من أعمال الشّام، من

١- القفيز: مكيال يساوى ثمانيه مكايك، و يسع المكوك صاعا و نصف الصاع.

٢- السويداء هى ميناء السويديه ميناء أنطاكيه على البحر المتوسط.

الفرات إلى العاصي إلى أفاميه إلى باب أنطاكية إلى الأثارب. وقيل بأنهم أحصوا إلى شهر رمضان من هذه السنه أنه افتقد من الرّوم في الدّرب إلى أفاميه بحساب قتلا و أسرا ثلاثمائه ألف نفر.

و خرج ملك الرّوم في سنه إحدى و ستين و أربعمائه إلى ديار الشام فأخذ كثيرا من أهل منبج، و هرب أهلها من حصنها فأخذه، و شحنه رجالا و غله و عدّه. و سار إلى عزاز فوقف عليها ساعه، و رجع جاولا، و سلّط الله عليه و على أصحابه الغلاء، و العله، و الوباء. فذكر ملك الرّوم للقاضي القضاءي رسول المصريين أنه مات له في يوم واحد ثلاثه آلاف من خيله سوى عسكريه.

وقيل: إن منبج بقيت في بلد الرّوم سبع سنين، و هذا الملك هو يوجانس(١). و لا يبعد عندي أنه الذي عناه هرقل بقوله: «لا يعود إليك روميّ إلا خائفا حتّى يولد المولود المشؤوم، و يا ليتته لا يولد».

و في يوم السّيبت أول شعبان من هذه السنه، جمع قطبان أنطاكيه و دوقسها المعروف بالنحت جموعا كثيره. و طلع إلى حصن أسفونا بعمله عملها عليه قوم يعرفونه ببني ربيع من أهل جوزن ففتحوه، و قتلوا كثيرا من رجاله و كانوا ثمانين رجلا، و أسروا الباقيين. و كان الوالي به رجلا من الأتراك يعرف بنادر.

---

١- اسمه رومانوس الرابع، و معنى لقب ديوجانس: حامى الثغور أو الحدود، و سيقع في أسر السلطان ألب أرسلان في معركة مناز كرد.

و بلغ الخبر إلى الأمير عزّ الدّوله محمود بن نصر بن صالح، و هو يسير في الميدان بظاهر مدينه حلب؛ فسار في الوقت يوم الاثنين في التّرك و العرب؛ و لم يدخل البلد، و اجتمع عليه خلق عظيم سمع من يحزّرههم بخمسين ألفاً؛ فحاصره سبعة أيام، و فتحه يوم السّبت، و قتل جميع رجاله، و كانوا ألفين و سبعمائه؛ و في ذلك يقول أبو محمّد الخفاجي:

إن أظهرت لعلاك «أنطاكيه» حزنا فقد ضحكت على قطبانها

بعث البريد مخبراً عن وثبهما كان أحوجه إلى كتمانها

لما أطلّ له لواءك خافقاعرفت وجوه الدّل في صلبانها

و فيه يقول أبو الفضل عبد الواحد بن محمّد الحلبيّ الرّبعي:

رددت على الاسلام شرح شبابه و كادت عليه أن تقام المآتم

و ظنّ طغاه الرّوم منذ أغبهم نزالك أنا حين ذاك نسالم

ثم إنّ محموداً هادن الرّوم في هذه السنه على أن اقترض منهم أربعة عشر ألف دينار، و على أن يجعل ولده «نصراً» رهناً عليها، و يهدم حصن أسفونا. فأخرج ثابت ابن عمّه معزّ الدّوله و شبل بن جامع، و جمعا النّاس من معزّه النّعمان و كفر طاب و أعمالهما؛ و خربا حصن أسفونا.

و وقعت فتنه بحلب بين الحلبيّين و الأتراك، و قتل من الأتراك نحو أربعين رجلاً، و من الحلبيّين عشره. و وصل في سنه اثنتين و ستين و أربعمائه صندوق التّركي خارجاً من بلد الرّوم، و معه عسكر عظيم؛ و دخل إلى بلد



حلب من الأرتيق إلى الجزر(١) إلى بلد معزّه التّعمان و كفر طاب إلى حماه و حمص إلى رّفنيه.

و شتوا في هذه السّينه فنهبوا الصّياح و سبوا منها، و عاقبوا من وجد هناك، و فتحوا جباب الغلّه و مدافنها. و قطع القطائع الكثيره على مواضع امتنعت عليه.

و لقي أهل الشّام من عسكره شدّه عظيمه، و هو أوّل نهب و فساد جرى بالشّام من الأتراك. و لما انقضى زمن الشّتاء عاد إلى بلد الرّوم بعد أن أكرمه محمود بن نصر بتحف و هدايا حملها إليه.

ثمّ إنّ محمود بن نصر بن صالح راسل في هذه السّينه السلطان العادل ألب أرسلان(٢)، و استقرّ الأمر بينهما فأجاب مشايخ البلد إلى ذلك فلبس المؤذّنون و الخطيب السّواد، و خطب للامام القائم، و بعده للسّيلطان ألب أرسلان، و بعده لمحمود، و لقب الأمير الأجلّ حسام الدّوله العبّاسيه، و زعيم جيوشها الشّاميه تاج الملوك، ناصر الدّين شرف الأمّه ذو الحسين خالصه أمير المؤمنين.

و أمر ابن خان الأ-تراك بالوقوف على باب الجامع و قتل كلّ من يخرج ممتنعا من الصّلاه و سماع الخطبه؛ فسأله الشّيوخ ألا يفعل خوفا من وقوع

١- الجزر كوره من كور حلب تقع بينها و بين أنطاكيه.

٢- للسلطان ألب أرسلان ترجمه واسع في بغيه الطلب كنت قد نشرتها في ملاحق كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٢٧٨-٢٩٣.

فتنه. و أخذت العامه الحصر التي في الجامع، و قالوا: «هذه حصر علي بن أبي طالب فليجيء أبو بكر بحصر حتى يصل على الناس». و كان ذلك يوم الجمعة التاسع عشر من شوال سنة اثنتين و ستين و أربعمائه.

و مدحه الشيخ أبو محمد بن سنان الخفاجي الحلبي بقصيده طويله، يقول فيها:

ما يصنع الحسب الكريم بعاجزيني له الشرف الرفيع و يهدم

على أن يخطب محمود بحلب للإمام القائم خليفه بغداد و بعده للسلطان العادل ألب أرسلان و بعده لنفسه؛ فوصل إليه نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بن علي الزينبي لإقامه الدعوه العباسيه، و معه الخلع من القائم بأمر الله و من السلطان.

فجمع محمود أهل حلب و قال لهم: «قد ذهبت دوله المصريين و هذه دوله جديده، و مملكه سديده و نحن تحت الخوف منهم، و هم يستحلون دماءكم لأجل مذهبكم، و الرأي أن نقيم الخطبه خوفا من أن يجيئنا وقت لا ينفعنا فيه قول و لا بذل».

و كان ناصر الدوله بن حمدان قد تغلب على مصر، و وقع بينه و بين جماعه من الأمراء بمصر وحشه؛ فأنفذ إليه الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد البخاري المعروف بقاضي حلب- و أظن ناصر الدوله قلده قضاء حلب حين وردها؛ و وقعت به وقعه الفنيديق، و السلطان ألب أرسلان حين حاصر حلب و هو معه فعرف بذلك- أرسله ابن حمدان رسولا إلى السلطان ألب أرسلان

يستدعى عساكره ليسلم إليه ديار مصر و يغير الدعوه؛ و ذلك في سنه اثنتين و ستين.

فلما ورد عليه الرسول إلى خراسان جهز العساكر العظيمه التي تملأ الفضاء، و وصل معها على طريق ديار بكر، و نزل الزها في أول سنه ثلاث و ستين، و أقام عليها نيفا و ثلاثين يوما.

و سير الفقيه أبا جعفر قاضى حلب المذكور رسولا إلى محمود بن نصر بن صالح يستدعيه إلى و طء بساطه و خدمته أسوه بمن وفد عليه من الملوک مثل: شرف الدوله مسلم بن قريش، و ابن مروان، و ابن وثاب، و ابن مزيد، و أمير الترك و الديلم. فلم يجب محمود إلى ذلك، و خاف منه.

فسار عن الزها إلى الشام قاصدا محمود بن نصر، فقطع الفرات في النصف من شهر ربيع الآخر سنه ثلاث و ستين و أربعمائه، من نهر الجوز(١)؛ و نزل على بعض المروج فأعجبه، فقال له الفقيه أبو جعفر قاضى حلب:

«يا مولانا أحمد الله تعالى على هذه النعمه؛ و هي أن هذا النهر لم يقطعه قط تركي إلا مملوك. و أنت قد قطعتة ملكا». فأحضر الأمراء و الأتراك و أمره بإعاده القول. قال: فأعدته، فحمد الله تعالى حمدا كثيرا.

و نزل بنقره بنى أسد إلى أرض قنسرين إلى الفنيديق. و كان نقيب النقباء بحلب لم ينفصل عنها بعد إقامه الدعوه، فسأله محمود أن يخرج إلى

---

١- نهر الجوز: ناحيه ذات قرى و بساتين و مياه بين حلب و البيره على الفرات. معجم البلدان.

السِّلْطَان، و يصلح أمره معه، فخرج مستفسرا و متوسِّلا. و تَلَطَّف الأمر، و أحسن السفاره. و خاطب السِّلْطَان بأنَّه قريب العهد بالخطبه للخليفه، و قد لبس تشريفه.

فقال السِّلْطَان: «أى شىء تساوى خطبته للخليفه و لبس تشريفه، مع ما سبق من شقَّه العصا و خروجه عن الطَّاعه!» و أبى قبول الشَّفاعة فيه بدون و طء محمود بساطه.

فخاف محمود و لم يجب إلى ذلك، و تمادى الأمر نحو شهرين. و حصَّن محمود حلب و جفَّل الناس من سائر الشام إليها، و حصل الرِّعب فى قلوبهم هيبه. لما اجتمع إليه من العساكر الجمه، و الجيوش الكثيفه الضخمه. و كان الأمر بخلاف ما ظنَّ الناس؛ فإنَّه لما أيس من خروج محمود إليه عاد من الفنيدق و كانت خيمته على ذلك التَّلَّ فعرف بتلَّ السُّلْطَان من ذلك اليوم.

و نزل على حلب فى آخر جمادى الآخره من السِّنه، و كانت الخيام و العساكر من حلب إلى نقره بنى أسد، إلى عزاز، إلى الأثارب، متقاربه بعضها من بعض، و لم يتعرَّض أحد من العسكر بمال أحد، و لا سبيت حرمه، و لا قاتل حصنا.

و بلغنى أنَّ عسكره العظيم لم يأخذ عليه تبن من فلاح إلا بثمانه، و أقام محاصرا حلب شهرا و يومين. و لم يقاتلها غير يوم واحد، و قصد المطاوله بالبلد بعد أن أشرف على الأخذ، و قال: «أخشى أن أفتح هذا الثغر بالسيف

فيصير إلى الزوم». و نقب برج الغنم، و علق (١)، فظفر أهل حلب بمن دخل ذلك الثقب و أخذوا بعضهم، و وقع الرّدم على الباقيين.

و عصّب الحلبيون برج الغنم بشقه أطلس، و كان السلطان نازلا- بميدان باب قنّسرين، فسأل عن ذلك فقيل: «هؤلاء الحلبيون يقولون على سبيل المزح: قد صدّع البرج رأسه من حجاره المنجنيق فقد عصّيه بوه». فغضب، و فرّق في تلك الليله ثمانين ألف فرده نشأب خلنج (٢)، غير ما رماه بقيه العسكر.

و أصبح و أمر بالزّحف فجعدّ الناس في قتال البلد، و حمل السّيلطان بنفسه في ذلك اليوم، فوقعت يد فرسه في خسف كان هناك، و أصاب في الحال رأس فرسه حجر المنجنيق فركب غيره؛ و عاد، و صرف الناس عن الحرب بعد أن أشرف البلد على الأخذ إبقاء لحرمة البلد، و كان عسكره دائرا بالبلد من جميع وجوهه.

ثم إنّ السّيلطان راسل الأمراء من بنى كلاب و أحضرهم من البرّيّه، فوصلوا إليه، و عوّل على تقليد بعضهم و تركه في مقابله محمود و عوده لأجل ما بلغه من ظهور ملك الزّوم إلى بلاد أرمينية عازما على قصد خراسان.

و لما علم محمود بأنّ البلد قد أشرف على الفتح، و علم بوصول الأمراء من بنى كلاب، و أنّه إن تم ذلك خرج الشّام من يده، فراسل السّليمانيّ -

١- أي حشى بالأخشاب لسند الثغره قبل اشعال النار فيها بغيه بغيه انهيار البرج.

٢- الخلنج حتى الآن بالدارجه: الجديد الذي لم يستخدم بعد.

و كان يتردد إليه في الرّساله- يعلمه أنّه قد عزم على وطء بساط السّلطان و خدمته خوفا مما أشرف عليه.

فخرج إلى السّليطان بنفسه، و معه والدته علويّه، المعروفه بالسّيده، في أوّل شعبان؛ و أخذ مفاتيح البلد معه، فدخل و العسكر ساطان بين يديه، فخدماه، و سلّما عليه، فأكرمهما، و أحسن اليهما، و قال للسّيده: «أنت السّيده؟» قالت: «سيده قومي»- و قد ذكرنا أنّه جرى لها ذلك مع المستنصر.

و أطلق له البلد، و شرّفه، و خلع عليه، و كتب له توقيعا بحلب، و تردد خروج محمود إلى خدمته مرّه بعد أخرى؛ و قرّر معه السّليطان أن يخرج بعسكره، و يضيف إليه السّليمانى، و أن يتوجّها إلى بلاد دمشق و الأعمال المصريه لفتحها ففعل ما أمره به، و عاد السّلطان إلى بلاده(١).

و قيل: إنّهُ خلّف ابنه مع فوج من عساكره بكوره حلب، و قصد ملك الرّوم، و أسرع في السّير لأنّه بلغه أنّ ملك الرّوم خرج في جموع لا- تحصى؛ و أنه وصل إلى قاليقلا- و هي أرزن(٢) الرّوم- فوصل السّليطان إلى أذربيجان حين بلغه أنّ ملك الرّوم قد أخذ على سمت خلاط، و كان السّلطان في خواصّ جنده، و جموع عساكره بعيدة عنه، و لم ير العود إلى بلاده؛ فسير وزيره نظام الملك و زوجته الخاتون إلى تبريز مع أثقاله.

١- عالجت هذه الحوادث و بحثت فيها اعتمادا على مختلف المصادر في كتابى اماره حب ص ١٣٨-١٤٣.

٢- أرزن: مدينه قرب خلاط. معجم البلدان.

و بقى فى خمسة عشر ألف فارس من نخبه عسكره مع كل واحد فرسه و جنبيه؛ و الرّوم فى زهاء ثلاثمائة ألف أو يزيدون ما بين فارس و راجل، من جموع مختلفه من الرّوم، و الرّوس، و الخزر، و اللادن، و الغزّ، و القفجق، و الكرج و الأبخاز، و الفرنج، و الأرمن. و فيهم خمسة آلاف جرخى(١)؛ و فيهم ثلاثون ألف مقدّم ما بين دوقس، و قومص، و بطريق.

فرأى السّليطان أنّ الإمهال للحشد و الجمع مضرّ؛ فركب فى نخبته و قال: أنا أحتسب نفسى عند الله؛ و هى إمّا السعاده بالشهاده، و إمّا النصر وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ(٢). ثم سار مرتّباً جيشه قاصدا جموع الرّوم.

و كان ملك الرّوم قد قدم مقدّمًا فى عشرين ألف مدرع من شجعان عسكره، و معه صليهم الأعظم؛ فوصل إلى خلاط، فنهب و سبى، فخرج إليه عسكر خلاط، و معه صندوق التركى الخارج إلى بلد حلب، فى سنه اثنتين و ستين - على ما قدّمنا ذكره - فكسره صندوق؛ و أسره، و صادف ذلك وصول السّليطان، فأمر بجذع أنفه.

و عَجِّلَ إِنْفَاذَ الصَّيْلِبِ الَّذِى كَانَ فِي صَحْبَتِهِ إِلَى نِظَامِ الْمَلِكِ، وَ أَمْرَهُ بِتَعْجِيلِ إِنْفَاذِهِ إِلَى «دَارِ السَّلَامِ» مَبَشِّرًا بِالْفَتْحِ؛ وَ تَلَا حَقَّ عَسْكَرِ الرُّومِ، فَتَزَلُّوا عَلَى خِلَاطِ مُحَاصِرِينَ لَهَا؛ وَ نَزَلَ الْمَلِكُ عَلَى مَنَازِلٍ كَرِدَ فَسَلَّمُواهَا إِلَيْهِ بِالْأَمَانِ خَوْفًا

١- الجرخ آله عليها قوس ثقيل يرمى السهام أو النفط.

٢- سورة الحج - الآية: ٤٠.

من معرّه جيوشه إن استولوا عليهم؛ و ذلك فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة، سنه ثلاث و ستين و أربعمائه.

فلما كان يوم الأربعاء ستر أهل منازل كرد، و خرج بنفسه ليشيعهم و هو فى جموعه و وافق ذلك وصول العسكر السيلطانى، و وقعت العين فى العين، فحمل المسلمون حملة رجل واحد، فردّوهم على أعقابهم. و شرع أهل منازل كرد يتسلّلون من بينهم فقتل الزّوم بعضهم، و نجا الباقون، و ترك الزّوم طريقهم الذى كانوا سالكيه، و عاد ملكهم فنزل فى مضاربه بين خلاط و منازل كرد؛ و باتوا ليلتهم على أعظم قلق و أشدّه.

فلما أصبحوا بكره الخميس وصل السلطان ألب أرسلان فى بقيه عساكره، فنزل على النّهر، و ملك الزّوم على موضع يعرف بالزّهوه فى مائتى ألف فارس، و السيلطان فى خمسه عشر ألف؛ فأرسل السيلطان رسولا حمّله سؤالا و ضراعه، و مقصوده أن يكشف أمرهم، و يختبر حالهم و يقول لملك الزّوم: «إن كنت ترغب فى الهدنه اتمناها، و إن كنت تزهد فيها و كلنا الأمر إلى الله عزّ و جل».

فظنّ الزّومى أنّه إنّما أرسله عن ضروره فأبى و استكبر، و أجاب بأنّى سوف أجيب عن هذا الرأى بالرأى؛ فغاض السلطان جوابه، و انقطعت المراسله بينهما.

و أقام الفريقان يوم الخميس على تعبئه الصّيفوف، فقال أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى فقيه السيلطان و إمامه: «أنت تقاتل عن



دين الله الذى وعد بإظهاره على الأديان، فالتقىهم يوم الجمعة بعد الزوال، و الناس يدعون لك على المنابر فى أقطار الأرض».

فلما أصبحوا يوم الجمعة ركب السيلطان بجموعه و ركب الروم فتواقفوا، فلما حان وقت الزوال نزل السيلطان عن فرسه، و أحكم شدّ حزامه؛ و تضرّع بالدعاء إلى الله تعالى، ثم ركب و فرق أصحابه فرقا كلّ فرقه منهم لها كمين؛ ثم استقبل بوجهه الحرب.

و حمل ملك الروم بجمعه، فاستطرد المسلمون بين أيديهم، و استجزوا الروم إلى أن صار الكمين من ورائهم؛ ثم خرج الكمين من خلفهم، و ردّ المسلمون فى وجوههم؛ فأنزل الله نصره؛ و كسرت الروم، و أسر الملك، و استولى المسلمون على عساكرهم، و غنموا ما لا يعدّ كثره و لا يحصى عددا و عدّه.

و قيد الملك أسيرا بين يدي السلطان، فأقامه بين يديه. و معه بازى و كلب صيد.

و كانت مع الروم ثلاثه آلاف عجله تحمل الأثقال و المنجنيقات، و كان من جملتها منجنيق بثمانيه أسهم تحمله مائه عجله؛ و يمدّ فيه ألف و مائتا رجل، وزن حجره بالرّطل الكبير قنطار؛ و حمل العسكر من أموالهم ما قدروا عليه.

و سقطت قيمه المتاع و السلاح و الكراع، حتى بيعت اثنتا عشره خوزه بسدس دينار؛ و لم يسلم من عسكر الروم إلا العسكر الذى كان محاصرا

خلاط، فلما بلغتهم الكسره رحلوا عن البلد جافلين؛ فاتبعهم المسلمون و تخطفوا أطرافهم، فلم يلو أولهم على آخرهم.

فمن عجيب الاتفاق ما حكى: أنه كان لسعد الدولة كوهرائين مملوك أهداه لنظام الملك، فردّه عليه فجعل يرغبه فيه، فقال نظام الملك: «و ما ذا عسى أن يكون من هذا المملوك يأتينا بملك الروم أسيرا»، مستهزئاً به.

ثم رحل السيلطان إلى أذربيجان، و الملك فى قيده، فأحضره السيلطان بين يديه، و سأله عن سبب خروجه و تعريضه نفسه و عسكره لهذا الأمر؛ فذكر أنه لم يرد إلا حلب، و كلما جرى على كان محمود السبب فيه و الباعث عليه، فقال: «اصدقنى عما كنت عازما عليه أن لو ظفرت بى» فقال: «كنت أجعلك مع الكلاب فى ساجور».

فقال السيلطان: «ما الذى تؤثر أن يفعل بك؟» فقال: «انظر عاقبه فساد تبتى و اختر لنفسك» فرق له قلب السيلطان، فمنّ عليه، و أطلقه، و أكرمه، و خلع عليه بعد أن شرط عليه أن لا يتعرض لشيء من بلاد الاسلام، و أن يطلق أسرى المسلمين كلهم، و سيّره إلى بلاده، و سيّر معه قطعه من العسكر توصله.

فلما انصرف ديوجانس إلى قسطنطينيه خلعوه من الملك، و لم يتمّ له ما أراد. و قيل: إنه كحل، و مات بعد مدّه. و لم ينقل أنه أسر للزوم ملك فى الإسلام قبل هذا(١).

---

١- جمعت أخبار هذه المعركة الحاسمه من مختلف المصادر عربيه و غير عربيه، و من ثم قمت بدراستها بموضوعيه و تفصيل. انظر كتاب مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٤٠ - ١٥١.

و أما محمود بن نصر بن صالح فإنه سار بعسكره بعد رحيل السلطان عن حلب، و معه بنو كلاب و السليمانى، فى شعبان من هذه السنه، فنزلوا بالقرب من بعلبك قاصدين دمشق و بلادها- و بها يومئذ ابن منزو الكتامى- حسب ما تقدم السلطان إليه، و أقام محمود ليتبين ما يفعل.

و كان عمه عطيه بن صالح قد صار مع الروم مستنجدا بهم على ابن أخيه محمود؛ و بعد أن قصد المصريين فلم يحصل على شىء منهم. فخرج عطيه مع النحت دوقس أنطاكيه و عسكر الروم؛ فهجموا معه معزّه مصريين و أحرقوا بعضها، و قتلوا من قدروا عليه.

و بلغ الخبر محمودا و هو فى أرض بعلبك فعاد إلى حلب، و سار السليمانى ليلحق بالسلطان ألب أرسلان؛ و اتصلت غارات الروم على الشام، فاستنجد محمود «بقرلو التركى» و من معه من الأمراء بفلسطين، و هم: ابن أخى الملك ابن خان، و أتسز بن أوق(١) و إخوته. و كانوا أول من طلع من الترك إلى بلاد فلسطين، و فتحوها، و أقاموا بها فنزلوا إلى محمود منجدين له، و أقاموا إلى أن تفرق عسكر الروم.

و دخل عطيه عم محمود إلى قسطنطينيه، فسقط من سطح كان نائما

---

١- لأتسز بن أوق ترجمه فى المقفى للمقريزى كنت قد نشرتها فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٢٦٥-٢٦٨.

عليه و هو سكران؛ فمات سنه أربع و ستين - و سار محمود إلى الرّحبه فأخذها - و حمل إلى حلب و دفن بها غربى باب الجنان، فى مشهد أمه طرود قبلى بستان النّقره، و صلى عليه ابن أخيه محمود. ثمّ عاد الأتراك بعد أن حمل إليهم محمود مالا و خيلا.

و فى سنه أربع و ستين و أربعمائه، تغيّرت أخلاق محمود بعد رحيل السّيلطان، و تنكّر لأصحابه؛ و تغيّر على وزيره أبى بشر النّصرانى؛ و كان هو الذى ساعده بماله حتى ملك حلب، و استجذب العرب إليه، و كان القائد أبو الحسن بن أبى الثريا - الذى كان وزير عطيه - قد سعى به لىلى وزاره محمود، و طالبه بمال جليل.

و كان محمود قد رغب فى جمع المال، و غلب عليه حبّ الدنيا فذكر له أبو بشر أنه عاجز عن أداء ما طولب به، و أنه ممّا لا تصل يده إليه و لا إلى بعضه. فأمر محمود بقتل ولد كان لأبى بشر و بقتل أخيه؛ فقتلا و قطع رأساهما، و علّقا فى عنقه؛ فسمع أبو بشر و هو يقول:

ويح دهرى ما أمره ما وفى خير بشره

و حلف أبو بشر أنه بعد ما فعله بابنه و أخيه لا يظهر له شيئا من ماله.

و قال: كلّ من عنده شىء مودع فهو فى حلّ منه و سعه.

و ندم محمود على ما فعل، و أراد الرّجوع له؛ و أرسل إليه شافع ابن الصّوفى أن يقرّر عليه شيئا و يطلقه فامتنع.

و اتفق أنّ محمودا اصطحب، و قدّم إليه طعام بعد سكره، فأنفذ منه لأبى بشر مع فراشه؛ فقام قائما و قبل الأرض، و شكر و دعا. فعرف ابن أبى الثريا، فركب، و لقي الفرّاش و دفع إليه مائه دينار؛ و سأله أن يقول لمحمود:

«إنّ هذا شيخ خرف لأنه لم يقبل طعام مولانا، و قال: كافأه الله و عجل عليه». ففعل الفرّاش ذلك.

و دخل ابن أبى الثريا عقيبته على محمود؛ و جراه فى حديث لا يتعلّق بأبى بشر فلم يقبل عليه، و وجده مملوء القلب غيظا من جواب الفرّاش. فقال ابن أبى الثريا: «الله لا يشغل لمولانا خاطرا، فما أراه منبسطا فى مجلسه و لا مصغيا إلى المملوك». فحدّثه بما قال الفرّاش، فقال يا مولانا: «لم تزل إليه محسنا و يقابلك بالإساءة فكيف يكون بعد ما جرى عليه و على ابنه و أخيه ما جرى؟

و أنا أدرى أنك تريد ماله؛ و قد تكرر قوله أنّه لا يعطيك شيئا». قال محمود:

«هذا سيفى و خاتمى، خذهما و امض إليه فان لم يقرّ بشىء فاقته».

فقام ابن أبى الثريا من عنده بذلك، و اشتغل محمود بالشرب فلها عنه؛ و أحضر ابن أبى الثريا أبا بشر فلم يطالبه بمال بل قال له: «ما زلت تتجلمد حتّى صرت إلى هذه الحال». فقال: «يا قائد السوء قد علمت أنّ هذا كلّ من سعيك؛ و الأجل لا مردّ له، و هذا موت الشهداء؛ و لكن استعدّ لرجلك بحبل، فستموت ميتة الكلاب، و تجرّ جيفتك إلى الخندق».

و قتل أبو بشر، و رمى وسط بئر بستان القصر. و صعد الوزير أبو نصر بن النحاس ثانى يوم قتل أبى بشر إلى خدمه محمود، فقال له سرّا:

«تمضى إلى أبى بشر لتقرير ما عليه، و يطلق». فقال: «يا مولانا أو ما قد قتلته؟ فأطرق محمود ساعه و قال: «تمت على و عليه الحيله، و يجب يا أبا نصر أن تكتنم هذا الأمر».

قال أبو نصر: «فما حدثت به إلا بعد موت محمود». و استقلّ ابن أبى الثريا بوزاره محمود.

و أما سديد الملك أبو الحسن بن منقذ فإنه استشعر من تاج الملوک أن يقبضه- و كان أخاه من الرضاعه- فاجتمع باسباسلار(١) أبى حرب- المعروف، بخريبه الفافا- و كان صاحب سرّ محمود و نديمه، و كان لابن منقذ إليه إحسان كثير و صنائع جمّه؛ فقال له: «قد استشعرت من تاج الملوک فانظر ما عمله معى». فقال: «تكلّفنى أن يقول الأمير أريد أقبض على فلان فأخبرك بذلك؛ لا والله، و لكن أنا أنفذ إليك مع عجوز عندى ألفى دينار؛ فإذا نفذت طلبتها منك فشأنك و نفسك».

فبقيت تلك الدنانير عنده مدّه ثم نفذ العجوز يطلبها، و كان قد أصلح حاله للسفر، فدفع إليها الدنانير، و ركب من يومه، و خرج من حلب إلى كفر طاب فاستصحب منها ما أراد.

و سيّر حسين بن كامل بن الدوخ إلى سديد الملك بن منقذ يسأله الاجتماع به فاجتمعا؛ فقال له حسين: «أيش رأيك فى الدّخول إلى حلب؟»

---

١- الاسباسلار أو الاسفهلار فارسىه تعنى القائد.

فقال: «ما أقول لك شيئاً لأنّ لك مالا عظيماً، فإن أشرت عليك بتركه كنت ملوماً عندك، و لكنّي أقول لك ما أعمل، و أنت ترى رأيك. و الله لا نظرت محموداً أبداً!».

و سار إلى طرابلس فكتب محمود إلى ابن عمار يأمره بالقبض عليه، و يبذل له ثلاثه آلاف درهم و رفيه فلم يظفر به.

و سار ابن منقذ حتى وصل إلى طرابلس في سنه خمس و ستين، فلقى ابن عمار و أخاه، فكاتبهما محمود فتنكرا له.

و عزم ابن منقذ على الطلوع إلى مصر، فاتفق موت أمين الدوله ابن عمار فشدّ ابن منقذ من جلال الملك على بن عمار و عاضده بمماليكه و من طلع معه من أهل كفر طاب؛ فأخرجوا أخوا أمين الدوله؛ و تولّى جلال الملك؛ و عظم محلّ ابن منقذ عنده حتى كان حكمه في طرابلس مثله. و كاتبه محمود بتطيب قلبه، فلم يثق به، و لم يعد إلى حلب حتى مات.

و قيل: إنّ ابن النحاس، كاتب محمود، كتب إليه كتاباً من نفسه يضمن له فيه الرضا عن محمود، و كتب في آخر: «إن شاء الله» و شدّد التّون من «إن»؛ ففطن ابن منقذ بأنه أراد قوله تعالى: **إِنَّ الْمَلَائِئِمَّاتُ يَأْتُمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ** (١) فكتب جوابه: «و كتب إنّ الخادم» و كسر الألف، و شدّد التّون من «إنّا»؛ ففطن ابن النّحاس بأنه أراد قوله تعالى: **إِنَّا لَنُ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا** (٢).

١- سورة القصص - الآية: ٢٠.

٢- سورة المائدة - الآية: ٢٣.

و أما محمود فإنه لما يئس من عود أبي الحسن بن منقذ قبض على أملاكه جميعها. و أمّا حسين بن الدّوخ فانه دخل إلى حلب فقتله محمود و لم يمهلّه.

و كان محمود قد خطر له أن يولى فى كلّ قلعه من قلاعهم رجلا من أهل حلب، و تكون ذريته و أهله تحت يده، و طلب من الوزير ابن أبي الثريا أن يختار له من يوليه عزاز، فقال: «لا أجد لذلك إلا أبا محمد بن سنان الخفاجي». و كان أبو نصر ابن النحاس حاضرا، فصوّب الرأى فيه.

فأحضره محمود و ولاه بعد أن امتنع ثم أجاب.

ثم إنّه استوحش عليه فاستدعاه محمود عدّه دفعات إلى حلب، فتعلل عليه و لم يحضر، و كان أبو نصر بن النحاس صديقه و كان كاتب محمود؛ فكان يكتب إليه و يحذّره.

فأمره فى بعض الأيام أن يكتب إليه كتابا يتلطفه و يأمره بالحضور و الكتاب عن أبي نصر؛ لأنّه كان يعلم ما بينهما من المودّه؛ و أمره أن يضمن له عن محمود كلّ خير؛ و أمره أن يكتب الكتاب بين يديه، و لم يقع له أن يلغز فيه شيئا.

قال أبو نصر: «فما قدرت أن أعمل فيه سوى أن شددت التّون من (إن شاء الله)؛ و تناهيت فى لفظ الكتاب، و قلت: لو عرفت ضدّ ما كتبت لما كنت بصوره من يعشّه». و أخذ محمود الكتاب و وقف عليه، و كرّر فيه نظره فرآه كافيا شافيا، فأمر بالصاقه و عنوانه؛ و دفعه لبعض أصحابه و وصّاه أن يقول:

«هذا كتاب دفعه إلىّ أبو نصر بداره». و سار الفزّاش.



فلما وقف أبو محمد عليه كثر فيه نظره، وبقى متعجباً منه، و يقول:

«أخي أبو نصر أعطاك الكتاب بداره أم بالديوان أم بالقلعه قدام الأمير؟» فقال: «بل بداره» فقال: «ما هذا صحيح!» فحلف له فلم يصدقه إلى أن قال: «وقعت على المعنى». وكتب جوابه يذكر فيه شكر أبي نصر، و أنه مهتم بالحضور عند زوال حتمى جسمه. ثم إنه كاتب أبا نصر خفيه، و أعلمه أنه عثر على المعنى فى تشديد «إن».

و قد ذكرنا أنه جرى له ذلك مع ابن منقذ فيحتمل أن يكون وقع ذلك معهما جميعاً.

ثم إن محموداً أفكر و قال: «ما أعرف قتله إلا - منك»؛ فقال: «كيف؟» قال: «تمضى إليه اليوم و معك ثلاثون فارساً يقفون لك فى بعض الطريق، و تقدم منك إليه من يعلمه بوصولك و معك فى رانك هذه الخشكنانه (١) و معك أنت خشكنان غيره؛ فإذا فعلت ذلك لا بد أن ينزل و يلتقيك من قلعه عزاز، و يعرض عليك الصعود و النزول عنده، فقل له: أنا موجل و مستحلف أن لا أنزل على الأرض، و لا - آكل لك طعاماً؛ و طول الحديث معه إلى أن تعلم أنه قد جاع؛ ثم اذكر أنت الجوع و اخرج لك خشكنانه من الذى معك؛ ثم أخرج المسمومه فادفعها إليه، و كل أنت التى لك، و تحدّث معه و يكون حديثكما على فرسيكما و أنتما بمعزل من أصحابكما، و طول معه الحديث و لا تبرح حتى يستوفى أكلها، و علامه صدقك موته؛ و إلا ضربت عنقك».

---

١- من أنواع الخبز يصنع من الدقيق و الزبد و الفستق و السكر أو سواه.

قال أبو نصر بن النحاس: فنزل عليّ من ذلك أمر تمنيت الموت معه، فخرجت و أنا على غايه من الجزع و التأسف كيف قضى الله ذلك على يدي، و جعلت دفعه أعول على الهرب؛ ثم إنني أفكر في أولادي و أهلي، و إنني إن فعلت ذلك أهلكتهم لعلمي بظلم صاحبي؛ ثم إن الفرسان متوكله بي.

فلما اجتمعت به فعلت ما ذكره لي، ثم ودعته عند استيفاء أكل الخشكنايه، و رجعت من موضعي مبادرا؛ و أبعدت من أرض عزاز، و ركبت جنينا كان معي، و جدّيت في السير خوفا من الطلب.

و صعد أبو محمد إلى المركز، فوجد مغصا شديدا و رعه؛ ثم قال:

«قتلني أخي أبو نصر اطلبوه». فركبت الخيل خلفه فلم تلحقه.

و وصل أبو نصر فاجتمع بمحمود، فعرفه ما جرى. فلما كان من ذلك الغد وصل رسول من عزاز يستدعي الشريف النقيب أبا المعالي الفضل بن موسى و ابنه سنان بن أبي محمّد الخفاجي، و جماعه من أهله. و ذكر الرسول أنه في السّياق، فمنع محمود ولده من الخروج؛ و أمر الشريف أن يتولّى القلعه إلى أن ينفذ إليها واليا؛ فولاهها بعد خمسة أيام واحدا من أصحابه.

و توفي أبو محمد في قلعه عزاز في سنة ستّ و ستين و أربعمائه؛ و قيل سنة أربع و ستين - و هو الصّحيح - و حمل إلى حلب؛ و صلّى عليه الأمير محمود بن صالح؛ و قيل: إنه توفي سنة ثلاث و ستين - و الأوّل أصحّ - و لما أحسّ بالموت عمل:

خف من أمنت و لا تركز إلى أحد فما نصحتك إلا بعد تجريب

إن كانت التُّرك فيهم غير وافيهما تزيد على غدر الأعراب

تمسكوا بوصايا اللؤم بينهم و كاد أن يدرسوها في المحارِب

وقيل: إنَّه كان كتبها أبو محمد من عزاز إلى سديد الملك بن منقذ، و يذكر له في كتابه أحواله و لجاج محمود في طلبه، و تغيَّر نيته فيه، و خوفه من غائلته و ظلمه.

و في سنة خمس و ستين و أربعمائه- و قيل في سؤال سنة أربع و ستين- وفد أبو الفتیان بن حَيوس على محمود بن نصر بن صالح، و كان سديد الملك بن منقذ اجتمع به بطرابلس، و رأى نفور بني عمّار منه لأجل ميله إلى الدّولة المصريّة، فأشار عليه أن يقصد محمودا بحلب، فقصدّه صحبه نصر بن سديد الملك بن منقذ، فأحضره محمود.

و كان قد جلس في مجلسه و أمر باحضار الشّراب فشرب أقداحا، ثم قال: «ارفعوا الخمر فإنّ ابن حَيوس يحضرني ممتدحا، و في نفسي أن أهبه جائزه سيّئه فإن كان الشّراب في مجلسي قيل وهبه و هو سكران» فرفع. و حضر الأمير أبو الفتیان فأنشده قصيدته الميمية التي أوّلها:

قفوا في القلى حيث انتهيتم تدمّماو لا تقتفوا من جار لّما تحكّما

أرى كلّ معوجّ المودّه يصطفى لديكم، و يلقي حتفه من تقوّما

و هي قصيه طويله، أحسن فيها كلّ الإحسان، و ذكر إشاره ابن منقذ عليه بقصدّه فقال:

سأشكر رأيا منقذيا أحلني ذراك فقد أولى جميلا و أنعما(١)

فوهب له ألف دينار ذهباً في صبيته فضّه، و جعلها له رسماً عليه في كل سنة.

و احتفر الخندق بحلب فجاءه أبو الفتيان فقال: «هذه أعمال يعجز عنها كسرى و ذو الأكتاف». فقال محمود: «ما كان الأمير أبو الحسن ينفذك حتى سألته ذلك»(٢).

و اجتمع بباب محمود بن نصر جماعه من الشعراء، فلم تصل إلى واحد منهم جائزه غير ابن حيوس، فكتب إليه ابن الدويده، المعروف بالقاق:

على بابك الميمون منا عصابهمفليس فانظر في أمور المفالس

و قد قنعت منك العصابه كلهابعشر الذي أعطيته لابن حيوس

و ما بيننا هذا التفاوت كله و لكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال محمود: «و الله لو قال بمثل الذي أعطيته لأعطيتهم مثله». ثم أمر لهم بالجائزه مائه دينار أو أكثر.

و قصد الروم ناحيه عزاز في جموعهم، فخرج محمود إليهم في عدّه قليله تناهز ألف فارس، فاندفع الروم بين أيديهم، و قصدوا أنطاكيه و احتموا بها في سنة أربع و ستين. و افتتح محمود قلعه السن(٣) في تاسع شهر ربيع الآخر سنة ست و ستين.

١- ديوان ابن حيوس ج ٢ ص ٥٩٨-٦٠٦.

٢- الجملة مطموسه بالأصل و لعل هذه القراءه هي الصحيحه.

٣- قلعه قرب سميساط.

و مرض محمود بن نصر بن صالح بحلب فى جمادى الأولى من سنة سبع و ستين و أربعمائه. و حدثت به قروح فى المعا كانت سبب مئته.

و كان محمود فى أول ملكه حسن الأخلاق، لئى الجانب، كريم النفس، عفيفا عن الفروج و الأموال، ثم تنكر و زاد عليه حبّ الدنيا، و جمع المال فلحقه من البخل ما لا يوصف.

**[إماره نصر بن محمود]**

[إماره نصر بن محمود] (١)

و أوصى بحلب لابنه شبيب- و كان أصغر أولاه- فلم ينفذ أصحابه وصيته؛ و ملكوا حلب ولده الأمير نصر بن محمود؛ و جدّه لأمه الملك العزيز بن جلال الدوله بن بويه؛ و أحصى ما وجد في خزائن محمود فكانت قيمته من العين و المتاع و الآلات، و الثياب، و المراكب ألف ألف و خمسمائه ألف دينار.

و أمن الناس في أيام نصر. و كانت سيرته أصلح من سيره أبيه، و أحسن إلى أهل حلب؛ و أطلق من كان في اعتقال أبيه من أحداثهم، و عمّ الناس بجوده، و كان بحرا للمكارم إلا أنّه كان لا يستطيع أن يرى أحدا يأكل طعامه مع كرمه و جوده.

و دخل عليه أبو الفتيان بن حيّوس حين ولي حلب فأنشده القصيده التي أولها:

كفى الدّين عزا ما قضاه لك الدهر فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

اعتذر فيها عن تأخره عن سلفه فقال:

تباعدت عنكم حرفه لا زهاد هو سرت إليكم حين مسنى الضرّ

فجاد ابن نصر لى بألف تصرّمت و إنى لأرجو أن سيخلفها نصر(١)

فأطلق له نصر ألف دينار، وقال: «و حياتى، لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها». و لم يزل يواصل ابن حيوس بالحباء و جزيل العطاء، و أنشده ابن حيوس يوما بديها و قد خرج ينظر المدّ فى قويق:

أرى الأرض تشنى بالنّبات على الحياو لو تستطيع النّطق خصّتك بالحمد

بك افتتت الأيام عن ناجذ الغنى و غرّد طير العيش فى الزّمن الرّغد

عهدنا مدود الأرض تأتي بحورهاو لم نر بحرا قطّ سار إلى مدّ(٢)

فأعطاه صله جزيله.

و جهّز نصر عساكره إلى منبج صحبه أحمد شاه(٣)، و كانت فى أيدى الروم؛ فحصرها مدّه؛ و أيس و اليها من نجده تأتية، فسلمها فى صفر من سنة ثمان و ستين و أربعمائه، فقال فى ذلك ابن حيوس من قصيده:

و طريده للدهر أنت رددتهاقسرا فكنت السيف يقطع مغمدا(٤)

و وصل فى سنة ثمان و ستين و أربعمائه أئسز بن أوق التركي إلى أعمال

١- ديوان ابن حيوس ج ١ ص ٢٤٢-٢٤٩.

٢- ديوان ابن حيوس ج ١ ص ١٩٧.

٣- لأحمد شاه ترجمه فى بغية الطلب نشرتها فى ملاحق مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٥١-٢٥٣.

٤- ديوان ابن حيوس ج ١ ص ٢٠٥.

حلب القبلية؛ و نزل العاصي على الجلالى؛ و جفل أهل الشّام بين يديه- و كان قد سمى نفسه الملك المعظم- فنهب كلّ ما قدر عليه، و ملك رفيه، و سلّمها إلى أخيه جاولى، و تردّدت سراياه فى جميع الشّام، و تمادى فساده.

و تردّدت الرّسل بينه و بين نصر بن محمود صاحب حلب، فلم يستقرّ بينهما أمر، و عاد إلى دمشق فتسلّمها(١).

و اعتمد جاولى مدّه مقامه برفيه إساءه المجاوره؛ و شنّ الغارات و الأذى فى الأعمال القبلية من عمل حلب؛ فجهزّ إليه نصر بن محمود عسكر حلب و مقدّمهم أحمد شاه التّركى، و ذكر أنه شيبانى فسار إليه، و التقوا بأرض حماه، فكسره جاولى و غنم عسكره.

و عاد أحمد شاه و نزل مذكين(٢) و جمع إليه من سلم من عسكره، فلما اجتمعوا عوّلوا على العوه إلى حلب، فقال لهم أحمد شاه: «ما بقى لنا وجه إلى حلب بعد هذه الكسره، فإن راجعتم الحرب و أظفرنا الله بهم كان الأمر لنا بحكم الظّفر، و إن أبيتم فأنا أسير إلى الفرات و أستدعى أهلى، فما لى وجه ألقى به نصر بن محمود؛ و إنما أعطى و منح و أكرم لمثل هذا الموقف».

فأجمعوا أمرهم على معاوده الحرب فأسرى من موضعه إلى عسكر جاولى، و كبسه، فاستنأر منهم؛ و نهب عسكره، و أسر منهم ما يزيد عن ثلاثمائه

---

١- مر سقوط دمشق لأتسز بن أوق بعده مراحل، و قد آذى المدينه كثيرا و أنهكها. انظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٥٧-١٦٥.

٢- لم أقف لهذا الموقع على ذكر فى المصادر المتوفره، و يبدو أنه فى أحواز رفيه.



نفس؛ و سيرهم في الوثاق إلى حلب مشاه؛ و هرب جاولي إلى رفيه؛ و سار بعد ذلك إلى أخيه بدمشق.

و كان نصر حين ملك حلب و استقر بها أمر بقتل وزير أبيه أبي الحسن علي بن أبي الثريا القائد، صاحب الدار التي هي المدرسه العصورنيه؛ فقتل و كان راكبا تحت القلعه، و هو في حشمه على بغلته، و عمل في رجله حبل و جذبت جثته من تحت القلعه إلى باب أنطاكيه، جزاء على ما فعله بأبي بشر، و صدق فال أبي بشر فيه- على ما ذكرناه- و كان نصر قد اتهمه بأنه أشار على أبيه أن يولي أخاه الأصغر شيبيا، و كذلك قتل نصر ناجيه بن علي أحد ولاء أبيه.

و استوزر نصر أبا نصر محمد بن الحسن التميمي المعروف بابن النحاس الحلبي، و بقي وزيرا بعده لسابق أخيه إلى أن اعتقله، ثم أطلق.

و كان أبو نصر كاتبا لمحمود قبل وزارته.

و في يوم عيد الفطر من سنه ثمان و ستين و أربعمائنه، عيّد نصر بن محمود، و هو في أحسن زيّ، و كان الزمان ربيعا و الأرض نضرة؛ و احتفل الناس في عيدهم و تجملوا بأفخر ملبسهم؛ و دخل عليه ابن حيوس فأنشده قصيده منها:

ضفت نعمتان خصّتاك و عمّتا حديثهما حتى القيامة يؤثر(١)

و قبض نصر على الأمير أحمد شاه التركى، و اعتقله فى القلعه؛ و جلس فشرّب إلى العصر؛ و حمّله السيّكر على الخروج إلى الأتراك، و سكناهم فى الحاضر، و أراد أن ينيههم، و حمل عليهم، فرماه تركىّ بسهم فى حلقه فقتله، و تبعه أصحابه فوجدوه قد مات؛ و ذلك يوم الأحد مستهلّ شوال من سنه ثمان و ستين و أربعمائنه. و كان نصر أهوج (١).

**[إماره سابق بن محمود]**

[إماره سابق بن محمود] (١)

و زحفت الأتراك إلى البلد و كان والى القلعه رجلا يقال له ورد، و عنده الأمير سديد الملك أبو الحسن بن منقذ، و كان قد عاد من طرابلس إلى حلب فى أيام نصر؛ و عندهما جماعه من الخواص؛ فلما علموا بذلك استدعوا أخاه سابق بن محمود (٢).

و حمل من عقبه (٣)، و كان ساكنا بها فى الدار التى تنسب إلى عزيز الدوله فاتك، و رفع إلى القلعه بحبل من السور، و هو سكران، و نادوا بشعاره، و أطاعه الأجناد، و أشاروا عليه باطلاق أحمد شاه فأطلقه فى الحال، و خلع عليه.

فنزّل أحمد شاه إلى العسكر بالحاضر فسكن النائره (٤)، و أحمد الفتنه،

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- لسابق ترجمه فى بغية الطلب سلف لى نشرها فى ملاحق مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٣٩٧-٤٠٤.

٣- يقال لها عقبه بنى المنذر، و كانت من أشرف نواحي حلب و أفضلها. أحياء حلب و أسواقها للاسدى ص ٢٨٠.

٤- النائره: الفتنه.

و استقرت قاعده سابق؛ و لقب عز الملك أبو الفضائل، و دخل عليه ابن حيوس فأنشده قصيده أولها:

علي لها أن أحفظ العهد و الوداؤ إن لم يفد إلا القطيعه و الصدا(١)

فأطلق له سابق ألف دينار، و جعل له في كل شهر ثلاثين ديناراً، و كان سابق من متخلفي بني مرداس.

و لما ملك سابق اجتمعت بنو كلاب إلى أخيه وثاب؛ و عولوا على معونته عليه و أخذ حلب له من أخيه سابق و انضاف إلى وثاب أخوه شبيب بن محمود، و مبارك بن شبل ابن خالهما، و عامه بني كلاب.

فلما تحقّق سابق ذلك استدعى أحمد شاه أمير الأتراك، و كان في ألف فارس و شاوره، فأنفذ أحمد شاه إلى رجل من الأتراك يعرف بابن دملاج- و اسمه محمد بن دملاج- في يوم الأربعاء مستهلّ ذي القعدة، من سنه ثمان و ستين.

و تحالفوا و خرجوا إلى وثاب و بني كلاب، في يوم الخميس مستهلّ ذي الحجه من سنه ثمان و ستين و أربعمائه، و كان بنو كلاب في جمع عظيم ما اجتمعوا قط في مثله. يقال إنهم يقاربون سبعين ألف فارس و راجل، و كانوا قد عاثوا في بلد حلب، و كانوا نزولاً بقنّسرين، فعند معاينتهم الأتراك انهزموا من غير قتال و خلفوا حللهم و كلّ ما كانوا يملكونه و أهاليهم و أولادهم.

فغنم أحمد شاه و أصحابه و محمّد بن دملاج و أصحابه كلّ ما كان لبني كلاب. فيقال: إنهم أخذوا لهم مائه ألف جمل و أربعمائه ألف شاه، و سبوا من حرمهم الحرائر جماعه كبيره، و من إمائهم أكثر، و كل ما كان في بيوتهم. و عفوا عن قتل عبيدهم المقاتله، و كانوا يزيدون عن عشره آلاف عبد مقاتل فلم يقتلوا أحدا منهم، و كان الذي غنمه التّرك من العرب في ذلك اليوم ما لا يحصى كثره؛ و أسروا جماعه منهم.

و عاد أحمد شاه بالأسرى إلى حلب فتقدّم سابق بن محمود باطلاقهم، و أنزل أخته زوجه مبارك بن شبل في دار، و أكرمها لأنّها كانت فيمن أخذ ذلك اليوم.

و بعد هذه الهزيمه بثلاثه عشر يوما دعا محمد بن دملاج التركي أحمد شاه، فخرج إليه، و كان نازلا شمالي حلب؛ فلما أكلوا و شربوا قبض محمّد بن دملاج على أحمد شاه و أسره؛ و كان في نفر قليل فأقام في أسره تسعه أيام.

(١)

## [التسلط التركمانى]

## إشاره

[التسلط التركمانى] (١)

ثم إن سابق بن محمود اشترى أحمد شاه من محمد بن دملاج بعشره آلاف دينار و عشرين فرسا، يوم السبت الرابع و العشرين من ذى الحجه من السنه.

فعند ذلك سار و تآب بن محمود و مبارك بن شبل، و حامد بن زغيب، إلى السلطان أبى الفتح ملك شاه بن ألب أرسلان؛ و حضروا عنده، و شكوا إليه حالهم، و سألوه أن يعينهم على سابق، و يكشف عنهم ما نزل بهم منه.

و أنكر السلطان ذلك و وعدهم بما طابت به نفوسهم، و وقع لهم باقطاعهم فى الشام؛ و أقطع الشام لأخيه تاج الدوله تتش، و أمره بالمسير إلى الشام فى أوائل سنه سبعين و أربعمائه.

و تقدم السلطان ملك شاه إلى أفشين بن بكجى، و صندوق التركى، و محمد بن دملاج، و ابن طوطو، و ابن بريق، و غيرهم، من أمراء الترك بالكون مع تاج الدوله و المسير فى خدمته.

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

فسار تاج الدولة و معه وثاب بن محمود، و مبارك بن شبل و حامد بن زغيب، حتّى وصل إلى ديار بكر، و تواصلت إليه الأمداد مع المذكورين.

و كان أحمد شاه قد حصر أنطاكيه مدّه و معه عسكر حلب و اشتدّ الغلاء بها في هذه السنه، و استقرّت الحال على خمسه آلاف دينار مقاطعه، فأخذها، و رحل عنها إلى حلب.

و لما قرب تاج الدولة من الشام هرب جماعه الأتراك المقيمين بحاضر حلب مع أحمد شاه إلى حصن الجسر- و كان ابن منقذ جدّد عمارته ليضايق به شيزر، و يقطع المادّه عنها من بلد الرّوم؛ و أذن له سابق بن محمود في ذلك، فجدّد في هذه السّينه- فتركوا أموالهم و أهاليهم بهذا الحصن، و عادوا إلى خدمتهم بحلب، و لم يأمنوا أهل حلب أن يتركوا حرمهم عندهم لما كانوا فعلوه بابن خان؛ و تغيّر الهواء بالجسر عليهم، فهلك عامّتهم بهذا الموضع.

و أما تاج الدولة تتش فإنه أقام بالمروج إلى أن وصلته بنو كلاب بالظّعن، و نزلوا حلب في سنه إحدى و سبعين و أربعمائه.

و وصل شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش في عسكر كثير بأمر ملك شاه، و نزل معه على حلب معينا له، و حصروها ثلاثه أشهر و عشرين يوما؛ و كان نزوله على حلب لثلاث خلون من ذى القعدة من سنه إحدى و سبعين و أربعمائه. و كان القتال عليها متّصلا.

و قتل أحمد شاه مقدّم الأتراك بحلب بطعنه أصابته في الحرب، و كان هوى شرف الدولة أبى المكارم مع سابق، و كان يسير إليه في الباطن بما يقوى

نفسه، و كان ينكر على بنى كلاب خلطتهم بعسكر الترك.

فاستأذن بنو كلاب تاج الدولة فى رحيل الطعون فأذن لهم فأحس شرف الدولة أبو المكارم بتغير النبيه فيه، و تحقيق التهمه به من مراسله سابق و أهل حلب، فاستأذن تاج الدولة فى الرحيل، و رحل. و جعل عبور عسكره على باب حلب، و باع أصحابه أهل حلب كل ما كان فى العسكر عصبية و تقويه لهم، و قوى نفوسهم و نفس سابق.

و سار بعد أن قوى أهل حلب بما ابتاعوه من عسكره بعد الضعف الشديد إلى بلاده؛ و أشار على مبارك و وثاب و شبيب بالاحتياط على أنفسهم أو الهرب إلى حلب.

و لم يك بقى مع تاج الدولة من بنى كلاب غيرهم فى نفر يسير، فكاتبهم سابق و تألفهم و قال لهم: «إنى إنما أذب و أحامى عن بلادكم و عزكم، و لو صار هذا البلد إلى تتش لزال ملك العرب و ذلوا» و جرت أمور أوحشتهم من الأتراك؛ فهربوا إلى حلب بعد أن قتل أصحابهم قبل الهزيمة و بعدها، و صاروا إلى سابق.

و كتب سابق إلى الأمير أبى زائده محمد بن زائده قصيده من شعر وزيره أبى نصر بن النحاس، يعرّفه ما هو فيه من الضيق، و يسأله الإقبال عليه و القيام بمعونته؛ و يحذّره من التخلف عنه، فىكون ذلك مسببا لزوال ملك العرب، و يعتب عليه فى التوقف عنه فيما كان جرى مع أحمد شاه التركى، و القصيده هى:



دعوت لكشف الخطب و الخطب معضل فليبتني لَمَا دعوت مجاوبا  
و وقيت بالعهد الذى كان بينا و فاء كريم لم يخن قَطَّ صاحبا  
و ما زلت فزاجا لكل ملته إذا المحرب الصنديد ضجع هائبا  
فشمّر لها و انهض نهوض مشيع له غمرات تستقلّ التوائبا  
و قل ل «كلاب»: بدد الله شملكم أو يحكم ما تتقون المعاييا!  
أستبدلون الذلّ بالعزّ ملبساو تمسون أذنابا و كنتم ذوائبا  
و ما زلتم الآساد تفترس العدى فما بالكم مع هؤلاء ثعالبا  
ثبوا و ثبه تشفى الصدور من الصداو لا تخجلوا أحسابنا و المناقبا  
و لا بدّ من يوم نحكم بيننا و بين العدى فيه القنا و القواضبا  
أرى الثغر روجا أنتم جسد له إذا الرّوح زالت أصبح الجسم عاطبا

و قد زدت عنه طالبا حفظ عزكم إباء و لاقيت المنايا السواغبا  
و ها أنا لا أنفك أبذل، فى حمى حماكم مجددا، مهجتى و الرغائبا  
أدخر مالى عنكم و ذخائرى إذا بت عن طرق المكارم عازبا  
شكرت صنيع «ابن المسيب» إذ أتى يجر مغاويرا تسد السبابا(١)  
و منها:

أيا راكبا يطوى الفلاه بجسرهملعه(٢) لقيت رشدك راكبا  
ألا أبلغ «أبا الزيان» عنى ألو كهتريح من الإيلاف ما كان واجبا  
أخا شخصه لا يبرح الدهر حاضراتمثلة عينى و إن كان غائبا  
متى تجمع الأيام بينى و بينه أشد عليه ما حيت الرواجبا(٣)

---

١- السباب: المفازات.

٢- الجسر من الابل: العظيم و مؤنتها جسره، و الهملع السريع، و مؤنتها الهملعه.

٣- الرواجب: مفاصل أصول الأصابع.

و أهد إلى «شبل» سلامى و قل له: لك الخير دع ما قد تقدّم جانباً

فتلك حقوق لو تكلم صامت لجا إلى الدهر منهنّ تائباً

و قد أمكنتكم فرصه فانهضوا لها عجالاً و إلا أعوز الدرّ جالباً

فإنى رأيت الموت أجمل بالفتى و أهون أن يلقي المنيا مجاباً

و كان قد بلغ «سابقاً» أنّ أميراً من أمراء خراسان يقال له تركمان التركى قد توجه منجداً لتاج الدولة، و معه عسكر، فأخرج سابق منصور بن كامل الكلابى - أحد أمراء بنى كلاب - من حلب ليلاً، و أعطاه كتابه إلى الأمير أبى زائده، و فيه هذه الأبيات؛ و معه بعض أصحاب سابق و معهم مال.

فلما وقف الأمير أبو زائده محمد بن زائده على هذه الأبيات، اتفق مع منصور و نائب سابق، و جمعوا ما يزيد عن ألف فارس و خمسمائة راجل من بنى نمير، و قشير، و كلاب، و عقيل، و كلّ ذلك بتدبير الأمير شرف الدولة أبى المكارم و مشورته.

و وفد بهم الأمير أبو زائده، و وصلوا إلى «وادي بطنان». و اتفق وصول

المعروف بتركمان التركى فى ألف فارس من الغز، و معه جملة من العدد لمحاصره حلب و معونه تتش.

و عبر تركمان على طريق الفايا، فسار الأمير أبو زائده بمن معه من الجمع؛ و لقوا تركمان فى أرض الفايا، فأوقعوا به و كبسوا عسكره، و قتلوه، و نهبوا ما كان فيه بأسره و جميع ما كان للتجار الواصلين فى صحبته، و اتصل هذا الخبر بتاج الدوله و هو منازل حلب، فرحل عنها إلى الفرات، و توجه نحو ديار بكر و شتى بها.

ثم عاد و قطع الفرات، و تسلّم منبج و حصن الفايا و حصن الدّير، و شحنها بالرجال، و سار بالعسكر إلى حصن بزاعا(١)، و كان صاحبه شبل بن جامع؛ و بعض رجال هذا الحصن ممن كانت له النكايه العظيمه فى عسكر تركمان، فقاتله تاج الدوله، و فتحه بالسيف، و قتل كافه من كان فيه، و نهبه و شحنه بالرجال.

و رحل إلى عزاز و قد انضوى إلى قلعتها خلق عظيم، و منعهم الوالى بها من الصّعود إليها فالتجئوا إلى سند القلعه بأقمشتهم، و الناس عليها؛ و أساء الوالى بها- و كان اسمه عيسى- التدبير و السياسه.

فزحف العسكر إلى القلعه؛ و قاتلها؛ و ضربها بالنار، فاحترقت أقمشه

---

١- بزاعا: بلده من أعمال حلب فى وادى بطنان بين منبج و حلب- معجم البلدان. و تتبع بزاعه الآن منطقه الباب، و تطل على وادى الذهب الذى يتجه من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى نحو مملحه الجبول. المعجم الجغرافى للقطر العربى السورى.

الناس، و غلاتهم، و حرمهم، و أولادهم؛ و أشرفت على الأخذ. و خرج قوم من الحريق إلى عسكر تاج الدوله فأمنهم، و تقدّم إليهم بالعوده إلى ضياعهم.

و رحل الملك تاج الدوله إلى جبرين قورسطايا(١)؛ فأخذها و شحنها بالرجال؛ فخرج الأمير أبو زائده محمد بن زائده من حلب في الليل؛ و وصل إلى ضيعه تعرف بكرمين(٢)، فوجد بها خمسين فارسا من الغزّ، فقتلوا أكثرهم، و غنموا كلّ ما كان معهم، و عادوا إلى حلب سالمين.

فأسرى تاج الدوله في الليل من جبرين عند ذلك في جميع عسكره، و هم ملبسون مستعدّون، فصبّحوا حلب صباحا، و أغاروا عليها، فخرج عسكر حلب فالتقوا على الخناقيه على باب حلب. ثم إنّ بعض عسكر حلب انهزموا لغير موجب؛ و هزم الله عسكر تتش بغير قتال.

و كان الأمير أبو زائده محمد بن زائده و ابن عمه شبل بن جامع بن زائده في قدر خمسين فارسا مقابلهم، فحملوا عليه، و اتفقت هزيمتهم، فقتلوا من الغزّ جماعه و غنموا.

و لو عاد عسكر حلب في اثرهم ما كان أقلت منهم إلا من سبق به فرسه. و شاع لمحمد بن زائده في ذلك اليوم ذكر جميل.

١- سلف بي القول: إن جبرين تبعد عن حلب مسافه ٨ كم نحو الشرق. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.

٢- اسمها الآن كفر كرمين على مقربه من خان العسل الذي يبعد عن حلب ١٠ كم باتجاه الجنوب الغربي. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.

و تقدّم الأمير محمّد بن زائده إلى الشيخ أبي نصر منصور بن تميم المعروف بابن زنكل أن يجيب أبا الفضائل سابق بن محمود عن القصيدة التي أنفذها إليه، و يعرّفه ما لبني كلاب من الأيام المعروفة، و يذكر هذه الوقائع، فعمل:

دعوت مجيبا ناصحا لك مخلصا يرى ذاك فرضا لا محاله واجبا

فليت لا مستنكفا جزعا ولا هادانا(١) إذا خاض الكريهه هائبا

و منها:

و لما دعاني المدركيّ ابن صالح شققت، و لم أرهب؛ إليه الكراثبا

أسبق صرف الدهر في نصر «سابق» إلى «تركمان» التّرك أزجى التّجائببا

فلما التقيناهم غدا البعض سالبا لأنفسهم، و البعض للمال ناها

فيا لك من يوم سعيد يمينه عن الثّغر أضحي عسكر الضّدّ هاربا

و كان يرى في كفه الشّام حاصلوا يوم «بزاعا» ردّ ما ظنّ خائبا

---

١- الهدان: الأحق، الوحمة الثقيل في الحرب.

و ليله «كرمين» تركنا كرامهم كضأن بها لاقت مع القدر قاصبا

و فى يوم «خناقيه» قد خنقتهم بعثير ذل رد ذا الشرخ شائبا

عطفتم لهم إذ خام من خام منهم بفتيان كالعقبان شامت توالبا(١)

فله قومى الصادرون لو انشوامعى، أو فريق كنت للجمع ناكبا

فولوا و قضبان المخافه فيهم مسابقه أرماحنا و القواضبا

فكم فارس منهم تركنا مجدلا يياشر ترب القاع منه الترائبا

و إذ أيقنوا أن ليس للكسر جابرتولوا و عن «جبرين» حثوا الركائبا

و خلوا بها كسبا حووه، و أبصروا سلامتهم من أجل مكاسبا

و أما تاج الدوله تتش فيائه رحل من جبرين، و سار إلى دمشق فملكها؛ و تسلمها من أوس بن أوق التركى(٢)، ثم فسح من  
عسكره أفسين التركى،

---

١- التولب: ولد الحمار.

٢- انظر حول استيلاء تتش على دمشق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٦٤-١٦٥.

و معه أكثر العسكر؛ و عاد شمالا و نهب عسكره ضياعا في أعمال بعلبك.

و وصل رفته في اليوم العاشر من جمادى الأولى، و فيها جماعه كثيره من التجار و القوافل متوجهين إلى طرابلس، فهجمها بغته؛ و قتل ممن كان بها جماعه، و استباح أموالهم و حریمهم، و أقام بها عشره أيام.

ثم سار فنزل حصن الجسر، فأكرمه أبو الحسن بن منقذ فأعلمه بما عول عليه من نهب الشام، فسأله في بلده كفر طاب ألا يعترضها فأجابه.

و سار فنزل قسطون فجرى أمرها في النهب و العقوبه مجرى رفته، و أقام بها نيفا و عشرين يوما. ثم تنقل و عسكره بالمنجنيقات على أبراج جبل السيماق (١) و غيرها؛ حتى لم يبق بها موضع و لا برج إلا- افتتحه و أهلكه؛ و استباح حریمهم و أولادهم، و استغرق أحوال أهل سرمين و المعزة بالقطائع، و طلع إلى جبل بنى عليم (٢) فلم يتم له بها شىء.

و سار فنزل ضياع معزة النعمان الشرقيه بالمنجنيقات، ففتح أبراجها و حصونها بالسيف، و أخذ ما لا يمكن إحصاؤه، و غلب أهلها فهلك منهم خلق؛ و نزل تل منس، و قطع عليها خمسه آلاف دينار، و لم يتمكن من أخذها.

و انتقل إلى عمل معزة النعمان ففعل مثل ذلك؛ و سار إلى معرتارح (٣)-

١- هو جبل الأربعين هذه الأيام.

٢- هو جبل الزاويه فوق بلده أريحا.

٣- معرتارح: من نواحي كفر طاب، في شمالها. تاريخ معزة النعمان لمحمد سليم الجندى- ط. دمشق ١٩٩٤ ج ١ ص ٢٠.



من بلد كفرطاب- فتحصن أهلها في أبراجها؛ و تعذرت عليه فأحرقها، و هلك جميع من كان فيها.

و بلغ تاج الدولة ذلك، و هو بدمشق، فأسرع السير إلى أن وصل إلى ظاهر كفرطاب يطلب أرسلان تاش، فوجده قد رحل إلى بلاد الروم، فعاد إلى دمشق و سكن الناس في طريقه.

و حين رجع أفشين من الشام و لم يبق في أعمال حلب ضيعه مسكونه من بلد المعره إلى حلب، توجه إلى بلد أنطاكية فأخرب ما قدر عليه، و نهب و سبي ما وجده، و حمل إليه من أنطاكية مال؛ و توجه إلى الشرق بعد امتلاء صدره و صدر عسكره من النهب.

و جرى من هذا الحادث بالشام أمر لم يسمع بمثله، و تلف أهله بعد ذلك بالجوع. و وجد قوم قد قتلوا قوما و أكلوا لحومهم؛ و بيعت الحنطه سته أرطال بدينار و ما سوى ذلك بالنسبه.

و جلا- من سلم من الشام إلى بلد شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش، فأحسن إليهم و تصدق عليهم؛ و كان ذلك الاحسان منه أكبر الأسباب في مملكته حلب.

و لما جرى هذا الحادث طمع شرف الدولة في الشام؛ و كاتبه سابق بن محمود يبذل له التسليم إليه؛ و وفدت عليه بنو كلاب بأسرها، فتوجه إلى حلب، و نزل بالس(1) يوم عيد النحر من سنه اثنتين و سبعين و أربعمائه.

---

١- هي بلده مسكنه الحاليه في سوريه.

و نزل حلب فى السّادس عشر من ذى الحجه، سنه اثنتين و سبعين و أربعمائه فغلقت أبوابها فى وجهه، و كان عند سابق أخواه شبيب و وثّاب بحلب، فلم يمكّناه من التسليم، فلم يقاتلها، و أهلها يحرصون على التسليم إليه لما هم فيه من الجوع و عدم القوت.

و كان مع شرف الدّوله فى عسكره غلّه كثيره و قوّه تجوز الحدّ، و تزيد عن الوصف. و كان الرّئيس بحلب و نقيب الأحداث بها الشريف حسن بن هبه الله الهاشمىّ، المعروف بالحتيتى، و كان ولده أبو منصور قد خرج مع عسكر سابق لقتال بعض الأتراك المخالفين فى بيت لاهّا(١) فأسروه؛ و بقى أسيرا فى الموضوع مع خطلج أحد أصحاب أحمد شاه.

فلما وصل شرف الدّوله إلى حلب وفد التّرك كلّهم عليه؛ و تقرّبوا إليه بولد الشريف الحتيتى.

و قيل: إنّه طلبه منهم فلما حضر عنده خلع عليه، و أطلقه فدخل البلد، و أخذ معه جماعه من أصحابه، و فتح باب حلب، و نادى بشعار شرف الدّوله فى اليوم السادس و العشرين من ذى الحجه، من سنه اثنتين و سبعين و أربعمائه.

و تسلّمها، و دخل أصحابه إليها، و قلع أبوابها جميعها، و فتح باب

---

١- يقال لبيت لاهّا الغربى جبل اللكام، و هو مسكن العباد و الزهاد، و فيه من الفواكه المباحه ما يقتاتون به، و هو يفصل بين الثغور الشاميه و الجزريه. و بغيه الطلب ج ١ ص ٤٣٩.

أربعين(١)- و كان مسدودا- و أحسن إلى كافه أهلها، و خلع على أحداثهم، و تصدق بمال كثير و غلّه.

و كان سديد الملك بن منقذ قد وفد على شرف الدّوله و نزل معه على حلب، و كان شرف الدّوله قد عزم على الرّحيل من حلب لما حلّ بهم من الضجر و مصابره أهل حلب؛ و غلت الأسعار عندهم حتى صار الخبز ستّه أرطال بدينار.

و فرّ سديد الملك أبو الحسن بن منقذ من سور القلعه، فاطلع إليه صديق له من أهل الأدب، فقال له: «كيف أنتم» فقال: «طول جبّ» خوفا من تفسير الكلمه. فعاد ابن منقذ و هو يقلّب هذا الكلام فصحّ له أنّه قصد بكلامه أنّهم قد ضعفوا. و أوجس أنّها كلمتان، و أنّ قوله: «طول» يريد به:

«مدا» و «جبّ» يريد به «بير» فقال «مدابير و الله». فأعلم شرف الدّوله بذلك فقوى نفسه فملكها.

و لَمّا فتحت المدينه انحاز سابق إلى القلعه، و أخواه شبيب و وثاب في القصر، لضيق القلعه؛ و شرف الدّوله محاصر للقلعه بالمنجنقات و العساكر. و لم يبق بالشّام و حصون جبل بهراء(٢)، و حمص، و فاميه شيزر و من لم يقد على السّيلطان إلا وفد عليه.

١- وصف ابن العديم هذا الباب، و تحدث عن سبب تسميته. بغيه الطلب ج ١ ص ٥٥-٥٦.

٢- جبال اللاذقيه أو العلويين.

و دبر شيب و وثاب، و هما فى القصر على سابق و قفزا فى القلعه، و صاح الأجناد بها: «شيب يا منصور». و قبض سابق و حبس؛ و تسلّم شيب ما كان بها من مال و سلاح.

ثم وقعت السيفاره بينهم و بين شرف الدوله على أن أقطع شيبا و وثابا قلعتى عزاز و الأثارب و عدّه ضياع. و أقطع سابق بن محمود مواضع آخر فى أعمال الرّحبه، و أن يتزوج منيعه بنت محمود أخت سابق، و كان السيفير بينهم فى ذلك الأمير سديد الملك على بن منقذ؛ و بتديره جرى ذلك.

و وافق ذلك أن غار الماء فى قلعه حلب؛ و نزل منها أولاد محمود و انقضت دوله آل مرداس.

و كان الوزير لسابق بن محمود الشّيح أبا نصر محمد بن الحسن بن النّحاس و عزله، و اعتقله مدّه ثم أطلقه.

و ولى وزارته أبا منصور عيسى بن بطرس النّصرانى فامتنع؛ فألزم بها؛ و وزر له فى النّصف من شوال سنه تسع و ستين و أربعمائه(١).

[إمارة مسلم بن قريش العقيلي]

(١) و تسلمها أبو المكارم في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة، بعد حصار أربعه أشهر للقلعة. و قال ابن أبي حصينه يهنى ء شرف الدولة بفتح القلعة:

لقد أطاعك فيها كل ممتمتع خوف انتقامك حتى غارت القلب (٢)

و لمّا ملك شرف الدولة حلب أحسن إلى أهلها، و خفف عنهم أثقالا كثيرة، و صفع عن كلف كانت عليهم في أيام بني مرداس. و نقلت الغلات إلى حلب، فرخصت الأسعار بعد الغلاء الشديد.

و في يوم تسلمه القلعة و دخوله إليها دخل بزوجه منيعه أخت سابق، في اليوم و السّاعة، و هو اتّفاق لم يسمع بمثله، ففتح حصنين و قال في ذلك أبو نصر بن الزنكل يمدح شرف الدولة:

فرعت أمنع حصن و افترعت به نعم الحصان ضحى من قبل يعتدل

و حزت بدر الدجى شمس الضحى فعلى مثليكما شرفا لم تسدل الكلل

---

١- أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح.

٢- ديوان ابن أبي حصينه ج ١ ص ٣٧٧.

و مدحه ابن حيوس بالقصيده التي أولها:

ما أدرك الطُّلبات مثل متمم إن أقدمت أعداؤه لم يحجم

فلما وصل إلى قوله:

أنت الذي نفق الثناء بسوقه و جرى الندى بعروقه قبل الدم (١)

اهتزَّ شرف الدولة و أمره بالجلوس، فأتمها جالسا و أجازته بألفى دينار و قريه.

و قيل: أنه لما مدحه ابن حيوس قال له أبو العزّ بن صدفه البغدادي وزير شرف الدولة: «هذا رجل كبير السنّ و لم يبق من عمره إلا القليل، فأرى أن تعظم له الجائزه فتحصل على الذكر الجميل»؛ فأقطعه الموصل جائزه له.

فمات في هذه السنه قبل أن يصل إليها و ترك مالا حزيلًا فقيل لشرف الدولة: «هذا لا وارث له إلا بيت المال» فقال «و الله لا يدخل خزائني مال قد جمعه من صلوات الملوكة انظروا له قرابه». فسألوا عن ذلك فوجوا له من ذوى الأرحام بنت أخ فأعطاها ماله جميعه و هي بنت أخيه أبي المكارم محمّد بن سلطان بن حيوس.

و لما سفر ابن منقذ في تسليم حلب و تسلّمها شرف الدولة وعد ابن منقذ و عودا جميله، و مناه أمانى حسنه و أكرمه غايه الأكرام.

---

١- ديوان ابن حيوس ج ٢ ص ٥٦٩ مع فوارق.

و نقل شرف الدّوله إلى الشّام من الغلال ما ملأ الأهراء، و عاد بالزّفق على الناس؛ و كذلك نقل إليها من سائر الحبوب و من البقر و الغنم و المعز و الدجاج شىء كثير.

و عاش الناس فى أيامه و رخصت الأسعار بحسن تدبيره. و تسلّم حصن عزاز من واليها عيسى. و تسلّم حصن الأثارب بعد حصار و حرب؛ و كذلك الحصون التى كانت فى أيدي أصحاب تاج الدّوله من أعمال حلب التى افتتحها.

وصفت له جميع أعمال حلب، و قال لسديد الملك: «أمض فى دعه الله فأنا سائر إلى بلادى. و يجب أن تصلح حالك فأنا أصل و أبلغك كل ما تؤثره». و رجع إلى بلاده، و جعل أخاه عليّ بن قريش بحلب مع قطعه من عسكره بحلب.

و كاتب السلطان أبا الفتح ملك شاه يعلمه بما جرى، و يسأله فى تقرير شىء يحمله من الشّام فأجيب إلى ذلك.

و وصل أبو العزّ بن صدقه البغدادي وزير شرف الدّوله إلى حلب لجمع أموالها فى سنة أربع و سبعين و أربعمائه؛ و عدل عما كان ابتداء به من العدل و الاحسان، و صادر جماعه، و ضاعف الخراج.

و كان شرف الدّوله بالقادسيه، فدخل الحمام و هى ملاصقه لداره، فوثب عليه مملوكان برسم خدمته، فجعلوا فى حلقه أنشوطه ليخنقاه، و انتظرا صاحبا لهما يدخل بسكين؛ فصاح شرف الدّوله، فسمعت صياحه زوجته

خاتون أخت السلطان ألب أرسلان، فخرجت إليه فانهزما عنه. و مرض من ذلك أياما، و أخذها و قتلا.

و لما بلغ ذلك أبا العز بن صدقه البغدادي عاد من حلب إلى القادسيه.

و كان سديد الملك ابن منقذ قد عمر قلعه الجسر(١)، و قصد مضايقه شيزر و بها أسقف البار(٢) و ضيق عليه إلى أن راسله و اشتراها منه، و استحلفه على أشياء اشترطها عليه(٣).

و لم يزل ابن منقذ يعده الجميل و يتلطف له إلى أن سلم إليه حصن شيزر ليله الأحد النصف من شهر رجب من سنه أربع و سبعين و أربعمائه.

و وفي له ابن منقذ بكل ما عاهده عليه، فثقل ذلك على شرف الدوله و حسد ابن منقذ على شيزر فسار عسكر حلب مع مؤيد الدوله علي بن قريش إلى شيزر، و نزلوا عليها في يوم الجمعة خامس ذي الحجه سنه أربع و سبعين و أربعمائه، بعد مراسلات جرت فلم يجب ابن منقذ إلى ما التمس منه.

و كان علي بن قريش قد أخذ في طريقه حصنا لابن منقذ يقال له أسفونا غربى كفر طاب، و كان ابن منقذ قد تأهب للحصار، و حمل من الجسر إلى شيزر ما يكفى لمن فيه مده طويله من سائر الأشياء.

و حصره علي بن قريش مده إلى أن وصل شرف الدوله بنفسه، فنزل

١- على مقربه من شيزر.

٢- البار الآن قريه في وسط جبل الزاويه، تتبع منطقه أريحا- محافظه ادلب. المعجم الجغرافي للقطر العربى السورى.

٣- انظر كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٦٨-١٨٧.



على شيزر يوم الأربعاء سلخ المحرم من سنه خمس و سبعين و أربعمائه.

ثم رحل عنها إلى حمص يوم السبت ثالث صفر، و أقام عسكره على شيزر، فتطرح ابن منقذ عليه، و سَير ابنه أبا العساكر و امرأته منصوره بنت المطوع و أخته ربيعة بنت منقذ إلى حمص؛ فدخلوا عليه، و حملوا إليه مالا، فأنفذ إلى عسكره، و رحله عن شيزر في الثامن و العشرين من صفر من السنه.

و لما وصل شرف الدوله إلى حماه قبض على جميع الأتراك الذين بالشام و أخذ منهم الحصون التي كانت في أيديهم، و هي: بيت لاهاء، و تل أعذى، و هاب، و كفرنبيل(١). و قبض على وثاب و شيب ابني محمود، و أخذ منهما قلعه عزاز و الأثارب، و أطلقهما بعد ذلك، و حمل الأتراك، و حبسهم في الرحبه فداموا بها إلى أن قتل.

و قبض شرف الدوله على أكثر أقطاع بني كلاب بالشام؛ و عاد إلى حلب؛ و قبض على حسن بن وثاب النُميري أمير بني نمير، و كان قد حصره بسروج(٢) في العام الخالي فسلمها إليه بعد أن عوّضه عنها بنصيبين فاعتقله بحلب مده و قتله.

و في نزوله على شيزر، و قتاله حصن الجسر، و فعل وزيره أبي العزّ، ابن

١- ما تزال بعض هذه الأماكن تحتفظ بأسمائها في منطقه معره النعمان.

٢- سروج الآن إلى الشمال من عين العرب على الحدود السوريه التركيه، و هي تابعه لمحافظة حلب. المعجم الجغرافي للقطر العربى السوري.

صدقه من المصادره، يقول أبو المعافى سالم بن المهذب المعزى (١).

أمسلم لا سلمت من حادث الردى وزرت وزيرا ما شددت به أوزرا

ربحت ولم تخسر بحرب ابن منقذ من الله والناس المذمه والوزرا

فمت كمدا «فالجسر» لست بجاسر عليه؛ و عاين شيزرا أبدا شزرا

فبلغت الأبيات شرف الدولة، فقال: «من يقول هذا فينا؟» قالوا:

«رجل من أهل المعزّه يقال له ابن المهذب». قال: «ما لنا و له اكتبوا إلى الوالى بالمعزّه يكفّ عنه، و يحسن إليه فرّما يكون قد جار عليه و أحوجه إلى أن قال ما قال».

و عاد شرف الدولة إلى الجزيره، و قد جرت منه هذه الحوادث، و أجحف ببني كلاب، فأجمع رأى وثّاب و شيبب ابني محمود، و خلف ابن ملاعب الأشهبى صاحب حمص (٢)، و أبى الحسن بن منقذ، و منصور بن الدّوح على مكاتبه الملك تاج الدّوله بدمشق، و شكوا أحوالهم، و عرضوا عليه خدمتهم، و أطمعوه فى الشّام.

فسار من دمشق إلى الشام و قصد ناحيه أنطاكيه و أقام عليها مدّه، و اتّصل به خبر شرف الدّوله و ما هو عليه من الجمع و التّأهب، و اجتماع

١- له ترجمه فى بغيه الطلب ص ٤١٤٦-٤١٥٠، و كان شاعرا مجيدا، بينه و بين الأمراء بنى منقذ موده و اختلاط.

٢- شغل خلف بن ملاعب دورا هاما فى أحداث هذه المرحله، و فى أثناء نشاطات الحمله الصليبيه الأولى، له ترجمه فى بغيه الطلب، كنت قد نشرتها فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٣٨٠-٣٨٥.

العرب إليه من بنى نمير، وعقيل، والأكراد، والمولده، و بنى شيان، للنزول على دمشق، والمضايقه لها و الطمع فى تملك دمشق؛ فعاد تاج الدوله إلى دمشق. و خرج عسكر مع بعض أصحاب شرف الدوله إلى أعمالها، و رتبوا ولاتهم فيها و ساروا إلى حماه، و بها وثاب بن محمود، فلقى عسكر شرف الدوله و كبسه و قتل منه جماعه، و عاد من سلم منهم إلى حلب.

فنزل و ثاب بن محمود و منصور بن كامل بن الدوح و ابن ملاعب و ابن منقذ على معزّه النعمان، و قطعوا كثيرا من شجرها، و رعوا زرعها بالظعون، و قلبوه بالفدن، و قاتلوها أياما، و لم يمكنهم أهلها من فتحها خوفا منهم.

و بلغ شرف الدوله ذلك كله، فسار و معه أكثر بنى كلاب و بنى نمير، و بعض بنى عقيل؛ و وصله بعض بنى طىء و كلب و عليم؛ و نزل فى بالس فى محرّم سنة ست و سبعين.

و سار إلى دمشق و حاصرها(١)، و قاتل دمشق فى بعض الأيام و خرج إليه عسكر دمشق، و حمل عليه حملة صادقه فانكشف عسكره و تضعع، و عاد كل فريق إلى مكانه.

و عاد عسكر دمشق بحمله أخرى، فانهزمت العرب، و ثبت شرف الدوله مكانه، و أشرف على الأسر، و تراجع إليه أصحابه؛ و كان قد ظنّ أنّ

---

١- عالجت مسأله حصار دمشق من قبل مسلم بن قريش فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٨٨ - ١٩١.

العسكر المصرى ينجده فخاف أمير الجيوش من ميل العرب إليه فتناقل عنه.

و ورد عليه من حرّان خبر أزعجه؛ وذلك أنّه كان قد تسلّمها من يحيى بن الشّاطر أحد عبيد ابن وثّاب النّميرى، و كان يليها لعلّى بن وثّاب الطفل، و كان وثّاب يعدل فيهم و يرفق بهم، فولّى فيها جعفر العقيلي، فعدل عمّا كان وثّاب يسلكه من العدل، و أظهر مذهب التشييع و الاعلان به؛ و كان يتولى الحكم بها القاضى ابن جلبه، فاتّفق مع أهل حرّان على العصيان على شرف الدّولة، و كاتبوا يحيى بن الشّاطر الّذى تسلّمها منه مسلم، فوصل إليهم و معه ابن عطيه النّميرى و جماعه، و وثبوا على أصحاب شرف الدّولة فهربوا إلى الحصن، و قاتلهم ابن جلبه و من انضم إليه.

فسيرّ الوالى جماعه إلى شرف الدّولة يعلمه بالحال، فبعضهم أخذ بالقرب من حرّان، و بعضهم أخذه أصحاب تاج الدّولة؛ فعرف تاج الدّولة الخبر قبل معرفه شرف الدوله فقويت نفسه.

و عرف شرف الدّولة ذلك و استضر عسكره بتواصل الغارات عليه عندما قويت نفس تاج الدّولة، و كان ذا مكر و خديعه، فرحل إلى مرج الصّفر(١)، و أوهم أنه يسير مقتبلا لأمر عزم عليه، و قلق أهل دمشق لذلك.

ثم رحل مشرّقا فى البرّيه على وادى بنى حصين و نزل شرقيّ حماه، و راسل ابن ملاعب، و طيّب نفسه إلى أن نزل فخلع عليه؛ و قرّر معه أن يكون بينه و بين تاج الدّولة رداء يمنع من الأذيه فى بلاده، فأجابه إلى ذلك؛

---

١- إلى الجنوب من دمشق فيما بين خان ذى النون و قريه شقحب.

و خلع عليه شرف الدوله و أكرمه و طيب نفسه.

و سار شرف الدوله إلى حرّان بعد أن أشرف الحصن على الأخذ، فقاتل حرّان، و نقب نقوبا في سورها و ثلم ثلمتين، و أقام عليها شهرين؛ و مضى أبو بكر ابن القاضي ابن جلبيه و يحيى بن الشاطر.

و استنجدا بجماعه من الأتراك فسير ابن عمّه ثروان بن وهيب فكسرهم و أسر منهم خلقا عبر بهم على حرّان و سيرهم إلى بلاده. و هجم حرّان بالسيف من الثلمتين و هم يقاتلون و لم تسكن الحرب حتى أعطى لؤلؤ الخادم الأمان، و أمن أبا بكر ابن القاضي و كان قد عاد إلى البلد، فحينئذ تفرّق الناس.

و نهب عسكر شرف الدوله البلد، و قطع عليهم ألف دينار، و قبض على خلق منهم، و قتل ابن جلبيه و ولديه و ثلاثه و تسعين رجلا صبورا، و صلبهم، و صلب ابن جلبيه أمامهم، و لم يف له بعهد، و ذلك كله في سنه ستّ و سبعين (١).

و وصل ابن جهير (٢) وزير القائم ليتسلم ديار بكر و معه عسكر من ملك شاه- و كان ابن جهير قد وزر مرّه لثمال بن صالح، ثمّ وزر لابن مروان، ثمّ للقائم- فوصل ابن مروان إلى شرف الدوله، و استنجده عليه فأنجده، فالتقوا

١- مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٩١-١٩٢.

٢- درست حياه فخر الدوله محمد بن محمد بن جهير و نشاطاته في الجزيره في كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٩٣-١٩٤.

على آمد، فكسرهم ابن جهير، و أخذ أموال شرف الدّولة، و أسر أصحابه، و أطلق من أسر من بنى عقيل.

ثم إن ابن جهير بثّ سراياه فى أعمال شرف الدّولة فعاثت فى بلاده، و نهبت؛ و ذلك فى سنه سبع و سبعين.

و وصله (١) مال من حلب فتقوى به؛ و سار إلى الرّحبه و سيّر عمه مقبل بن بدران (٢) رسولا إلى مصر يطلب معونتهم، و يبذل لهم الطاعه، و كاتب السلطان ملك شاه يذكّره بخدمته و طاعته و يذكر ما فعله ابن جهير.

فلما عرف ملك شاه ذلك و انفاذه عمّه إلى مصر سار إلى الموصل و معه نظام الملك- و كان نظام الملك يميل إلى شرف الدّولة، و يشير بالإحسان إليه و الصّفح عنه- و كاتب الوزير نظام الملك شرف الدّولة يشير عليه بالوفود على السلطان، و وعده بما طابت به نفسه، فسار من الرّحبه إليه، و لقيه نظام الملك على مراحل من الموصل.

فترجّل شرف الدّولة و قبّل يده؛ و كان فى محفّه لمرض منعه من الرّكوب، فأمره بالرّكوب، و قال له: «ذهب خوفك و شرح صدرك، و حقّق أملك». و كان قد استصحب معه كلّ ما قدر عليه من بقايا ذخائره و أمواله و خيله عقيب هذه النّكبه العظيمة (٣).

١- النكبه العظيمة هى أن مسلم بن قريش هزم من قبل ابن جهير هزيمه ساحقه، و هرب مسلم و التجأ إلى آمد، مما جعل ابن جهير يسرع باستدعاء السلطان ملكشاه، فسارع بالتحرك نحو الجزيره، لكن ابن قريش تدبر أمره مع أرتق قائد قوات ابن جهير، و خرج ناجيا بحياته من آمد، مما غير موازين القوى مجددا. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٩٤-١٩٥.

٢- الضمير عائد هنا إلى مسلم بن قريش.

٣- النكبه العظيمة هى أن مسلم بن قريش هزم من قبل ابن جهير هزيمه ساحقه، و هرب مسلم و التجأ إلى آمد، مما جعل ابن جهير يسرع باستدعاء السلطان ملكشاه، فسارع بالتحرك نحو الجزيره، لكن ابن قريش تدبر أمره مع أرتق قائد قوات ابن جهير، و خرج ناجيا بحياته من آمد، مما غير موازين القوى مجددا. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٩٤-١٩٥.

و دخل على السِّلطان فأكرمه و أحسن إليه، و أجابه إلى كلِّ ما طلبه؛ و سامحه بما كان بقى عليه من مقاطعه الشَّام؛ و جدَّد له التَّوقيع بالبلاد الشَّاميه و الجزريه و كلِّ ما كان فى يده؛ و قرَّر معه مسير ولده محمد و ان يكون فى عسكره، و كاتب أخاه تاج الدَّوله أن لا- يعرض لبلاده، و كان قد توَّجه إليها، و سار أبو العزَّابن صدقه إلى حلب لانجادهها عليه، و بلغه خروج عسكر من مصر فرجع من لطمين.

و فى سنه سبع و سبعين و أربعمائه، شرع سليمان بن قطلمش فى العمل على أنطاكيه و الاجتهاد فى أخذها إلى أن تمَّ له ما أراد.

فأسرى من نيقية فى عسكره، و عبر الدَّروب و أوهم أن الفلاردوس استدعاه، و أسرع السَّير إلى أن وصل أنطاكيه ليلا، فقتل أهل ضيعه تعرف بالعمرائيه جميعهم لئلا يندروا به، و علقوا حبالا فى شرفات السَّور بالزَّماح، و طلعا مما يلي باب فارس؛ و حين صار منهم على السَّور جماعه نزلوا إلى باب فارس و فتحوه.

و دخل هو و عسكره من الباب و أغلقوه، و كانوا مائتين و ثمانين رجلا، و ذلك يوم الأحد العاشر من شعبان؛ و قيل يوم الجمعه الثامن، و لم يشعر بهم أهل البلد إلى الصَّبَّاح.

و صاح الأتراك صيحه واحده فتوهم أهل أنطاكية أنه عسكر الفلاردوس حتى قاتلوهم فانهزموا و علموا أن البلد قد هجم فبعضهم هرب إلى القلعه و بعضهم رمى بنفسه من السور فنجا.

و استقلّ سليمان عسكره فوصل إليه ابن منجك في ثلاثمائه فارس، و لم يزل عسكره يتواصل حتى قوى، فأمن الناس و ردّهم إلى دورهم، و ردّ أكثر السبي، و صلّى المسلمون يوم الجمعة خامس عشر شعبان في القسيان(١)، و أذن فيه ذلك اليوم مائه و عشره من المؤذنين و خلق كثير من أهل الشّام.

و كان يوم فتحها أوّل يوم من كانون الأول؛ و كان فتح الرّوم لها أول ليله من كانون الثاني لثلاث عشره ليله خلت من ذى الحجه من سنه ثمان و خمسين و ثلاثمائه.

و وجد خطّ بعض المنجمين و هو ابن أخت الصّابى على ظهر كتاب عند القاضي أبى الفضل بن أبى جراده يقول: «ذكر المخبر عن أخذ مدينه أنطاكية أنّ دخول العدو- يعنى الرّوم- إليها في وقت كذا و كذا من اللّيل؛ فان صحّ قول المخبر فإنها تثبت في أيدي الرّوم مائه و تسع عشره سنه».

و كان قد وقف على هذا الخطّ محمود بن نصر بن صالح؛ و قد ذكر في مجلسه، و أظنّ ذلك حين نزل الأفشين التركي على أنطاكية، و خاف محمود من أن يملك أنطاكية فلم يتفق فتحها حينئذ، و كان الأمر كما ذكر المنجم، ففتحها سليمان بن قطلمش عند تمام المدّه.

---

١- القسيان: كاتدرائيّه أنطاكيّه.



و أقام سليمان بن قطلمش يحاصر قلعه أنطاكيه إلى الثاني عشر من شهر رمضان من السنه و فتحها بالأمان ليقبها من القتل و السبي، و نهب الترك من أنطاكيه ما يفوت الاحصاء و يزيد عن الوصف.

و سكنها سليمان بعسكره و فتح الحصون المجاوره لها، بعضها عن طوع و بعضها عن استدراج.

و صار لسليمان من نيقيه إلى طرابلس، و ملك الثغور الشاميه، و كان حسن السيره في جنده و عسكره جوادا بماله، فمال إليه الناس لذلك. و لما فتح أنطاكيه أهدي إلى شرف الدوله من الغنيمه هديه حسنه.

و لما استقر حال شرف الدوله مع ملك شاه و اطمأن عاد إلى القادسيه، و ناصف الجند في أرزاقهم، و نقصها عليهم، فصار أكثرهم إلى سليمان، و تركوه فأقطعهم؛ و أحسن إليهم و سبب لهم أرزاقا تكفيهم.

و كان جماعه من أصحاب بني مرداس يخافون شرف الدوله و هم متفرقون في الشام فصاروا إليه.

و كان من ضياع أنطاكيه و أعمالها مواضع عده تغلب محمود و الأتراك عليها، و قبضوها من الروم لضعفهم، و صارت في أعمال حلب، فقبضها سليمان و أقطعها و غيرها مما يجاور أعمال أنطاكيه.

و كان الشريف حسن الحيتي رئيس حلب و غيره من أصحاب شرف الدوله خافوا منه لما استقر حاله مع السلطان أن يتم له الصلح مع ابن

قطلمش فيتفرغ لهم و يقبضهم، و يستأصل أموالهم؛ فتوصلوا إلى المفاسده بينهما بمن صار في حلتته من أهل الشام ليشغل عنهم شرف الدولة.

و كان لأبي المكارم قطيعه على أنطاكيه يحملها الروم إليه فطمع بها من سليمان فلم يجبه إلى ذلك و قال: «تلك جزية كانت على الروم لتمسك عن جهادهم، و قد قمت أنا بفريضه الجهاد، و صارت أنطاكيه للمسلمين فكيف أؤدى عنها إليك جزية؟». ففسد ما بينهما لذلك.

و سار شبيب بن محمود و منصور بن الدوح و جماعه من بنى كلاب إلى أنطاكيه، و حضروا عند سليمان، و وعدهم و وعدوه بما لم يقبح من بعضهم لبعض؛ و أخذوا قطعه من عسكره؛ و خرجوا فعاثوا في بلاد شرف الدولة، ثم إنهم خافوا منه فهربوا إلى أسفونا.

و تواصلت غاراته على بلد حلب و سرمين و بزاعا و قبض شرف الدولة على وزيره أبي العز بن صدقه و صادره و حبسه، و سير ابن الحلزون إلى حلب ليدبر أمرها؛ فوصل إلى حلب، و راسل سليمان في الصلح.

و قبض على علي بن قريش بأمر أخيه شرف الدولة، و صادره على عشرة آلاف دينار، و أخذ منه منبج لأنها كانت أقطاعه، فعند ذلك ازدادت وحشه الشريف و غيره لما شاهدوه من فعله بأخيه. و كذا كانت سيرته في أصحابه.

و بهذا الطريق فسد حاله؛ و أما رعيتته فكانوا معه على أجمل حال و أحسنه.

و حيث تحققت شرف الدولة اختلال حلب و نواحيها بغارات سليمان جمع

عسكره و انضاف إليه بعض الأتراك، و وصل إلى عزاز في صفر من سنه ثمان و سبعين و أربعمائنه.

و أشير عليه بالتزول على حلب و مراسله سليمان في الصّيلح، فامتنع و استدعى بنى كلاب فوصله منهم جماعه من أعيانهم و فرسانهم، و سار فنزل على نهر عفرين بموضع يقال له قرزاحل(١).

و وصل سليمان من أنطاكيه في أربعه آلاف فارس، و كان شرف الدّوله في عدّه تزيد عن سته آلاف ليس فيهم مناصح؛ و جاء شرف الدّوله بطيخ فنزل هو و بعض بنى عمه و أكلوا، فقال ابن عمه:

كلوا أكله من عاش يخبر أهله و من مات يلقي الله و هو بطين

فقال شرف الدّوله: «قتلنا فألك يا بن العم».

و التقوا في آخر نهار السّبت، لستّ بقين من صفر سنه ثمان و سبعين و أربعمائنه، و الشّمس في وجوه عسكر شرف الدّوله؛ و كان اللقاء بغته في غير وقت يظن فيه؛ فانهزم عسكر شرف الدّوله، و جاءته طعنه فقتل(٢). و لما طعن قال: «يا شام الشّوم» و أتتهم بعض أصحابه بقتله. و كان القتل بين الفريقين قليلا لأن أصحاب شرف الدّوله لم يثبتوا معه لقبح رأيهم فيه. و رحل سليمان

١- اسمها الآن قرزاحل، و هي قريه بجبل سمعان، تتبع منطقه عفرين، محافظه حلب، و تبعد عن عفرين ٧ كم، و هي إلى الجنوب الشرقي منها.

٢- ثبت مع مسلم في القتال أحداث حلب فقط، و كانوا ستمائنه، فقد أربعمائنه منهم حياتهم، و هم يحاولون تغطيه انسحاب ابن قريش. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ١٩٩-٢٠١.

و نزل بظاهر حلب، و حمل شرف الدّوله، و طرحه على باب حلب فدفن هناك.

و انفرد الشريف أبو على الحسن بن هبه الله الهاشمى المعروف بالحتيتى بتدبير حلب و سالم بن مالك العقيلى بالقلعه(١).

و كان القاضى بحلب فى أيام شرف الدّوله القاضى كسرى بن عبد الكريم بن كسرى و تولى قضاء حلب فى سنه اثنتين و أربعين و أربعمائه و مات فى أيام أبى المكارم مسلم بن قريش؛ فولى قضاءها أبو الفضل هبه الله بن أحمد بن أبى جراده- و هو ابن بنت كسرى المذكور، و ابن القاضى أبى الحسن المتقدم قبل كسرى- و كان أبو المكارم شرف الدّوله يخاطبه بابن العمّ لكونه عقيليا؛ و القاضى عقيلى. و من شعر أبى المكارم بن قريش:

إذا قرعت رجلى الرّكاب تزعزت لها الشّم و اهتزّ الصعيد إلى مصر

و من شعره أيضا:

الدّهر يومان ذا أمن و ذا خطرو الماء صنفان ذا صاف و ذا كدر(٢)

و أما سليمان بن قطلمش فإنّه حاصر حلب مدّه، ثم تردّدت الرّسل إلى أهل حلب فى التّسليم، فاستقرّت الحال بينهم على مواعده مدّه.

و سيّر سليمان بن قطلمش قطعه من عسكره لاتباع العرب الذين كانوا

---

١- لسالم بن مالك ترجمه فى بغيه الطلب كنت قد نشرتها فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٤٠٥-٤٠٧، و هو مؤسس حكم الأسره العقيليه فى قلعه جعبر.  
٢- بهامش الأصل: بلغ مقابله بخط المؤلف رحمه الله.

مع شرف الدّوله، فهربوا، و لحقهم شدّه عظيمه من دخول البريه في حزيان.

و توجه سليمان إلى معرّه النعمان و كفر طاب، و تسلّمهما، ثمّ سار إلى شيزر، فقاتلها و قرّر أمرها على مال يحمل إليه، و أخذ لطمين، و شحنها بالرّجال، و عدل أصحابه بالشام عما عرف من سيره العرب.

و جرت بالمعزّه أسباب و صل لأجلها حسن بن طاهر وزير سليمان، في النصف من جمادى الأولى، يطلب أصحابه فثارت فتنه بالبلد، و أخرجوه منه فخرج لوقته، و أصبح قاتل البلد، و قتل جماعه من أهله في الحرب، و أمن الناحيه الغربيه، و أمن الباقي منها و قطع على أهل البلد عشره آلاف دينار.

و أما بلاد شرف الدّوله فملكها من بعده أخوه إبراهيم، ما خلا حلب؛ و كاتب من بحلب في تسليمها إليه فلم يجيبوه.

و أما الشّريف حسن الحتيتي فإنّه كان متقدم الأحداث و رئيسهم، فعمر لنفسه في صفر من سنه ثمان و سبعين قلعه الشّريف المنسوبه إليه، و بنى عليها سورا دائرا، و فصل بينها و بين المدينه بسور و خندق خوفا على نفسه أن يسلمه أهل حلب، و كانوا يبغضونه، و يكرهون ولايته عليهم.

و اتفق الشّريف و سالم بن مالك صاحب القلعه الكبيره على أن كاتبا السلطان ملكشاه يبذلان له تسليم حلب إليه، و يحثّانه على الوصول أو وصول نجده تدفع سليمان بن قطلمش.

و عمر سليمان بن قظلمش قلعه قنسرين و تحول إليها و تزوج منيعه بنت محمود بن صالح زوجه مسلم بن قريش.

و نزل على حلب و طال انتظار الشريف حسن لنجده تصله من السلطان، فاجتمع بمبارك بن شبل أمير بني كلاب، و اتفقا على أن سار مبارك بن شبل إلى تاج الدولة تتش يستدعيه إلى حلب ليتسلمها.

و عرفه ما استقر بينه و بين الشريف الحيتي عن تسليمه حلب، و رغبه الكافه في مملكته، ففرج بذلك و جمع العسكر، و خرج من دمشق في المحرم من سنه تسع و سبعين و أربعمائه إلى حلب، فحصر حصن سليمان بن قظلمش في قنسرين.

و وصل إلى تاج الدولة جماعه من بني كلاب، و رحل إلى الناعوره و عول على مراسله الشريف حسن فان سلم إليه و إلا عاد لحربه، فبادر سليمان و هو نازل في عسكره على حلب، و عارضه في طريقه على عين سيلم(١)، و تراءى العسكران، فدبر ارتق عسكر تاج الدولة أحسن تدبير، و التقوا فانهزم عسكر سليمان.

و قتل سليمان، و أسر وزيره الحسن بن طاهر و خلق من عسكره في يوم الأربعاء الثامن عشر من صفر، فأطلق تاج الدولة الوزير و من أسر، و غنم عسكره و العرب الذين معه جميع ما كان في العسكر.

---

١- بينها و بين حلب ثلاثه أميال. معجم البلدان.

و اختلف فى قتل سليمان، ف قيل: عارضه فارس من فرسان تاج الدوله فرماه فى صدغه بسهم فقتله.

و قيل: بأنه لما يئس من النصره نزل عن فرسه، و قتل نفسه بسكين خففه، و قيل: إن المصامده تتبعت أسلاب القتلى فظفروا بدرع مرّصع بالياقوت و العقيان النفيس.

و نمى الخبر إلى تاج الدوله، فأحضره فقال: «هذا يشبه سلب الملوک»، و سار إلى الموضع و إذا به مختلط بدمه فقال: «يشبه أن يكون هذا». و قد كان قال لهم: «لا تبينوه لى حتى أريكموه من بين القتلى»، ف قيل له: «و من أين علمت ذلك؟» فقال: «قدمه تشبه قدمى و أقدام بنى سلجوق تشابه».

ثم قال بلسانه: «ظلمناكم، و أبعدناكم و نفتلكم!» ثم مسح عينيه و اغتمّ لقتله، و ترحم عليه، و أحضر أكفانا نفيسه فكفّنه، و صلّى عليه، و حمّله إلى حلب فدفنه إلى جانب مسلم بن قريش قبل أن ينقل مسلم إلى سرّ من رأى، و قيل: دفن معه فى قبر واحد.

و لما جرى ما جرى من قتل سليمان و سار تاج الدوله إلى حلب عدل الشّريف حسن الحتيتى عما كان اتّفق عليه مع مبارك بن شبل، و امتنع من تسليم حلب إلى تاج الدوله، و احتجّ بأنّ كتب ملكشاه وصلته بتجهيز العساكر إليه.

فأقطع تاج الدّوله بلد حلب و أعمالها لعسكره إلّا ما كان لبعض العرب الّذين وفدوا عليه، فأنّه أقرّه في أيديهم؛ ثم رحل إلى مرج دابق(١) و أقام أيّاماً.

ثم عاد و نازل حلب؛ فعمد رجل من تجار حلب يعرف بابن البرعوني الحلبيّ، و راسل تاج الدّوله في تسليم حلب إليه، و رفع بعض أصحابه بحبال إلى بعض أبراج السور، و ساعده قوم من الأحداث و نادوا بشعار تاج الدّوله في ذلك الموضع، و تسامع الناس فنادوا بشعاره في البلد جميعه، و ذلك في ليله السّبت السّادس و العشرين من شهر ربيع الأوّل من السنه.

فانهزم هبه اللّه أبو الشريف حسن من قلعه ابنه إلى القلعه الكبيره إلى سالم بن مالك(٢)، و بقي الشّريف حسن في قلعه المجدّده، و معه فيها رجال من أحداث حلب، فخافوا على أهلهم بحلب، فخرجوا منها و بقي الشريف حسن في قلعه في نفر قليل، فطلب الأمان فأمنه تاج الدّوله بوساطه ظهير الدّين أرتق.

و خرج إلى أرتق و صار عنده بماله و أهله، و سلّم القلعه إلى تاج الدّوله تتش، و سيّره أرتق إلى بيت المقدس بماله فأقام به.

و عصى سالم بن مالك بالقلعه الكبيره، و كان شرف الدّوله بن قريش

١- دابق قريه قرب حلب من أعمال عزاز بينها و بين حلب أربعة فراسخ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان، و به قبر سليمان بن عبد الملك. معجم البلدان.

٢- انظر ترجمه سالم في بغيه الطلب ص ٤١٥٧-٤١٥٩. و كنت قد نشرتها في ملاحق كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٤٠٥-٤٠٧.



لما ولّاه فيها أوصاه أن لا يسلمها إلّا إلى السلطان ملكشاه، فالترم بوصيته، و امتنع أن يسلمها إلى تتش.

و أقام تتش بمدينه حلب إلى اليوم السابع و العشرين من شهر ربيع الآخر، و أحسن إلى أهلها، و خلع على أحداثها، فوصله الخبر أنّ السلطان ملكشاه وصلت عساكره إلى نهر الجوز(١) قاصدين مدينه حلب، فسار تاج الدوله إلى دمشق، و ترك بعض أصحابه بقلعه الشريف و معه عدّه في اليوم المذكور، و معه قوم من بياض حلب، فأقام نائبه أياما يسيره، ثم سار و لحقه في دمشق.

و وصلت عساكر ملكشاه حلب مع برسق و بوزان و غيرهم، و نزل بعضهم إلى بلد الرّوم، و امتدوا فيما بينها و بين أنطاكيه؛ و وصل بعضهم إلى حلب، و سارع أهل حلب و سالم بن مالك و مبارك بن شبل إلى طاعه الواصل و خدمته.

ثم إنّ السلطان وصل بعدهم إلى الرّها فسلمها إليه الفلاردوس(٢) و أسلم على يده، و سار منها إلى قلعه دوسر- و هي المعروفه بجعبر- فتسلمها في طريقه من جعبر بن سابق القشيري، و قتله لما بلغه عنه من الفساد و قطع الطريق.

١- نهر الجوز جزء من نهر الفرات كان يعبر منه نحو الغرب. انظر بغية الطلب ص ١٩٧٤.

٢- هو فيلاترتيوس براخاموس، كان بالأصل أرمنيا من قاده الإمبراطور رومانوس دايجينس، انظر كتاب «الرّها المدينه المباركه» ترجمه عربيّه، ط. حلب ١٩٨٨ ص ٢٧٣.

و سار حتّى وصل حلب فى الثالث و العشرين من شعبان من سنه تسع و سبعين و أربعمائنه.

و تسلّم حلب و قلعتها و سائر قلاع الشّام، و عوّض سالم بن مالك عن قلعه حلب بقلعه دوسر، و أقطعته معها الرّقه و عدّه ضياع.

و توجّه السّليطان إلى أنطاكيه فتسلّمها من الحسن بن طاهر وزير سليمان بن قطلمش، و رتب بأنطاكيه يحيى سيان بن ألب فى عسكر و استخدم حسن بن طاهر فى ديوانها، و تمّ إلى السّويديّه (١)، و صلّى على البحر، و حمد الله على ما أنعم عليه ممّا تملكه من بحر المشرق إلى بحر المغرب.

و عاد إلى حلب، و رتب بها الأمير قسيم الدّوله أقسنقر (٢) و معه عسكر، و استخدم بها تاج الرّؤساء ابن الخلال فى جمع الأموال.

و وصل إليه الشّريف حسن الحيتى و هو بحلب يلتمس العوده إلى حلب، و يذكر خدمته و ما جرى عليه، فتظلم منه أهل حلب فلم يأذن له السّليطان فيما التمسه.

و كان هذا السّليطان من أعظم الناس هيبه و أكثر الملوك عدلا حتى أنّ أحدا لا يقول: إنّ أحدا من ذلك العالم العظيم من عسكره- و حزره أربعمائنه

١- ميناء مدينه أنطاكيه على شاطىء البحر المتوسط.

٢- انظر ترجمته المنتزعه من بغيه الطلب فى ملاحق مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٢٦٩-٢٧٧.

ألف- أخذ لأحد من الرعايا قسرا و ظلما ما يساوى درهما واحدا؛ حتى أنّ البازيار العذى له اقتنص طائرين من الدجاج من الأثارب (١) طعما للبزاه فى الطريق، فعلم بذلك فعظم عليه حين رآه و هدّده حتى أعادها إلى صاحبها بعد عوده من أنطاكية.

و خرج هذا السلطان إلى ضياع معزّه النعمان يتصيد، و بات بضيعه بينه و بين المعزّه ثلاثه فراسخ، فابتاع منها أصحابه ما احتاجوه بأوفى ثمن؛ و وضع السلطان فى هذه السنه المكوس من جميع بلاده، و لم يبق من يستخرج مكسا فى مملكته.

و أقام السلطان بحلب إلى أن عيّد بها عيد الفطر، و عاد منكفئا إلى الجزيره، و قد قرّر ولايه حلب، و ولى بقلعتها نوحا التركى، و بلغه عصيان تكش (٢) بترمز فسار السلطان، و قطع ما بين حلب و نيسابور فى عشره أيام، و عاد منكفئا إلى الجزيره و قد قرّر ولايه حلب لتقسيم الدوله أفسنقر التركى فى سنه تسع و سبعين و أربعمائنه، و جعل معه أربعه آلاف فارس و مكّنه فيها.

و قيل إنّه مملوك لملكشاه، و قيل إنه لصيق و أنّ اسم أبيه أل ترغان، و ولى على جمع المال بحلب فى الديوان تاج الرؤساء أبا منصور بن الخلال

١- الأثارب قلعه معروفه بين حلب و أنطاكية، تبعد عن حلب ثلاثه فراسخ. معجم البلدان.

٢- هو أخو السلطان ملكشاه. انظر حول عصيانه الكامل لابن الأثير ط. القاهره مطبعه الإستقامه- ج ٨ ص ١٣٦.

الرحبى، و قال شاعر حلبى فيه و فى الوزير ابن النحاس:

قد زجر العيش على الناس ما بين «خلال» و «نحاس»

فأحسن قسيم الدولة فى حلب السيره و أجمل السياسه و أقام الهيئه، و أفنى قطاع الطريق، و تتبع الذغار فى كل موضع فاستأصل شأفتهم.

و عمرت حلب فى أيامه بسبب ذلك لورود التجار و الجلّابين إليها من كل مكان.

و حكى لى والدى- رحمه الله-: أنه استأصل أرباب الفساد إلى حدّ بلغ به أن نادى فى قرى حلب و ضياعها أن لا يغلق أحد باب، و أن يتركوا آلاتهم التى للحرث فى البقاع فى الليل و النهار.

فخرج متصيّدا فمرّ على فلاح و قد فرغ من عمله، و أخذ آله الحرث معه إلى منزله، فانفرد من عسكره، و قال له: «ألم تسمع مناداه قسيم الدولة بأن لا يرفع أحد من أهل القرى شيئا من آله الحرث؟» فقال: «بلى و الله- حفظ الله قسيم الدولة- و الله لقد أمّنا فى أيامه من كل ذاعر و مفسد، و ما رفعت هذا خوفا عليها ممّن يأخذها، و إنّما ههنا دويبه يقال لها ابن آوى إذا تركنا هذه العده ههنا جاءت و أكلت هذه الجلود التى عليها».

فلما عاد قسيم الدولة أمر بالصيادين و بثّهم فى أقطار بلد حلب لصيد بنات آوى حتى أفنوها من ضواحي حلب، و كان ذلك سببا لقلّتها فى بلد حلب إلى يومنا هذا، دون غيرها من البلاد.

و فى أيام قسيم الدوله جدد عماره مناره حلب الموجوده فى زماننا هذا، و جددت فى سنه اثنتين و ثمانين و أربعمائه.

و جرى خلف بين لطمين (١) و بين نصر بن على بن منقذ فى سنه إحدى و ثمانين، فخرج أقسنقر إلى شيزر، و قتل من أهلها مائه و ثلاثين رجلا، و عاد إلى حلب بعد أن نهب ربضها، و استقرت المواعده بينه و بين نصر صاحب شيزر.

و كان أقسنقر قد تزوج خاتون دايه السلطان ملكشاه (٢) و كانت جالسه معه فى بعض الأيام فى داره بحلب، و فى يده سكين فأوما بها إليها على سبيل المداعبه و المزاح، فوقع فى قلبها للقضاء المحتوم غير متعمد لها؛ فماتت و حزن عليها حزنا شديدا؛ و تأسف لفقدها، و حملها فى تابوت لتدفن فى مقابر لها بالشرق؛ و خرج من حلب لتوديع تابوتها فى مستهل جمادى الآخرة.

و تسلّم أقسنقر حصن (٣) برزويه، فى شعبان سنه اثنتين و ثمانين و أربعمائه، من الأرمن - و هو آخر ما كان قد بقى فى أيدي الكفار من أعمال أنطاكيه - و أقام فى يده تسعه أشهر، و هدمه فى ربيع الأول من سنه ثلاث و ثمانين.

١- تتبع قريه لطمين ناحيه محرده فى محافظه حماه و تبعد عن حماه مسافه ٣٦ كم.

٢- فى ترجمه أقسنقر - مدخل ص ٢٦٩: «دايه السلطان ادريس بن طغان شاه، و حظى عند السلطان ملكشاه».

٣- حصن قرب السواحل الشاميه على سن جبل شاهق. معجم البلدان.

و كتب ولاء الشام إلى السلطان ملكشاه يشكون ما يلقونه من خلف بن ملاعب بحمص من قطع الطريق و إخافه السبيل، فكتب إلى قسيم الدولة و يغى سيات و بوزان صاحب الزها، فساروا في عساكرهم، فحاصروها و ضايقوها ففتحوها؛ و أعطاهما السلطان تاج الدولة تتش.

و نزل قسيم الدولة على أفاميه، فأخذها من خلف بن ملاعب و سلمها إلى نصر بن منقذ.

ثم إن السلطان أمر بحمل ابن ملاعب في قفص حديد إلى أصبهان، فحبسه إلى أن مات ملكشاه؛ و توجه إلى مصر و عاد إلى الشام، و احتال حتى ملك أفاميه بالحيله بعد ذلك.

و لما فتحت حمص تسلمها قسيم الدولة إلى أن ورد عليه أمر السلطان بتسليمها إلى تتش(١).

و مات السلطان ملكشاه ببغداد في الليله السادسه عشر من شوال سنه خمس و ثمانين و أربعمائه، و كان أقسنقر قد خرج و افدا عليه، فلما بلغه الخبر عاد إلى حلب، و خطب لابنه محمود مدّه يسيره، ثم إنّه خطب بعد ذلك لتاج الدولة تتش - على ما يذكر-(٢).

---

١- لخلف بن ملاعب ترجمه مفیده المعلومات في كتاب بغية الطلب، سلف و نشرتها في ملاحق كتاب مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٣٨٠-٣٨٥.

٢- انظر تفاصيل هذا الموضوع في كتابي مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٢٢١-٢٢٨.

و لما عاد إلى حلب قبض على شبل بن جامع أمير بنى كلاب و على ولده مبارك، و اعتقلهما بالقلعه، و راسل تاج الدوله قسيم الدوله و يغى سيان و بوزان و جذبهم إلى طاعته، و الكون فى جملته ليسيروا معه إلى بلاد أخيه ليفتحها، و يأخذ المملكه فأجابوا إلى ذلك، و خطبوا له فى أعمالهم.

فسار فى أول سنه ستّ و ثمانين، و سار إليه قسيم الدوله و يغى سيان و بوزان، و وثق به أق سنقر، و فتح تاج الدوله الرّحبه و نصيبين، فجمع ابراهيم بن قريش و تأهب للقاء تاج الدوله.

و التقى العسكران على دارا(١)، و عاد كلّ فريق إلى موضعه، فركب الأمير قسيم الدوله فى خلق من العسكر، و حمل حتى توسط عسكر ابراهيم فلم يثبت العرب، و تبعه باقى العسكر، فقتل منهم ما يقارب عشره آلاف.

و أسر ابراهيم بن قريش و عمه مقبل و غيرهم. فقتلهم تاج الدوله صبّرا و سببت الحرم، و قتل جماعه من نساء العرب نفوسهن.

و أمر تاج الدوله بعد ذلك بجمع الأسرى و وهبهم من محمّد بن شرف الدوله- و كان قد صار فى جملته قبل الحرب- و أقطعه نصيبين(٢).

و عظمت هيبة تاج الدوله بعد هذه الوقعه، و راسلته زوجته أخيه تحته

١- دارا بلد فى لحف جبل بين نصيبين و ماردين. معجم البلدان.

٢- لمزيد من التفاصيل، أنظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٢٢٢-٢٢٣.

على الوصول؛ و استقرّ الحال على أن تتزوَّجه؛ فسار عند ذلك بعد أن تسلّم من ابن جهير آمد و جزيره ابن عمر، حتى وصل إلى تبريز، ففسخ عنه قسيم الدّوله أقر سنقر صاحب حلب و عماد الدّوله بوزان و سارا إلى بركيارق ليكونا في خدمته- و كان بالقرب من الرّي(١).

و كان سبب نفاق قسيم الدّوله و بوزان تقرب تاج الدّوله يغى سيان و ميله إليه؛ و قيل: لأنّه لم يولهما شيئاً من البلاد الّتي افتتحها، فرجع تاج الدّوله إلى ديار بكر، و شحنها بالزّجال، و سار منها إلى سروج فأخذها و ولى فيها بعض ثقاته.

و وصله الخبر بوصول أقر سنقر و بوزان إلى باب السلطان بركيارق، و إكرامه لهما، و أنّهما جدا خاله مستوليا على أمره، فقتلاه و بعض الأمراء.

فانبسطت يد بركيارق، و استقامت أحواله، و خاطبه أقر سنقر و بوزان أن يسير معهما إلى بلادهما حلب و الرّها و حرّان، لئلا يجرى عليهما حادث من تاج الدّوله عند عودته، و ضمنا له أن يكونا بينه و بين تاج الدّوله؛ فسار معهما إلى الرّحبه، و عقد بينهما و بين عليّ بن شرف الدّوله حلفا.

و سار عليّ بن قريش، و معه جماعه من بني عقيل و قطعه من عسكر السّيلطان بركيارق مع قسيم الدّوله؛ فأوصلوه إلى حلب، فدخلها في شوال من سنه ستّ و ثمانين و أربعمائنه.

---

١- الرّي الآن ضاحيه لمدينه طهران.



و سار بوزان إلى بلاده، و عاد من كان معهما إلى السلطان.

و أما تتش فإنه قطع الفرات و توجه إلى أنطاكيه، و أقام بها مع يغي سيان مدّه، فغلت بها الأسعار، فسار إلى دمشق في ذي القعدة من هذه السنه.

و كان وثّاب بن محمود مع نفر يسير من بني كلاب، فأنفذ أق سنقر بعد مسير تتش إلى دمشق من أحرق حصن أسفونا و حصن (١) القبّه، و قبض اقطاع و ثاب.

و في سنه سبع و ثمانين، قبض على الوزير أبي نصر محمّد بن الحسن بن النحاس بسعايه المجنّ بركات الفوعى به إلى قسيم الدّوله. و لم يزل به إلى أن أمره بخنقه، و هو معتقل عنده، فخنقه في هذه السنه.

و في شهر ربيع الأوّل من سنه سبع و ثمانين و أربعمائه، خرج تاج الدّوله تتش من دمشق، و معه خلق عظيم من العرب، و لقيه يغي سيان بعسكر أنطاكيه بالقرب من حماه و أقاموا هناك أياماً؛ و زوج ولده الملك رضوان من ابنه يغي سيان، و سيّره عائداً إلى دمشق.

و سار تاج الدّوله بعساكره فنزل تلمنس (٢)، و أقام بها أياماً، فوصله الخبر بوصول كربوقا صاحب الموصل و بوزان صاحب الرّها، و يوسف بن

١- قرب معره النعمان. معجم البلدان.

٢- تتبع تلمنس الآن منطقه معره النعمان في محافظه أدلب السوريه و تبعد عن المعره مسافه ٦ كم و عن أدلب ٤٥ كم.

أبق صاحب الرّحبه، فى ألفين و خمسمائه فارس إلى حلب، لنجده أّق سنقر، فعدل تاج الدّوله إلى الحانوته، و رحل إلى الثّاعوره، و عوّل على قصد الوادى(١)، و أن يسير منه إلى أعمال أنطاكيه؛ و أخذ العسكر دوابّ النقره و [أحرق] بعض زرعها(٢).

فخرج أّق سنقر و من وصله من النّجده و جماعه كثيره مع شبل بن جامع و مبارك بن شبل من بنى كلاب- و كان قد أطلقهما من الاعتقال فى هذه السنه- و محمّد بن زائده فى جماعته و جماعه من أحداث حلب و الديلم و الخراسانيه؛ و عدّه عسكره تزيد عن ستّه آلاف فارس و راجل، فى أحسن أهبه و أكمل عدّه.

و قصد عسكر الملك تاج الدّوله، يوم السبت تاسع جمادى الأولى من السّينه، و التقوا على «سبعين»(٣)، و كان أوّل من قطع السواقى التى كانت بين العسكرين و برز للحرب أّق سنقر، و ربّ مصاف عسكره.

و بقى عسكر بوزان و كربوقا لم يتمكن من قطع السواقى، فيختلطون بالعسكر، و لم يستنصح أّق سنقر العرب الذين معه؛ و خاف ميلهم إلى تاج الدّوله، و كان عسكر تاج الدّوله فى مثل هذه العدّه من العرب و الرّجاله،

١- وادى بزاعا. انظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٢٧٢.

٢- أضيف ما بين الحاصرتين من ترجمه آق سنقر. مدخل ص ٢٧٢.

٣- سبعين قرية قريه من حلب. معجم البلدان.

و كان التّرك معه في قلّه لأنّ أصحابه و خواصّه كانوا متفرقين في البلاد التي افتتحها.

و حمل عسكر تاج الدّوله على عسكر أقر سنقر فلم يثبت لحظه واحده، و انهزمت العرب و بوزان و كربوقا نحو حلب فدخلاها، و استأمن يوسف بن أبق إلى تاج الدّوله.

و أسر أقر سنقر و جماعه من خواصه و وزيره أبو القاسم بن بديع، و أحضر بين يدي تاج الدّوله أسيرا، فقتله صبّرا، و قال له تاج الدّوله: «لو ظفرت بي ما كنت صنعت؟» قال: «كنت أقتلك» فقال له: «فأنا أحكم عليك بما كنت تحكم عليّ» فقتله.

و حكى و ثاب بن محمود قال: «جلس تاج الدّوله، و طلب قسيم الدّوله، فأحضر مكشوف الرّأس، مكتوفا، فقام تاج الدّوله، و كلّمه كلاما كثيرا، فلم يردّ عليه جوابا، فضربه بيده أطار رأسه».

و حمل رأسه إلى حلب والى دمشق، و دفن جسده في القبه التي على سطح جبل قرينيا(١)، غربيّ المشهد الذي ابتناه بقرينيا؛ ثم نقله ابنه زنكي لما فتح حلب إلى مدرسه الزجّاجين(٢)، و وقف شامر- قريه من بلد حلب- على من يقرأ على قبره.

١- مشهد قائم بين حلب و قريه النيرب. الآثار الاسلاميه في حلب لأسعد طلس. ط. دمشق ١٩٥٦ ص ٢٤١.

٢- انظر حولها الآثار الاسلاميه ص ٩٠-٩١ ذلك أنها درست.

و اختار قسيم الدّولة وقتنا للخروج إلى اللّقاء، و هو وقت قران زحل للمريخ في برج الأسد- و هو طالع بيت السيّد لطان بحلب- و كان موقفنا بالظفر، فخرج و أمرهم أن يلحقوه بالجبال لكتافهم بها، و كان تاج الدّولة قد عزم على ما ذكرناه؛ و لم يكن مؤثرا لقاءه؛ فنصره الله تعالى كما شاء و أراد؛ لا راد لأمره، و لا معقب لحكمه، و لا تأثير لشيء في ملكوته.

و أسر شبيل بن جامع أمير بني كلاب فوهبه تاج الدّولة لابن أخيه وثّاب بن محمود.

و عوّل بوزان و كربوقا على الاعتصام بحلب، و انتظار النّجده من بركيارق؛ لأن كتاب الطّائر وصل إلى حلب يخبر بوصول النّجده إلى الموصل، و قرروا مع الأحداث ذلك.

فوصل تاج الدّولة بعسكره إلى حلب، و تحيّر أهلها فيما يفعلونه، فبادر قوم من الأحداث ممّن لا يعرف و لا يذكر ففتحوا باب أنطاكية.

و دخل وثّاب بن محمود في مقدّمه أصحاب تاج الدّولة إلى حلب، و سكن البلد، فنزل الوالي بقلعه الشّريف، و سلّمها إلى تاج الدّولة فدخلها، و بات بها، فراسله نوح والي القلعة الكبيره، و سلّمها إليه بعد أن توثّق منه، و طلع تاج الدّولة إليها في الحادي عشر من جمادى الأولى من السنه (١).

و قبض تاج الدوله على بوزان فضرب رقبتة صبوا، و أخذ كربوقا و اعتقله بحمص، و أقطع الشام لعسكره، و أقطع معزّه النعمان و اللادقيه ليغى سيان، و رتبّ أبا القاسم بن بديع وزيراً بحلب.

و أقام ثلاثه أيام ثمّ توجه فقطع الفرات، و تسلّم حرّان، و سار إلى الرّها فتسلّمها، و قيل: بأنّ واليها امتنع من تسليمها إلّا بعلامه من بوزان، و أنّ بوزان كان محبوساً بحلب، فأنفذ إليه من قطع رأسه و رماهم به، فسلموا الرّها إليه، و تسلّم ديار بكر.

و سار إلى ميافارقين فقتل بنى جهير بعد أن قطع رؤوس أولادهم و علّقها في رقابهم.

و عدل عن الموصل، و سار للقاء زوجه أخيه خاتون الجلاييه لإتمام ما كان استقرّ بينهما فماتت في الطريق.

و توجه تاج الدوله إلى الرّى، فوصله خلق كثير من التركمان و عساكر أخيه، و ملك كلّ بلده مرّ بها، و خطب له على منابر الإسلام: الشام و الفرات، و بغداد.

و عند وصوله إلى همذان كتب إلى ولده الملك رضوان يستدعيه من دمشق فتوجه إليه و معه بقيّه من تخلف من أصحابه بالشام.

و دخل تاج الدوله الرّى و ملكها في المحرم سنه ثمان و ثمانين و أربعمائه، و خرج بركيارق من أصبهان، و التقوا على خمسه فراسخ من

الزى فى يوم الأحد السّابع عشر من صفر، فانهزم عسكر تاج الدّوله تنش و استييح و نهب، و قتل ذلك اليوم تاج الدّوله و خواصّه فى الحرب.

و قتل تاج الدّوله بعض أصحاب قسيم الدّوله بعد أن اصطنعه و قرّبّه، ضربه بنشابه فى ترقوته اليسرى فوقع؛ و قطع رأسه و طيف به العسكر، ثمّ حمل إلى بغداد فطيف به، و تفرّق من سلم منهم إلى مواضعهم.

و وصل الخبر إلى ولده الملك رضوان، و هو نازل على الفرات بعانه (١) متوجّها إلى والده، فقلق و خاف من وصول من يطلبه فحطّ خيمه فى الحال (٢).

و رحل مجدّدًا حتّى وصل حلب فى جماعه من غلمانه و حاشيته؛ و ترك باقى عسكره من ورائه، فسلم وزير أبيه أبو القاسم بن بديع إليه المدينه و القلعه؛ و صعد إليها؛ و أخذوا الأهبه لمن يقصدها.

و وصل إليه إلى حلب من الفلّ أخوه أبو نصر دقاق (٣) و جناح الدّوله حسين (٤)، فاستولى جناح الدّوله على تدبير ملك الملك رضوان؛ و كان تاج

١- عانه بلد مشهور على الفرات بين الرقه و هيت يعد فى أعمال الجزيره. معجم البلدان.

٢- لرضوان ترجمه مطوله فى كتاب بغيه الطلب كنت قد نشرتها فى ملاحق كتابى - مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه - ص ٣٨٧-٣٩٦.

٣- لدقاق ترجمه فى تاريخ ابن عساكر، انظرها فى كتاب المدخل ص ٣٨٦.

٤- لجناح الدّوله حسين ترجمه فى بغيه الطلب كنت قد نشرتها فى ملاحق كتابى المدخل ص ٣٧٦-٣٧٩.

الدولة قد جعله مدبراً له، و هو أتابك في حياته، و جعل دقاق مع أتابك ظهير الدين.

ولما افتتح ديار بكر سلمها إلى ظهير الدين، و شمس الملوك دقاق معه، و لم يزل بها إلى أن سار إلى الرّي فسارا معه.

و عاد دقاق إلى حلب فأقام بها مدّة يسيره، و راسله الأمير ساوتكين الخادم- و كان نائب تاج الدولة بدمشق في حفظ القلعه و البلد- [و قرّر] لدقاق مملكه دمشق سرّاً، و خاف من أخيه رضوان(١)، فخرج من حلب و هرب إلى دمشق من غير أن يعلم به أحد. و جدّ في السّير، و تبعه رضوان، و أنفذ خلفه عدّه من الخيل فقاتهم، فدخل دمشق فسارع ساوتكين إلى طاعته، و صارت دمشق و بلادها بحكمه.

و قتل رضوان أخويه: أبا طالب و بهرام ابني تتش، و كان أتابك طغتكين معتقلا عند السلطان بركيارق، و قبض في الوقعه فطلبوا منه كربوقا و الجماعه المدين معه، و كانوا في يد رضوان فاتفق رأيهم أن يسيروا غضب الدولة أبق بن عبد الرزاق إلى رضوان لاستخلاص كربوقا.

و كان أبق أيضا من جمله من قبض عليه من الجماعه الذين كانوا مع تتش فخاطبوا السّيلطان في إطلاقه و تسييره فأجابهم إلى ذلك، و سيّره إلى حلب، فلما وصله أكرمه رضوان و أطلق كربوقا في شعبان و سيّره مكرما.

---

١- انظر لمزيد من التفاصيل ترجمه رضوان- المدخل ص ٣٩١-٣٩٥.

فأطلق بركيارق أتابك طغتكين<sup>(١)</sup> وجميع من كان في اعتقاله من خواصّ تاج الدّولة، و وصل دمشق فابتهج دفاق بوصوله و قويت نفسه؛ و ألقى تدبير أموره إليه، فقام فيها أحسن قيام.

فاستأذن غضب الدّولة الملك رضوان في الوصول إليه فأذن له، و قرّر معه قرب العوده إلى حلب و ترك اقطاعه بحلب على حاله، فوصل دمشق و اختار المقام بها، و كتب إلى أصحابه بعزاز يأمرهم بتسليمها إلى رضوان فسلموها.

ولما وصلت هذه الأخبار وثب أهل أفااميه على حصنها فأخذوه من الأتراك، و قتلوا بعضهم، و كان تاج الدّولة قد أخذه من ابن منقذ، و سار جماعه من أهلها إلى مصر يستدعون واليا من قبلهم [لميلهم]<sup>(٢)</sup> إلى الإسماعيليه و نفورهم من التّرك.

و وصل خلف بن ملاعب في سنه تسع و ثمانين و أربعمائه و تسلمها، و عاد إلى الفساد و قطع الطريق، و قتل خلقا من أفااميه.

و أمّا الملك رضوان فإنه خرج في سنه ثمان و ثمانين من حلب، و معه جناح الدّولة حسين، و وصله يغى سيان و يوسف بن أبق من أنطاكيه بعسكرهما، و توجهوا إلى الرّها، و معهم رهائن أهلها ليتسلمها الملك رضوان من المقيمين فيها من أصحاب والده.

١- لطغتكين ترجمه قصيره في تاريخ ابن عساكر، نشرتها في ملاحق- المدخل ص ٤٠٨.

٢- أضيف ما بين الحاصرتين لاستقامه السياق- أنظر ترجمه خلف بن ملاعب.



فلمّا نزلوا الرّها أراد يغي سيان و يوسف أن يقبضا جناح الدّولة و يتفرّدا بتدبير رضوان، فهرب منهما، و قطع الفرات، و وصل حلب، و تبعه رضوان، فدخل حلب، و هرب رهائن الرّها من العسكر و دخلوها، و عاد يغي سيان و يوسف بن أبق، و قد استوحش رضوان منهما.

و كتب رضوان إلى سكرمان(١)- و اقطاعه سروج(٢)- يستدعيه إلى حلب لمعاونته، فسار و قطع الفرات فلقية يوسف بن أبق في عدّه وافرته فخافه سكرمان، فأظهر موافقته و صار معه.

و خاف جناح الدّولة من اجتماعهم، و كان عقيب وصول رضوان من الرّها قد سيّر جماعه من عسكر حلب إلى معرّه النّعمان مع غضب الدّولة لأخذها من يغي سيان.

و كاتب وثّاب بن محمود فوصل ببني كلاب لمساعدته على أخذ المعرّه، فأخرجوا ابن يغي سيان و أصحابه منها، و تسلّموها.

و عاد غضب الدّولة و وثّاب، فلمّا وصلا حلب حدث ما ذكرناه من أمر سكرمان و يوسف بن أبق، فخرج جناح الدّولة بالعسكر، فلقية يوسف بالقرب من مرج دابق فهرب يوسف و نهبوا عسكره، و أعانهم على ذلك

١- سكرمان بن ارتق. انظر المدخل ص ٣٨٨. و من المفيد مقارنه ما جاء هنا بما جاء في الترجمة لوجود بعض التعارض.

٢- سروج بلده قريبه من حران من ديار مضر. معجم البلدان.

سكمان، و دخل يوسف أنطاكيه. و عاد جناح الدّوله و سكمان و وثّاب و أبق إلى حلب.

و أقطع الملك رضوان معزّه النّعمان سكمان بن أرتق و أعمالها، ثم سار رضوان و سكمان لقصد دمشق و انتزاعها من أخيه دقاق، و ترك جناح الدوله بحلب.

فلَمّا نزلوا دمشق، وصل إليهما أن دقاق قبض على نجم الدين إيلغازي ابن أرتق، و اعتقله لتهمه وقعت به، فعاد الملك رضوان إلى حلب، و سار سكمان إلى بيت المقدس و تسلّمها من نواب أخيه و أقام بها.

و راسل يوسف بن أبق الملك رضوان و استأذنه في الوصول إلى خدمته فأذن له، و وصل حلب و سكنها.

ثم خاف رضوان و حسين منه فتقدّما إلى بركات بن فارس رئيس حلب المعروف بالمجن (١) بقتله، فهجم عليه و أصحابه فقتلوه و نهبوا داره و أخذوا رأسه، و سيّروه إلى بزاعا و منبج، فتسلموها من أصحابه، و قبضوا على اقطار أخيه و أصحابهما؛ و هربوا من حلب، و كان الملك قد توهم منه الارتداد عن الاسلام.

ثم أنّ رضوان و جناح الدّوله خرجا في سنه تسع و ثمانين إلى تلّ باشرة؛ و شيخ الدّير (٢)، و فتحاها بالسّيف من أصحاب يغي سيان، و أغارا على

١- المجن الفوعى، مقدم أحداث حلب. انظر المدخل ص ٣٨٨ - ٣٩٢.

٢- انظر بغيه الطلب ص ٣٢١ - ٣٢٢، ٤٧٤.

أعمال أنطاكيه، و عادا إلى حلب، و سارا في أول شهر رمضان منها إلى دمشق.

فسار يغي سيان منجدا لدقاق فضعت نفس رضوان و لم يتمكن من العوده، فسار إلى بيت المقدس، فتبعه دقاق و طغتكين و يغي سيان و أقاموا متحابسين مده.

و أشرف عسكر رضوان على التّلف فانفصل عنه جناح الدّوله، و هرب على طريق البريه إلى حلب، و تبعه الملك رضوان بعد مده و حصلا بجميع العساكر بحلب.

و عاد دقاق و طغتكين إلى دمشق و يغي سيان إلى أنطاكيه. و عاد سكرمان بن أرتق من القدس على البريه حتّى وصل حلب على البريه في المحرّم من سنه تسعين و أربعمائه.

و اجتمع بجناح الدّوله و اتفقا على قصد بلاد يغي سيان فخرج دقاق و طغتكين، فوصلا حماه و عاث العسكر في بلدها و وصلهما يغي سيان، و ساروا إلى كفر طاب في الثّاني من ربيع الأوّل، فقاتلوهما، و نهبوا، و قرّروا على أهلها مالا.

و هرب أصحاب سكرمان من المعرّه فتسلّمها يغي سيان و قرّر عليها مالا، و تنقل العسكر في الجزر(١) و غيرها من أعمال حلب، فاستنجد رضوان

---

١- الجزر كوره من كور حلب وقعت بينها و بين أنطاكيه. معجم البلدان.

بسليمان بن إيلغازى صاحب سميساط(١) فوصل بعسكر كثير إلى حلب.

و جمع رضوان من قدر عليه من التُّرك و العرب و أحداث حلب، و نزل عسكر دقاق بقنسرين.

و نزل عسكر حلب بحاضر قنسرين فاتفق الأمر على أن يجتمعوا على نهر قويق و يتحدّثوا، فاجتمعوا و تحدّثوا، و النهر بينهم؛ فلم يتفق الصيِّلح، فقال يغى سيان لسكمان: «هؤلاء الملوكة يقتلون على ملكهم، أنت يا بياع اللبن دخولك معهم لأى صفة؟» قال: «غدا تبصر ايش أنا».

فأصبحوا و التقوا يوم الاثنين خامس شهر ربيع الآخر من سنة تسعين و أربعمائه فأبلى سكمان بلاء حسنا.

و لم تزل الحرب بينهم إلى آخر النهار، فانهزم يغى سيان إلى أنطاكية، و دقاق و طغتكين إلى دمشق؛ و أسر في الحرب اصباوه(٢)، فاعتقل بحلب ثم أطلق، فهرب إلى دمشق و لم يقتل من العسكر إلّا القليل.

و قتل الفلّاحون فى الطّريق وقت الهزيمة من الأرمن الذين كانوا مع يغى سيان جماعه كثيره، و تعيّرت بيّه الملك رضوان على جناح الدّولة حسين

١- سميساط مدينه على شاطىء الفرات، هى الآن فى تركيا. معجم البلدان- الأعلام الخطيره- قسم الجزيره- ص ٨٠١.

٢- من أمراء التركمان وقاده جيوشهم و هو عند ابن الأثير فى الكامل: ٨ / ٢٢٨ «أصبهذ صباوو».

فهرب من حلب إلى حمص، و خرج من حلب ليلاً- و معه زوجته أم الملك رضوان؛ و أقام بحمص لأنها كانت في يده و حصنها.

و وصل يغي سيان إلى حلب عقيب ذلك، و خدم رضوان، و دبّر أمره، و تزوّج رضوان ابنه يغي سيان خاتون جيچك(١).

و عوّل رضوان على قصد جناح الدّولة بحمص، و قصد دقاق بدمشق، و وصله رسول الأفضّل(٢) من مصر يدعوه إلى طاعه المستعلى و إقامة الدّعوه له، و على يده هديّه ستيه من مصر، و وعده بأن يمده بالعساكر و الأموال.

فتقدم بالدّعوه للمصريين على سائر منابر الشّام التي في يده، و دعا الخطيب أبو تراب حيدر بن أبي أسامه بحلب للمستعلى ثم للأفضّل ثم لرضوان، في يوم الجمعة السّابع عشر من شهر رمضان من هذه السنه.

و كان قد ولى الخطابه أبا تراب و عزل جدّ أبي غانم أبا محمّد بن هبه الله بن أبي جواده عن القضاء و الخطابه بحلب، لأن توليته كانت على قاعده أبيه من بغداد في سنه ثمان و ثمانين و أربعمائ.

و كان أبوه القاضى أبو الفضل هبه الله قد مات في هذه السنه المذكوره، و هو على القضاء و الإمامه بحلب.

١- انظر المدخل ص ٣٨٨.

٢- الأفضّل بن بدر الجمالى أمير الجيوش المتحكم بالخلافه الفاطميه. انظر المدخل ص ٣٩٢.

و ولي رضوان قضاء حلب في سنة تسعين القاضي فضل الله الزوزني العجمي الحنفي، و سيره رسولا إلى مصر، و ناب عنه في القضاء حال غيبته أبو الفضل أحمد بن أبي أسامة الحلبي، و دامت الدّعوة بحلب إلى رجب من سنة اثنتين و تسعين و أربعمائه. و قيل: لم تدم أكثر من أربع جمع (١).

و أعادها رضوان للإمام المستظهر ثم للسلطان بركيارق ثم لنفسه، و لم يصح له مما التمسه من المصريين شيء.

و أعاد القضاء و الخطابه إلى جدّ أبي غانم علي قاعدته الأولى، في سنة خمس و تسعين و أربعمائه، حين قتل الزوزني، و كان خرج من بين يدي رضوان، فقتل في بعض الدّروب؛ و كان أزرى على الباطية و على معتقدهم فقبل إنهم قتلوه.

و لما سار رضوان و يغى سيان و صلا إلى شيزر متوجهين إلى حمص لقصد (٢) حمص، فتواصلت الأخبار بوصول خلق من الفرنج قاصدين أنطاكية، فقال يغى سيان: «عودنا إلى أنطاكية و لقاء الفرنج أولى»، و قال سكمان: «مسيرنا إلى ديار بكر و أخذها من المتغلبين عليها و نتقوى بها، و أنزل أهلي بها و نعود إلى حمص أولى»؛ و اختلفوا.

فسار الملك رضوان نحو حلب جفلا و كان معه وزيره أبو النّجم بن بديع أخو وزير أبيه تتش أبي القاسم، و كان قد ولّاه وزارته حين ملك

١- انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٢١٧.

٢- في تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٢١٧ «لمعاودة النزول على دمشق» و هو الأقوم.

حلب، فاتهماه أنه هو الذى يفسد حال رضوان، فطلع إلى حصن شيزر، و أقام به عند ابن منقذ خشيه من يغي سيان و سكرمان، فلما سارا عن شيزر سار إلى حلب و لحق بالملك رضوان بها.

و لما عاد رضوان مغاضبا ليغي سيان و سكرمان عاد(١) و الأمراء من شيزر إلى أنطاكيه، و بلغهم نزول الفرنج البلمانه و نهبها(٢).

و لما دخل يغي سيان أنطاكيه أخرج ولديه شمس الدوله و محمدا، فسار أحدهما إلى دقاق و طغتكين يستنجدهما، و بثّ كتبه إلى جناح الدوله و وثاب بن محمود و بنى كلاب، و سار محمّد ابنه إلى التركمان و كربوقا و أمراء الشرق و ملوكه، و سارت كتبه إلى جميع أمراء المسلمين.

و فى ثامن شهر رمضان، وصل من قبرس إلى ميناء اللاذقيه اثنتان و عشرون قطعه فى البحر، فهجموه و أخذوا منه جميع ما كان للتجار؛ و نهبوا اللماذقيه، و عادوا، و وصلت الفرنج إلى الشام، و اعتبروا عسكرهم فكانوا ثلاثمائه ألف و عشرين ألف إنسان، لأنهم وصلوا من جهه الشمال.

و فى اليوم الثانى من شوال نزلت عساكر الفرنج على بغراس(٣) و أغاروا على أعمال أنطاكيه، فعند ذلك عصى من كان فى الحصون و المعامل المجاوره لأنطاكيه، و قتلوا من كان بها، و هرب من هرب منها.

١- الضمير يعود هنا إلى يغي سيان. انظر ابن القلانسي ص ٢١٨.

٢- انظر ابن القلانسي ص ٢١٨.

٣- بغراس: مدينه فى لحف جبل اللكام بينها و بين أنطاكيه أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكيه من حلب. معجم البلدان.

و فعل أهل أرتاح(١) مثل ذلك و استدعوا المدد من الفرنج، و هذا كله لقبح سيره يغى سيان و ظلمه فى بلاده.

و نزل الفرنج على أنطاكيه لليلتين بقيتا من شوال من سنه تسعين و أربعمائه.

و خرج فى المحرم من سنه إحدى و تسعين و أربعمائه نحو ثلاثين ألفا من الفرنج إلى أعمال المسلمين ببلد حلب، فأفسدوا و نهبوا و قتلوا من وجدوا.

و كان قد وصل الملك دقاق و أتاكك و معهما جناح الدوله، و نزلوا أرض شيزر، و معهم ابن يغى سيان و هم سائرون لانجاد أبيه، فبلغهم خبر هذه السريه، فساروا إليها بقطعه من العسكر، فلقوهم فى أرض البار(٢) فقتلوا منهم جماعه.

و عاد الفرنج إلى الروج(٣)، و عرجوا منه إلى معره مصرين(٤)، فقتلوا من وجدوا و كسروا منبرها، و حين عاد العسكر الدمشقى من البار فارقهم ابن يغى سيان و وصل إلى حلب يستنجد بالملك رضوان، فأخذ عسكر حلب و سكرمان، و دخل بهما إلى أنطاكيه فلقبهم من الفرنج دون عدتهم، فانهزم

١- أرتاح اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب. معجم البلدان.

٢- بليده فى منطقه أريحا محافظه ادلب السوريه، كان بها حصن، ما زالت خرائبها شاهده على عظمه ماضيها، انظر معجم البلدان و انظر الخبر أيضا عند ابن القلانسى ص ٢١٩.

٣- الروج من كور حلب المشهوره فى غربيها. معجم البلدان.

٤- معره مصرين من قرى محافظه ادلب و تتبع إداريا لها و تبعد عن ادلب مسافه ١٠ كم.



عسكر المسلمين إلى حارم(١) و ذلك في آخر صفر، و تبعهم عسكر الفرنج إلى حارم فانهزموا إلى حلب، و غلب أهل حارم من الأرمن عليها.

و في شهر ربيع الأول من السنة وصل خلق من الأرمن إلى تل قبا سين بناحية الوادى فقتلوا من فيه، و خرج المسلمون الذين بالوادى و جماعه من الأتراك تبعوهم و قتلوا منهم جماعه، و التجأ الباقون إلى بعض الحصون الخربه، فأدر كهم عسكر حلب فقاتلهم يومين، و أخذوهم فقتلوا بعضهم، و حمل الباقي أسرى إلى حلب فقتلوا، و كانوا يزيدون عن ألف و خمسمائه.

و لما نزل الفرنج - لعنهم الله - بأنطاكية جعلوا بينهم و بين البلد خندقا لأجل غارات عسكر أنطاكية عليهم و كثره الظفر بهم، و لا يكاد يخرج عسكر أنطاكية و يعود إلّا ظافرا.

و جعل يغى سيات الناس على البعد و القرب، و كان حسن التدبير فى سياسه العسكر.

و جمع كربوقا صاحب الموصل عسكرا عظيما، و قطع به الفرات، و وصل دقاق و طغتكين و جناح الدوله، و وصل سكرمان بن أرتق، و فارق رضوان و سار مع دقاق.

و وصل وثاب بن محمود و معه جماعه من العرب و وصلوا تل منس و قاتلوها لأنه بلغهم أنهم كاتبوا الفرنج و أطمعوهم فى الشام، و قرّر عليهم

---

١- حارم الآن من مناطق محافظه ادلب و تبعد عن ادلب مسافه ٥٣ كم.

دقاق مالا أخذ بعضه و رهائن على الباقي، و سيّرههم إلى دمشق.

و سار دقاق بالعساكر إلى مرج دابق، و اجتمع بكربوفا فيه في آخر جمادى الآخرة، و رحلوا منه نحو أنطاكية.

فلما كان ليله الخميس أوّل ليله من رجب واطأ رجل يعرف بالزّراد من أهل أنطاكية و غلمان له على برج كانوا يتولّون حفظه؛ و ذلك أن يغى سيان كان قد صادر هذا الزّراد و أخذ ماله و غلّته، فحملة الحق على أن كاتب بيمنند و قال له: «أنا في البرج الفلاني، و أنا أسلم إليك أنطاكية إن أمنتني و أعطيتني كذا و كذا». فبذل له ما طلب، و كتم أمره عن باقي الفرنج.

و كان بعسكر الفرنج تسعه قوامص مقدّمين عليهم كندفري، و أخوه القمص، و بيمنند، و ابن اخته طنكريد و صنجيل و بغدوين و غيرهم، فجمعهم بيمنند و قال لهم: «هذه أنطاكية إن فتحناها لمن تكون؟» فاختلفوا، و كلّ طلبها لنفسه، فقال: «الصّواب أن يحاصرها كلّ رجل منا جمعه؛ فمن فتحت في جمعته فهي له»، فرضوا بذلك.

فلما كانت نوبته دلى لهم الزّراد- لعنه الله- جبال فطلعوا من السّور، و تكاثروا، و رفع بعضهم بعضا و جاءوا إلى الحراس، فقتلوهم، و تسلّمه بيمنند بن الانبرت(١).

---

١- معلومات ابن العديم هنا على درجه عاليه من الدقه، و الانبرت هو الامبراطور، أراد به والد بوهموند جويسكارد النورمندی، و هناك خلاف حول أصل و شخصيه الزراد. انظر وقارن وليم الصوري- تاريخ الحروب الصليبيه- ترجمتي- ط. بيروت ١٩٩٠ ص ٢٧٩-٣٣٢.

و طلع الفرنج فى سحره هذه الليله إلى البلد و صاح الصائح من ناحيه الجبل، فتوهم يغي سيان أنّ القلعه قد أخذت فخرج من البلد فى جماعه منهزمين فلم يسلم منهم أحد.

و لما حصل بالقرب من أرمناز و معه خادم من غلمانة وقع عن ظهر فرسه، فحمله الخادم الذى كان معه، و أركبه، فلم يثبت على ظهر الفرس، و عاد فسقط، و أدركه الأرمن؛ فهرب الخادم عنه، و قتله الأرمن و حملوا رأسه إلى الفرنج.

و استشهد فى ذلك اليوم بأنطاكيه ما يفوت الإحصاء و يجاوز العدد، و نهبت الأموال و الآلات و السلاح؛ و سبى من كان بأنطاكيه، و وصل هذا الخبر إلى عمّ و أنّب (١)، فهرب من كان بها من المسلمين و تسلمها الأرمن.

و بلغ الخبر إلى دقاق و كربوقا و من كان معهما، فرحلوا إلى أرتاح، و سار بعضهم إلى جسر الحديد (٢) و قتلوا من كان فيه من الفرنج، و توجهوا نحو أنطاكيه، فعرفوا أنّ قلعتها باقيه فى أيدي المسلمين، فأعلموا العساكر الإسلاميه بذلك، فوصلوا إلى أنطاكيه سحره يوم الثلاثاء سادس رجب، فانهزم من كان بظاهر البلد من الفرنج إليها.

١- إنب: حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب. و عم قريه غناء بين حلب و أنطاكيه. معجم البلدان.

٢- انظر وليم الصورى ص ٣٣٣-٣٣٦، و جسر الحديد كان مقاما على العاصى انظر خريطه أنطاكيه ص ١٢٤ من وليم الصورى.

و نزل المسلمون بظاهرها ممّا يلي الجبل، و دخلوا البلد من ناحيه القلعه، و قاتلوا الفرنج فى جبل المدينه، و أشرف الفرنج على التّلف فبنوا سورا على بعض الجبل يمنع المسلمين من النزول إليهم، و أقاموا أياما، و عدم القوت عندهم.

و احتوى كربوقا على كثير ممّا كان فى قلعه أنطاكيه، و ولى فيها أحمد بن مروان، و ترادفت رسل الملك رضوان فى أثناء ذلك إلى كربوقا، فتوهم دقاق من ذلك، و خاف جناح الدّوله من أصحاب يوسف بن أبى و أخيه.

و جرت بين الأتراك و العرب الذين مع وثاب منافره عادوا لأجلها، و تفرّق كثير من التّركمان بتدبير الملك رضوان و رسالته.

و تخيّل بعض الأمراء من بعض ثم اجتمع رأيهم على التحوّل إلى المنازله فى السّيهل بظاهر أنطاكيه، فنزلوا باب البحر، و جعل المسلمون بينهم و بين البلد خندقا.

و أكل الفرنج بأنطاكيه الميئات و الدّواب، فخرجوا من أنطاكيه يوم الاثنين السّادس و العشرين من شهر رجب.

فأشار وثاب بن محمود أن يمنعوا من الخروج، و أشار بعض الأمراء أن لا يمكنوا من الخروج بأجمعهم و يقتلوا أوّلا فأوّلا، فلم يعرّج المسلمون على شىء من ذلك لأنهم أيقنوا بالظّفر بالفرنج، و خرجوا بأجمعهم فى خلق عظيم.

و عاث التّركمان فى العسكر فانهزم، و توهم الفرنج أن ذلك مكيد

فتوقفوا عن تبعهم، فكان ذلك سببا لسلامه من أراد الله سلامته؛ ولم يبق غير كربوقا و معه أكثر عسكره، فأحرق سرادقه و خيامه و انهزم نحو حلب.

و قتل من المطوعه و الغلمان و السّوقه خلق كثير، و لم يقتل مذكور، و نهب من المسلمين من الآلات و الخيام و الكراع و الغلّات ما لا يحصى، و من انقطع من العسكر نهبه الأرمن(١).

و عاد الفرنج إلى قلعه انطاكيه، و بها أحمد بن مروان، فراسله الفرنج و آمنوه، و من كان معه، و سلّمها إليهم يوم الأحد الثّاني من شعبان من السّنه، و أنزلوه في دار بأنطاكيه و أطلقوا أصحابه و سيّروا معهم من يوصلهم إلى أعمال حلب؛ فخرج الأرمن فأخذوا بعضهم و قتلوا بعضهم، و لم يسلم منهم إلّا القليل.

و لَمّا وصل كربوقا إلى حلب خرج إليه الملك رضوان، و حمل له خياما و غيرها، و رحل عنها، و عاد عسكر دمشق إليها و تفرّقت العساكر.

و بعد أيّام من هذه الوقعه خرج جماعه من الفرنج في شعبان، و زحفوا مع أهل تلمنس و جميع نصارى بلد المعرّه على المعرّه و قاتلوها، فوصلت قطعه من عسكر حلب إليهم، فالتقوا بين تلّ منس و المعرّه، فانهزم الفرنج و بقى الرّجاله منهم، فقتل منهم زائدا عن ألف رجل، و حملت رؤوسهم إلى معرّه النّعمان.

١- انظر يوميات صاحب أعمال الفرنجه في كتابي الحروب الصليبيه- ط. دمشق ١٩٨٤ ص ٢٣٩- ٢٤١. وليم الصوري ص ٣٣٧-

و فى هذه السّنة - وهى سنة إحدى و تسعين - فى جمادى الأولى عزل الملك رضوان وزيره أبا النجم هبه الله بن محمد بن بدیع؛ و ولى وزارته أبا الفضل هبه الله بن عبد القاهر بن الموصول. و كان أبو الفضل حسن السّيره جوادا كثير المعروف و الصّدقات، و وافق ذلك شدة الغلاء و الجوع بحلب، حتّى أكلوا الميتات، فأخرج غلّه كثيره، و تصدّق بها على النّاس.

و قيل: إنّه كان يخرج فى كل سنة صدقه و بڑا ثلاثه آلاف مكوك غلّه سوى ما يطلقه لمن يسأله معونته من الوفود و الضّيوف، و غير ما يطلقه من العين و الورق و غير ما كان يعتمد من افتكاك الأسرى من المسلمين.

و فيها قتل الملك رضوان رئيس حلب بركات بن فارس الفوعى المعروف بالمجنّ، و كان هذا المجنّ أوّلا من جمله اللّصوص الشّطار و قطاع الطّريق الذّعار فاستتابه قسيم الدّوله أقر سنقر، و ولاء رئاسه حلب لشهامته و كفايته و معرفته بالمفسدين، و كان فى حال اللّصوصيه يصلّى العشاء الآخره بالفوعه (١)، و يسرى إلى حلب و يسرق منها شيئا و يخرج، و يصلّى الفجر بالفوعه فاذا اتهم بالسّرقة أحضر من يشهد له أنّه صلّى العشاء بالفوعه و الصبح فيبرئونه.

و استمرّ على رئاسه حلب فى أيام قسيم الدّوله و أيام تاج الدّوله و بعده فى أيام رضوان، و امتدّت يده و حكم على القضاء و الوزراء و من دونهم، و هو الذى قتل الوزير أبا نصر بن النّحاس فى أيام قسيم الدّوله.

---

١- الفوعه الآن من قرى محافظه ادلب و تبعد عنها مسافه ١٣ كم.

و بلغنى أنه حنق عليه بسبب حصر أراد شراءها فاشتراها المجنّ، فشقّ على أبي نصر، فسيرها المجنّ إليه، فردّها عليه أبو نصر، و تكلم في حقّه بكلام قبيح فحنق بسببها على ابن النّحاس، فاعتقله بعد ذلك عنده و خنقه.

و كان كثير السّعيّ عليه في قتل النّفوس و سفك الدّماء و أخذ الأموال و ارتكاب الظّلم، فعصى على الملك رضوان، ثم ضعف و اختفى بعد أن حصر رضوان في قلعه حلب في سنه تسعين و أربعمائه.

فأمر رضوان مناديا نادى بالقلعه بأن الملك قد ولى رئاسه حلب صاعد بن بديع فانقلب الأحداث عنه لبغضهم إيّاه، و مضوا إلى صاعد فاخفى المجنّ، ثم ظهر عليه فعجل الله المكافأه له على قبيح فعله.

و سلط عليه الملك رضوان فسجنه في ذى القعدة من سنه تسعين و عذّبه عذابا شديدا بأنواع شتى، و أراد بذلك أن يستصفي ماله. فمما عذّبه به أنّه أحمى الطست حتّى صار كالنّار، و وضعه على رأسه، و نفخ في دبره بكبير الحدّاد، و ثقب كعابه، و ضرب فيها الرّزّز و الحلق.

و لما وضع النّجار المثقب على كعبه قطع الجلد و اللّحم و لم يدر المثقب، فلطمه المجنّ و قال: «ويلك لا تعرف! أحضر خشبه، وضعها على الكعب». فأحضر خشبه و وضعها على كعبه، فدار المثقب و نزل و نزل، و ثقب الكعب.

فلما فرغ قيل له: «كيف تجد طعام الحديد؟» فقال: «قولوا للحديد كيف يجد طعامي»، و لم يقرّ المجنّ مع هذا كلّه بدرهم واحد، و لم يحصل للملك رضوان من ماله إلّا ما أقرّ به غلام أو جاريه؛ و ذلك شىء يسير، و استغنى جماعه من أهل حلب من ماله.

و لما طال الأمر على رضوان أشير عليه بقتله، فأخرج إلى ظاهر باب الفرج من نحو الشّرق، و معه ابنان له شابان مقتبلا الشباب، فقتلا قبله؛ و هو ينظر إليهما و لا يتكلم.

ثم قتل بعد ذلك فى سنه إحدى و تسعين، و سلّمت رئاسه حلب إلى صاعد بن بديع، و لما قدم المجنّ للقتل صاح بصوت عال: «يا معشر أهل حلب، من كان لى عنده مال، فهو فى حلّ منه».

و كان ابن بديع من أولاد الدّيلم الذين كانوا فى أيام سيف الدّوله، و ولد أبوه بحلب.

و فى سنه إحدى و تسعين و أربعمائه عصى عمر والى عزاز على الملك رضوان فخرج عسكر حلب و حصره، فاستنجد بالفرنج، فوصل صنجيل بعسكر كبير، فعاد عسكر حلب فنهب صنجيل ما قدر عليه و عاد إلى أنطاكيه، و أخذ ابن عمر رهينه، فمات عنده، فوقع الملك رضوان على عمر إلى أن أخذه من تلّ هراق(١) فسلمّ إليه عزاز و أقام عنده بحلب مدّه، ثم قتله.

١- انظر حوله الأعلام الخطيره لابن شداد- قسم حلب- ط. دمشق ١٩٩١ ج ٢ ص ٦٤.



و خرج صنجيل فى ذى الحجه، و حصر البارہ فقل الماء فأخذها بالأمان، و غدر بأهلها، و عاقب الرجال و النساء، و استصفى أموالهم و سبى بعضا و قتل بعضا، ثم خرج بقيه الفرنج من أنطاكيه و الأرمن الذين فى طاعتهم و النصارى، و انضموا إليه، و وصلوا إلى معرّه النعمان لليلتين بقيتا من ذى الحجه فى مائه ألف.

و حصروا معرّه النعمان فى سنه اثنتين و تسعين، و قطعوا الأشجار، و استغاث أهلها بالملك رضوان و جناح الدوله فلم ينجدهم أحد.

و عمل الفرنج برجا من خشب يحكم على السور و زحفوا إلى البلد، و قاتلوه من جميع نواحيه حتى لصق البرج بالسور فكشفوه و أسندوا السور إلى السور و ثبت الناس فى الحرب من الفجر إلى صلاه المغرب، و قتل على السور و تحته خلق كثير، و دخلوا البلد بعد المغرب ليله الأحد الرابع و العشرين من محرّم سنه اثنتين و تسعين و أربعمائيه.

و دخل عسكر الفرنج جميعه إلى البلد، و انهزم بعض الناس إلى دور حصينه، و طلبوا الأمان من الفرنج فأمنوهم، و قطعوا على كل دار قطيعه، و اقتسموا الدور، و هجموها و ناموا فيها، و جعلوا يهدّثون الناس حتى أصبح الصبح، فاخترطوا سيوفهم، و مالوا على الناس، و قتلوا منهم خلقا؛ و سبوا النساء و الصبيان.

و قتل فيها أكثر من عشرين ألف رجل و امرأه و صبى، و لم يسلم إلا القليل ممن كان فى شيزر و غيرها من بنى سليمان و بنى أبى حصين

و غيرهم، و قتلوا تحت العقوبه جمعا كثيرا، فاستخرجوا ذخائر الناس، و منعوا الناس من الماء، و باعوا منهم فهلك أكثر الناس من العطش، و ملكوها ثلاثه و ثلاثين يوما بعد الهجمه، و لم يبقوا ذخيره بها إلّا استخرجوها.

و هدموا سور البلد و أحرقوا مساجده و دوره و كسروا المنابر(١). و عاد ييمند إلى أنطاكيه و قمص الرّها إليها، و فى هذه السّينه فتحوا بيت المقدس و فعلوا فيها كما فعلوا بالمعزّه(٢).

و فى سنه ثلاث و تسعين، وصل مبارك بن شبل أمير بنى كلاب فى جمع كثير من العرب فخالف الملك رضوان، و رعوا زرع المعزّه، و كفر طاب، و حماه، و شيزر، و الجسر، و غير ذلك.

و خلت البلاد، و وقع الغلاء فى بلد حلب، و لم يزرع شىء فى بلدها، و سلّط الله الوباء على العرب، فمات شبل و مبارك ولده، و اضمحلت دوله العرب.

و توجّه الملك رضوان فى سلخ رجب من هذه السّينه إلى الأثارب و أقام عليها أياما، و توجّه إلى «كلا» فى الخامس و العشرين من شعبان لإخراج الفرنج منها، فاجتمع من كان فى الجزر و زردنا و سرمين من الفرنج

١- انظر الحروب الصليبيه ص ٢٦٨ - ٢٧١.

٢- انظر الحروب الصليبيه ص ٢٧٨ - ٢٨٢.

و التقوا؛ فانهزم رضوان، و استبيح عسكره، و قتل خلق كثير و أسر قريب من خمسمائه نفس و فيهم بعض الأمراء(١).

و عاد الفرنج إلى الجزر و أخذوا برج كفر طاب(٢) و برج الحاضر، و صار لهم من كفر طاب إلى الحاضر، و من حلب غربا سوى تلّ منس فإنّ أصحاب جناح الدّولة كانوا بها.

و سار رضوان عقيب هذه النّكبه إلى حمص مستنجدا بجناح الدّولة فأجابه، و عاد إلى حلب و معه جناح الدّولة، و قد عاد الفرنج إلى أنطاكيه، فأقام جناح الدّولة بظاهر حلب أيّاما، فلم يلتفت إليه رضوان فعاد عنه إلى حمص.

و تجمع الفرنج بالجزر و سرمين و أعمال حلب و جمعوا العدد و الغلال لحصار حلب، و عولوا على حصارها في سنه خمس و تسعين، و قيل قبلها.

و وصل بيمند و طنكريد إلى قرب حلب فنزلوا المشرفه- من الجانب القبلى على نهر قويق- لما بلغهم من ضعف رضوان و تمزيق عسكره، و عزموا أن يبنوا مشهد الجفّ، و مشهد الدّكّه، و مشهد قرنييا حصونا، و أن يقيموا على حلب و يستغلوا بلدها.

فأقاموا في تدبير ذلك يوما أو يومين فبلغهم خروج أنوشتكين

١- انظر المدخل ص ٣٩٢.

٢- تبعد خرائب كفرطاب عن خان شيخون- الى الغرب منها- قرابه ٣ كم.

الدانشمند، و أنه قد نازل بعض معاقل الفرنج، و هي ملطيه فعادوا للدفع عنها.

فخرج الدانشمند فلقى بيمنند و جمعا من الفرنج بأرض مرعش فأسره، و قتل عسكره، و لم يفلت منهم أحد، فخبب الله ظنّ الفرنج، و هربوا من أعمال حلب، و تركوا جميع ما كانوا أعدّوه، فخرج رضوان و أخذ الغلال التي جمعوها، و نزل سرمين.

و سار جناح الدّوله إلى أسفونا و به جماعه من الفرنج فهجمه و قتل جميع من فيه، و سار إلى سرمين فكبس عسكر الملك رضوان و نهبه؛ و انهزم رضوان و أكثر عسكره و أسر الوزير أبا الفضل بن الموصول و جماعه و حملهم إلى حمص.

و طلب الحكيم المنجم الباطنى فلم يظفر به، و كان هذا الحكيم قد أفسد ما بينه و بين رضوان و استمال رضوان إلى الباطنيه جدّا، و ظهر مذهبهم فى حلب، و شايعهم رضوان و حفظ جانبهم، و صار لهم بحلب الجاه العظيم و القدره الزّائده، و صارت لهم دار الدّعوه بحلب فى أيامه، و كاتبه الملوك فى أمرهم، فلم يلتفت و لم يرجع عنهم؛ فوصل هذا الحكيم حلب سالما فى جملة من سلم فى هذه الوقعه.

و استغلّ جناح الدّوله سرمين و معرّه النّعمان و كفر طاب و حماه، و فدى الوزير ابن الموصول نفسه من جناح الدّوله بأربعه آلاف دينار، و فدى أصحاب الملك نفوسهم أيضا بمال حملوه إليه.

و لم يبق في أيدي المسلمين في سنه خمس و تسعين إلّا حصن بسرفوث(١)- من عمل بني عليم- و تسلم دقاق الرّحبه في سنه ست و تسعين و أربعمائيه، و كان المقيم بها زوج آمنه بنت قيماز(٢)، و كان قيماز من أصحاب كربوقا فمات، و كانت الرّحبه له، و كان جناح الدّوله قد خرج إليها فوجد الأمر قد فات، فعاد و نزل التّقره و خرج إليه رضوان إلى النقره و اصطلحا، و أخذه معه إلى ظاهر حلب، و ضرب له خياما، و أقام في ضيافته عشره أيام، و لم يصف قلب أحد منهما لصاحبه.

و سار جناح الدّوله إلى حمص فسير الحكيم المنجم الباطني ثلاثه أعجام من الباطنيه فاغتالوه، و قد نزل يوم الجمعه الثاني و العشرين من شهر رجب، لصلاه الجمعه فقتلوه، و قتلوا بعض أصحابه و قتلوا، و قيل: إنّ ذلك كان بأمر رضوان و رضاه.

و بقي المنجم الباطني بعده أربعه و عشرين يوما و مات، و قام بعده بأمر الدّعوه الباطنيه بحلب رفيقه أبو طاهر الصّائغ العجمي.

و وصل صنجيل الفرنجي و نزل حمص بعد قتل جناح الدّوله بثلاثه أيام، فسيرت زوجته خاتون أم الملك رضوان تستدعيه لتسلم إليه حمص و يدفع الفرنج، فكره المقدّمون ذلك، و خافوا منه لسوء رأيه فيهم، و سيروا

١- انظر الأعلام الخطيره- قسم حلب- ج ٢ ص ١٣٨.

٢- انظر ابن القلانسي ص ٢٢٩.

إلى نواب دقاق إلى دمشق، و كان دقاق بالرّحبه فسار أيتكين الحلبي من دمشق و دخلها و طلع القلعه.

و وصل رضوان إلى القبّه (١) فبلغه الخبر و عاد و رحل صنعيل عنها بعد أن قرّر عليهم مالا، و وصل دقاق فتسلّم حمص و أحسن إلى أهلها و نقل أهل جناح الدّوله و أولاده إلى دمشق، و سلم حمص إلى طغتكين.

و سار والى عزاز و أغار على الجومه- و هى من عمل أنطاكيه- فخرج عسكر أنطاكيه و عسكر الرّها فنزلوا المسلميّة (٢)، و قتلوا بعض أهلها، و قطعوا على عدّه مواضع قطائع أخذوها، و أقاموا ببلد حلب أياما، و راسلوا الملك رضوان.

و استقر الحال على سبعة آلاف دينار و عشره رؤوس من الخيل، و يطلقون الأسرى ما خلا من أسروه على المسلميه من الأمراء، و ذلك فى سنه ستّ و تسعين.

ثم خرج الفرنج من تلّ باشر، و أغاروا على بلد حلب الشمالى و الشّرقى، و أحرقوه، و تكرر ذلك منهم، و نزلوا على حصن بسرفوث، و فتحوه بالأمان، و وصلوا إلى كفرلاثا (٣)، فكبسهم بنو عليم فانهمزوا إلى بسرفوث.

١- قبّه ابن ملاعب» و هى حصن دثر فى طرف بلد حلب، بينها و بين سلميه». معجم البلدان.

٢- المسلميه من قرى منطقه جبل سمعان فى محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ١٥ كم.

٣- بلده من نواحي حلب بينهما يوم واحد. معجم البلدان.

و وقع بين الفرنج و بين سكرمان و جكرمش و قعه عظيمه استظهر فيها المسلمون، و هلك الفرنج، و أسر القمص، و غنم المسلمون غنيمه عظيمه(١).

و كان الملك رضوان قد سار إلى الفرات ينتظر ما يكون من خبر الفرنج، فلما وصله الخبر أنفذ إلى الجزر و غيره من أعمال حلب التي في أيدي الفرنج، فأمرهم بالقبض على من عندهم من الفرنج، فوثب أهل الفوعه و سرمين، و معرّه مصرين و غيرها، ففعلوا ذلك.

و طلب بعض الفرنج الأمان من رضوان فأمنهم من القتل، و حملهم أسرى، و لم يبق بأيدي الفرنج غير الجبل و «هاب»(٢)، و حصون المعرّه، و كفر طاب، و صوران(٣).

فوصل شمس الخواص و فتح صوران، فهرب من كان بلطمين و كفر طاب و بلد المعرّه و البارّه إلى أنطاكيه، و سلّموها إلى رضوان و أصحابه ما خلا «هاب».

و استرجع رضوان بالس(٤) و الفاي ممن كان بهما من أصحاب جناح الدّوله

١- لمزيد من التفاصيل انظر ابن القلانسي ص ٢٣٢.

٢- هاب قلعه عظيمه من العواصم. معجم البلدان.

٣- ما تزال تحمل هذا الاسم تبعد عن حماه مسافه ١٨ كم إلى الشمال منها.

٤- اسمها الآن مسكنه تبعد عن حلب مسافه ٩٠ كم. و الفاي كوره بين منبج و حلب. معجم البلدان.

و جرى بحماه خلف؛ و خافوا من شمس الخواص، فكاتبوا رضوان، و سلّموها إليه و سلميه، فأمنت أعمال حلب و تراجع أهلها إليها و قوى جأش رضوان.

و اتّصلت غارات عسكر حلب إلى بلد أنطاكيه، و عرف بيمند ضعفه عن حفظ البلد، و أنّه لم يفلت من وقعه سكرمان إلا في نفر قليل، و خاف من المسلمين فصار إلى بلاده في البحر يستنجد بمن يخرج بهم إلى البلاد، و استخلف ابن أخته طنكريد يدبّر أمر أنطاكيه و الرّها (١).

و مات الملك دقاق سنه سبع و تسعين في رمضان، و أوصى بالملك لولد له صغير اسمه تتش (٢)، و جعل التدبير إلى أتاك طغتكين، فتوجه الملك رضوان نحو دمشق، و حاصرها، و قرّر له الخطبه و السكّه، فلم تستتب أموره و عاد إلى حلب.

ثم إنّه خرج في شهر رجب في سنه ثمان و تسعين، و جمع خلقا كثيرا، و عزم على قصد طرابلس معونه لفخر الملك بن عمّار على الفرنج النّازلين عليه.

و كان الأرمن الذين في حصن أرتاح قد سلّموه إلى الملك رضوان لجور الأفرنج، فخرج طنكريد من أنطاكيه لاستعادته أرتاح، و خرج جميع من في

١- أنطاكيه نعم أما الرّها فكانت دويله قائمه بذاتها لها حاكمها.

٢- انظر ترجمه دقاق منتزعه من تاريخ دمشق لابن عساكر. المدخل ص ٣٨٦.



أعماله من الفرنج معه، و نزل عليها، فتوجّه نحوه رضوان في عساكره و جموعه و جميع من أمكنه من عمل حلب و الأحداث. فلما تقاربا نشبت الحرب بين الفريقين فثبت راجل المسلمين و انهزمت الخيل، و وقع القتل في الرجال فلم يسلم منه إلّا من كتب الله سلامته، و وصل الفلّ إلى حلب، و قتل من المسلمين مقدار ثلاثه آلاف ما بين فارس و راجل، و هرب من بأرتاح من المسلمين.

و قصد الفرنج بلد حلب فأجفل أهله، و نهب من نهب و سبي من سبي، و ذلك في الثالث من شعبان.

و اضطربت أحوال بلد حلب من ليلون إلى شيزر، و تبدّل الخوف بعد الأمن و السّكون، و هرب أهل الجزر و ليلون إلى حلب، فأدرّكهم خيل الفرنج فسبوا أكثرهم، و قتلوا جماعه.

و كانت هذه النّكبه على أعمال حلب أعظم من النّكبه الأولى على كلّا.

و نزل طنكريد على تلّ أعذى - من عمل ليلون - و أخذه و أخذ بقيه الحصون التي في عمل حلب. و لم يبق في يد الملك رضوان من الأعمال القبليه إلّا حماه و من الغريته إلّا الأثارب، و الشّرقية و الشّماليه في يده، و هي غير آمنه.

و سّير أبو طاهر الصّائغ الباطني جماعه من الباطنيه من أهل سرمين إلى خلف بن ملاعب بتدبير رجل يعرف بابن القنج السّرميني، من دعاه الاسماعيليه، فقتلوه و وافقهم جماعه من أهل أفاميه، و نقبوا سور الحصن، و دخلوا منه، و طلع بعضهم إلى القلّه فأحسّ بهم، فخرج فطعنه أحدهم

بخشت(١) فرمى بنفسه، فطعن أخرى فمات؛ و نادوا بشعار الملك رضوان.

و وصل أبو طاهر الصّائغ إلى الحصن عقيب ذلك و أقام به، و سار طنكريد إلى أفاميه، فقطع عليها مالا أخذه، و عاد فوصله مصبح بن خلف بن ملاعب و بعض أصحابه، فأطعموه في أفاميه، فعاد و نزلها، و حاصرها فتسلّمها في الثالث عشر من محرّم من سنه خمسّمائه بالأمان.

و قتل ابن القنج السّرميني بالعقوبه، و لم يف لأبي طاهر الصّائغ بالأمان، و حملة معه أسيرا فاشترى نفسه بمال، و دخل حلب.

و في سنه إحدى و خمسّمائه، عصى ختلغ بقلعه عزاز، و استقرّ أن يسلمها إلى طنكريد، و يعوّضه عنها موضعا غيرها، فسار رضوان إليها فتسلم عزاز منه.

و بلغ رضوان، في سنه إحدى و خمسّمائه، ما ذكر به من مشايعة الباطية، و أنّه لعن بذلك في مجلس السّليطان محمّد بن ملكشاه، فأمر أبا الغنائم ابن أخى ابن القنج الباطني الذي عمل في قتل ابن ملاعب ما دبر الخروج من حلب فيمن معه، فانسَلّ و خرج بجماعه من أصحابه بعد أن قتل أفراد منهم.

و في سنه إحدى- و قيل: اثنتين- و خمسّمائه اجتمع جاولى سقاوه و جوسلين الفرنجي، على حرب طنكريد صاحب أنطاكية؛ و استنجد

طنكريد بالملك رضوان، فأمدّه بعسكر حلب و التقوا، فقتل من الفرنج جماعه.

و وصل إلى جاولى من أخبره أنّ الفرنج يريدون الاجتماع عليه فمال على أصحابه من الفرنج و قتل فيهم، و هرب بعد أن قتلهم عن آخرهم و هلك جميع رجاله طنكريد و أكثر خيله.

و عاد إلى أنطاكيه و عاد عسكر حلب إلى رضوان، فتسلّم بالس من أصحاب جاولى، و خرج يميند من بلاده و معه خلق عظيم، ثم عاد و توفى سنه أربع و خمسمائه، و كفى المسلمون شره.

و فى سنه ثلاث و خمسمائه، كاتب السلطان الأمير سكرمان القطبى صاحب أرمينية و مودود صاحب الموصل، يأمرهما بالمسير إلى جهاد الفرنج، فجمعا و سارا، و وصل إليهما نجم الدين إيلغازى بن أرتق فى خلق كثير من التركمان، فرحلوا إلى الرها فنزلوا عليها و أهدقوا بها فى شوال من هذه السنه.

فاتفق الفرنج كلهم، و أزالوا ما كان بينهم من الشحنة، و كان المسلمون فى جمع عظيم، فتصافى طنكريد و بغدوين و ابن صنجيل بعد التفار، و قصدوا إنجاد من بها من الفرنج، و أحجموا عن العبور إلى الجانب الجزرى لكثرة من به من عساكر المسلمين.

فاندفع المسلمون عن الرها إلى حران ليعبر الفرنج و يتمكنوا منهم، و وصلهم عسكر دمشق.

فحين عبر الفرنج و بلغهم خبر المسلمين عادوا ناكسين على الأعقاب إلى شاطىء الفرات، فنهض المسلمون فى أثرهم، و أدركتهم خيول الإسلام، و قد عبر الأجلاد منهم، فغنم المسلمون جلّ سوادهم و أكثر أثقالهم، و استباحوهم قتلا و أسرا و تغريقا فى الماء، و أقام المسلمون بإزائهم على الفرات.

و لما عرف الملك رضوان هزيمة الفرنج عن الرّها خرج ليتسلّم أعمال حلب الّتى كانت فى أيدي الفرنج، و قاتل ما امتنع عليه منها، و أغار على بلد أنطاكية و غنم منها ما يجلّ قدره، و كان بينه و بينهم مهادنه نقضها.

و كاتب الفرنج رضوان يوهنون رأيه فى نقض الهدنه، فلما تحقّق سلامه طنكريد و عوده رجع إلى حلب.

و عاد الفرنج من الفرات فقصدوا بلد حلب من شريقيها، فقتلوا من وجدوا، و سبوا أهل النّقره، و أخذوا ما قدروا عليه من المواشى.

و هرب النّاس نحو بالس، و عاد طنكريد، فنزل على الأثارب(١)، و طيّب قلوب الفلّاحين من المسلمين، و أمّنهم، و نصب على الأثارب المناجيق و كبشا عظيما ينطح به شرفات الأسوار فيلقياها، فخرّب أسوارها و كان يسمع نطحه من مسيره نصف فرسخ،

و بذل رضوان لطنكريد فى الموضع عشرين ألف دينار على أن يرحل فامتنع، و قال: «قد خسرت ثلاثين ألف دينار، فان دفعتموها إلىّ و أطلقتم

---

١- الأثارب من قرى محافظة حلب - منطقه جبل سمعان.

كلّ عبد بحلب منذ ملكت أنطاكيه فأنا أرحل». فاستعظم ذلك و اتّكل على الحوادث.

و كان الّذي بقى فى القلعه مقدار مائه دينار، و أخذها الخازن على وسطه، و هرب إلى الفرنج، و هرب جماعه آخر من المسلمين إليهم فكتبوا إلى الملك رضوان كتابا على جناح طائر يخبرونه بما تجدد من قوه الحصار و قلّه النفقه و قتل الرّجال، و أرسلوا الطائر فسقط فى عسكر الفرنج، فرماه أحدهم بنشابه فقتله.

و حمل الكتاب إلى طنكريد، ففرح و قويت نفسه، و بذل رضوان المال المطلوب له على أن يكون أقساطا و يضع عليه رهائن فلم يفعل، و يئس من فى الأثارب من نجده تصل إليهم فسلموها إلى طنكريد فى جمادى الآخره منها، و أمن أهلها و خرجوا منها.

ثم صالح رضوان على عشرين ألف دينار و عشره رؤوس من الخيل، و قبضها و عاد إلى أنطاكيه.

ثم عاد و خرج إلى الأثارب، و قد أدركت الغلّه، و ضعفت حلب بأخذ الأثارب ضعفا عظيما، و طلب من حلب المقاطعه التى قررها على حلب و أسرى من الأرمن كان رضوان أخذهم وقت إغارتة على بلد أنطاكيه، و الفرنج على الفرات، فأعادهم إليه، و طلب بعض خيل الملك رضوان فأعطاه، و طلب حرم الفلاحين المسلمين من الأثارب، و كانوا وقت نزول طنكريد على الأثارب حصلوا بحرهم فى حلب فأخرجهنّ إليه.

و ضاق الأمر بأهل حلب، و مضى بعضهم إلى بغداد و استغاثوا في أيام الجمع، و منعوا الخطباء من الخطبه مستصرخين بالعساكر الإسلاميه على الفرنج.

و قَلَّتِ المغلّات في بلد حلب، فباع الملك رضوان في يوم واحد ستين خربه من بلد حلب لأهلها بالثمن البخس، و طلب بذلك استمالتهم، و أن يلتزموا بالمقام بها بسبب أملاكهم، و هي ستون خربه معروفه في دواوين حلب إلى يومنا هذا، غير ما باعه في غير ذلك اليوم من الأملاك(١).

و لذلك يقال ان بيع الملك من أصحّ أملاك الحلبيين لأنّ المصلحه في بيعها كانت ظاهره لاحتياج بيت المال إلى ثمنها، و لعماره حلب ببقاء أهلها فيها بسبب أملاكهم.

و لما استصرخ الحلبيون العساكر الاسلاميه ببغداد و كسروا المنابر، جهّز السليطان العساكر للذبّ عنهم، فكان أوّل من وصل مودود صاحب الموصل بعسكره إلى شبختان؛ ففتح تلّ قراد(٢) و عدّه حصون.

و وصل أحمديل الكرديّ في عسكر ضخّم و سكران القطبي، و عبروا إلى الشّام فنزلوا تلّ باشر، و حصروها حتى أشرفت على الأخذ، و كان طنكريد قد أخذ حصن بكسرايل(٣)، و توجه مغيرا على بلد شيزر و نازلها.

١- أملاك بيت المال. المدخل ص ٣٨٩.

٢- تل قراد حصن في بلاد الأرمن قرب شبختان. معجم البلدان.

٣- غير اسمه الآن إلى بنى قحطان، كان يقع أمام جبله. معجم البلدان.

و شرع فى عماره تلّ ابن معشر(١) و ضرب اللبن و حفر الجباب لىودع بها الغلّه، فلما بلغه نزول عساكر السيلطان محمّد على تلّ باشر رحل عنها. و أمّيا العساكر الإسلاميه النازله على تلّ باشر فأنّ سكمان مات عليها- و قيل: بعد الرّحيل عنها- و أشرف المسلمون على أخذها فتطارح جوسلين الفرنجى صاحبها على أحمديل الكردى و حمل إليه مالا، و طلب منه رحيل العسكر عنه فأجابه إلى ذلك.

و كتب الملك رضوان إلى مودود و أحمديل و غيرهما: «إننى قد تلفت و أريد الخروج من حلب، فبادروا إلى الرّحيل»، فحسّن لهم أحمديل الرّحيل عنها بعد أن أشرفوا على أخذها، و رحلوا إلى حلب، فأغلق رضوان أبواب حلب فى وجوههم، و أخذ إلى القلعه رهائن عنده من أهلها لئلاّ يسلموها.

و رتب قوما من الجند و الباطنيّه الذين فى خدمته لحفظ السور و منع الحلبيين من الصّعود اليه، و بقيت أبواب حلب مغلقه سبع عشره ليله.

و أقام الناس ثلاث ليال ما يجدون شيئا يقتاتون به، فكثرت اللصوص من الضّعفاء، و خاف الأعيان على أنفسهم.

و ساء تدبير الملك رضوان فأطلق العوامّ ألسنتهم بالسبّ له و تعييبه، و تحدّثوا بذلك فيما بينهم، فاشتد خوفه من الرعيه ان يسلموا البلد، و ترك الرّكوب بينهم.

---

١- هو العشارنه فى محافظه حماه فى منطقه الغاب.

و ضرب (١) انسان من السور فأمر به فضربت عنقه، و نزع رجل ثوبه و رماه إلى آخر فأمر به فألقى من السور إلى أسفل، فعاث العسكر فيما بقى سالما ببلد حلب بعد نهب الفرنج له و سبيهم أهله.

و بثّ رضوان الحراميه تتخطف من ينفرد من العساكر فيأخذونه، فرحلوا إلى معرّه النعمان في آخر صفر من سنه خمس و خمسمائه، و أقاموا عليها أياما و وجدوا حولها ما ملأ صدورهم ممّا يحتاجون إليه من الغلات و ما عجزوا عن حمله.

و كان أتابك طغتكين قد حصل معهم، فراسل رضوان بعضهم حتى أفسد ما بينه و بينهم، فظهر لأتابك منهم الوحشه، فصار في جملة مودود صاحب الموصل، و ثبت له مودود، و وفى له.

و حمل لهم أتابك هدايا و تحفا من متاع مصر، و عرض عليهم المسير إلى طرابلس و المعونه لهم بالأموال، فلم يعرجوا؛ و سار أحمديل و برسق بن برسق و عسكر سكرمان نحو الفرات، و بقى مودود مع أتابك، فرحلا- من المعرّه إلى العاصى فنزلا- على الجلالى.

فتزل الفرنج أفاميه: بغدوين و طنكريد و ابن صنجيل، و ساروا لقصد المسلمين، فخرج أبو العساكر بن منقذ من شيزر بعسكره و أهله؛ و اجتمعوا بمودود و أتابك و ساروا إليهم.



و نزلوا قبلى شيزر و الفرنج شماليّ تلّ ابن معشر، و دارت خيول المسلمين حولهم و منعوهم الماء، و الأتراك حول الشرائع بالقسى تمنعهم الورد، فأصبحوا هارين سائرين، يحمى بعضهم بعضا.

و وصل إلى حلب فى هذه السّينه فى شهر ربيع الأوّل من سنه خمس و خمسمائه، رجل فقيه تاجر كبير يقال له أبو حرب عيسى بن زيد بن محمد الخجندى، و معه خمسمائه جمل عليها أصناف التجارات، و كان شديدا على الباطنيّه أنفق أموالا جليله على من يقاتلهم، و كان قد صحبه من خراسان باطنيّ يقال له أحمد بن نصر الرّازى و كان أخوه قد قتله رجال الخجندى.

فدخل أحمد إلى حلب، و مضى (١) إلى أبى طاهر الصّائغ العجمى رئيس الباطنيّه بحلب، و كان متمكّنا من رضوان، فصعد إلى رضوان، و أطمعه فى مال الفقيه أبى حرب، و أراه أنّه برىء من التّهمه فى بابه، إذ هو معروف بعداوه الباطنيّه.

فطمع رضوان فى ماله و طار فرحا، و بعث غلمانا له يتوكّلوا به، و سيّر أبو طاهر الباطنيّ معه جماعه من أصحابه، فبينما أبو حرب الخجندى فى غلمان له يستعرض أحماله و حوله جماعه من مماليكه و خدمه إذ هجم عليه أحمد بن نصر الرّازى فى جماعه من أصحاب أبى طاهر الباطنيّ، فقال لغلمانته: «أليس هذا رفيقنا؟» فقالوا: «هو هو». فوقعوا عليه فقتلوه.

---

١- فى ترجمه رضوان- المدخل ص ٣٩٠: «و استدل على أبى الفتح الصائغ رئيس الملاحده بها».

و قتل الجماعة الذين معه من أصحاب أبي طاهر الباطني العجمي بأسرهم، ثم قال أبو حرب: «الغياث بالله من هذا الباطني الغادر، أمنا المخاوف و رأنا إلى أن جئنا إلى الأمنة، فبعث علينا من يقتلنا».

فأخبر رضوان بذلك فأبلس، و صار السنيه و الشيعة إلى هذا الرجل، و أظهروا إنكار ما تم عليه. و عبث أحداثهم بجماعه من أحداث الباطنيه فقتلوهم، و لم يتجاسر رضوان على إنكار ذلك.

و كاتب الفقيه أبو حرب أتاك طغتكين و غيره من ملوك الاسلام فتوافت رسلهم إلى رضوان ينكرون عليه، فأنكر و حلف أنه لم يكن له في هذا الرجل نيه.

و خرج الرجل عن حلب مع الرسل فعاد إلى بلده، و مكث الناس يتحدثون بما جرى على الرجل و نقص في أعين الناس، فتوثبوا على الباطنيه من ذلك اليوم.

ثم إن رضوان حين ضعف أمره بحلب رأى أن يستميل طغتكين أتاك إليه و يستصلحه، فاستدعاه إلى حلب عندما أراد أن ينزل طنكريد على قلعه عزاز، و بذل له رضوان مقاطعه حلب عشرين ألف دينار و خيلا و غير ذلك، فامتنع طنكريد من ذلك، فوصل طغتكين أتاك، و تعاهدا على مساعده كل منهما لصاحبه بالمال و الرجال.

و استقر الأمر على أن أقام طغتكين الدعوه و السكه لرضوان بدمشق، فلم يظهر منه بعد ذلك الوفاء بما تعاهدا عليه.

و مات طنكريد فى سنه ستّ و خمسمائه، و استخلف ابن اخته روجار و أدى إليه رضوان ما كان يأخذه منه طنكريد و هو عشره آلاف دينار.

و وصل مودود إلى الشام، و اتفق مع طغتكين على الجهاد، و طلب نجده من الملك رضوان فتأخّرت إلى أن اتفق للمسلمين وقعه استظهروا فيها على الفرنج، و وصل عقيبتها نجده للمسلمين من رضوان، دون المائه فارس، و خالف فيما كان قرّره و وعد به، فأنكر أتاكك ذلك، و تقدّم بابطال الدّعوه و السكّه باسم رضوان من دمشق فى أوّل ربيع الأوّل من سنه سبع و خمسمائه.

و كان رضوان يحب المال، و لا- تسمح نفسه باخراجه حتّى كان أمراؤه و كتّابه ينزونه بأبى حبه، و هو العدى أفسد أحواله و أضعف أمره.

و مرض رضوان بحلب مرضا حادّا و توفى فى الثامن و العشرين من جمادى الآخره سنه سبع و خمسمائه، و دفن بمشهد الملك، فاضطرب أمر حلب لوفاته و تأسّف أصحابه لفقده، و قيل: إنّه خلّف فى خزائنه من العين و الآلات و العروض و الأوانى ما يبلغ مقداره ستّمائه ألف دينار.

و ملك حلب بعده ابنه ألب أرسلان، و يعرف بالأخرس، و عمره ستّ عشره سنه، و أمّه بنت يغى سيان صاحب أنطاكيه، و كان فى كلامه حبسه و تمتمه فلذلك عرف بالأخرس، و كان متهورا قليل العقل، و وضع عن أهل حلب ما كان والده جدّده عليهم من الرّسوم و المكوس.

و قبض على أخويه ملك شاه و مبارك، و كان مبارك من جاريه و ملك

شاه من أمه، فقتلها، وكذلك فعل أبوه رضوان بأخويه؛ فانظر إلى هذه المقابله العجيبه، و قبض جماعه من خواص والده فقتل بعضهم، و أخذ أموال الآخرين.

و كان المتولّى لتدبير أموره خادماً لأبيه يقال له لؤلؤ اليايا، و هو الذى أنشأ خانكاه(١) البلاط بحلب، و كان قبل وصوله إلى رضوان خادماً لتاج الرؤساء ابن الخلال، فدبر أسوأ تدبير مع سوء تدبيره فى نفسه.

و كان أمر الباطنيه قد قوى بحلب فى أيام أبيه، و تابعهم خلق كثير على مذهبهم طلباً لجاههم، و صار كل من أراد أن يحمى نفسه من قتل أو ضيم التجأ إليهم.

و كان حسام الدين بن دملاج وقت وفاه رضوان بحلب، فصاروا معه، و صار ابراهيم العجمى الداعى من نوابه فى حفظ القليعه بظاهر بالس.

فكتب السلطان محمد بن ملك شاه إلى ألب أرسلان و قال له: «كان والدك يخالفنى فى الباطنيه، و أنت ولدى فأحب أن تقتلهم».

و شرع الرئيس ابن بديع متقدّم الأحداث فى الحديث مع ألب أرسلان فى أمرهم، و قرّر الأمر معه على الإيقاع بهم، و النكايه فيهم، فساعده على ذلك.

---

١- بقاياها فى سوق الصابون بحلب. انظر الآثار الإسلاميه و التاريخيه فى حلب ص ٢٥١-٢٥٣.

فقبض على أبي طاهر الصائغ و قتله، و قتل اسماعيل الدّاعي و أخا الحكيم المنجّم و الأعيان من أهل هذا المذهب بحلب، و قبض على زهاء مائتي نفس منهم.

و حبس بعضهم و استصفى أموالهم، و شفّع في بعضهم فمنهم من أطلق و منهم من رمى من أعلى القلعه، و منهم من قتل. و أفلت جماعه منهم ففتزقوا في البلاد، و هرب إبراهيم الدّاعي من القليعه إلى شيزر، و خرج حسام الدين بن دملاج عند القبض عليهم فمات في الرقه.

و طلب الفرنج من ألب أرسلان المقاطعه التي لهم بحلب، فدفعها إليهم من ماله، و لم يكلف أحدا من أهل حلب شيئا منها.

ثمّ إنّ ألب أرسلان رأى أن المملكه تحتاج إلى من يدبّرها أحسن تدبير، و أشار خدمه و أصحابه عليه بأن كاتب أتابك طغتكين أمير دمشق، و رغب في استعطافه، و سأله الوصول إليه ليدبر حلب و العسكر، و ينظر في مصالح دولته، فأجابه إلى ذلك، و رأى موافقته لكونه صبيا لا يخافه الكفّار و لا رأى له، فدعا له على منبر دمشق بعد الدّعوه للسّليطان و ضربت السيّكه باسمه، و ذلك في شهر رمضان.

و أوجبت الصّوره أن يخرج ألب أرسلان بنفسه في خواصّه، و قصد أتابك إلى دمشق ليجمع معه، و يؤكّد الأمر بينه و بينه، فلقية أتابك على مرحلتين، و أكرمه و وصل معه و أنزله بقلعه دمشق.

و بالغ في إكرامه و خدمته و الوقوف على رأسه، و حمل إليه دست ذهب

و طيرا مرصعا و عدّه قطع ثمينه، و عدّه من الخيل، و أكرم من كان في صحبته(١).

و أقام بدمشق أياما و سار في أوّل شوّال عائدا إلى حلب، و معه أتابك و عسكره، فأقام عنده أياما و استخلص كمشتكين البعلبكي مقدّم عسكره، و كان قد أشار عليه بعض أصحابه بقبضه، و قبض جماعة من أعيان عسكره و قبض الوزير أبي الفضل بن الموصل، ففعل ذلك؛ فاستوهب أتابك منه كمشتكين فوهبه إياه.

و قبض على رئيس حلب صاعد بن بديع، و كان وجيها عند أبيه رضوان، فصادره بعد التضييق عليه حتى ضرب نفسه في السجن بسكين ليقتل نفسه، ثم أطلقه بعد أن قرّر عليه مالا، و أخرجته و أهله من حلب، فتوجّه إلى مالك بن سالم إلى قلعه جعبر.

و سلّم رئاسه حلب إلى ابراهيم الفراتي، فتمكّن و لقب و نوّه باسمه، و إليه تنسب عرصه ابن الفراتي بالقرب من باب العراق بحلب، ثم رأى أتابك من سوء السيره و فساد التدبير مع التقصير في حقّه و الاعراض عن مشورته ما أنكره، فعاد من حلب إلى دمشق، و خرجت معه أم الملك رضوان هربا منه.

و ساءت سيره ألب أرسلان، و انهمك في المعاصي و اغتصاب الحرم

---

١- انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٣٠٢-٣٠٣. ترجمه ألب أرسلان المنتزعه من بغيه الطلب- في ملاحق الجزء الأول من المدخل ص ٢٩٤-٢٩٧.

و القتل (١)، و بلغنا أنه خرج يوما إلى عين المباركة متنزها، و أخذ معه أربعين جاريه، و نصب خيمه، و وطنهن كلهن.

و استولى لؤلؤ اليايا على الأمر، فصادر جماعه من المتصرفين، و أعاد الوزاره إلى أبي الفضل بن الموصول، و جمع ألب أرسلان جماعه من الأمراء، و أدخلهم إلى موضع بالقلعه شبيه بالسرداب لينظروه، فلما دخلوا اليه قال لهم: «ايش تقولون في من يضرب رقابكم كلكم ههنا؟» فقالوا: «نحن مماليكك و بحكمك». و أخذوا ذلك منه بطريق المزاح، و تضرعوا له حتى أخرجهم.

و كان فيهم مالك بن سالم صاحب قلعه جعبر فلما نزل سار عن حلب و تركها خوفا على نفسه.

و خاف منه لؤلؤ اليايا فقتله بفراشه بالمركز بقلعه حلب، في شهر ربيع الآخر من سنه ثمان و خمسمائه، و ساعده على ذلك قراجا التركي و غيره.

و لزم لؤلؤ اليايا قلعه حلب و شمس الخواص في العسكر، و نصب لؤلؤ أخا له صغيرا عمره ست سنين، و اسمه سلطان شاه بن رضوان، و تولى لؤلؤ تدبير مملكته، و جرى على قاعدته في سوء التدبير.

و كاتب لؤلؤ و مقدمو حلب أتابك طغتكين و غيره يستدعونهم إلى حلب لدفع الفرنج عنها، فلم يجب أحد منهم إلى ذلك.

---

١- الذي أبلغ ابن العديم هذا هو بدران بن حسين بن مالك بن سالم العقيلي. المدخل ص ٢٩٥.

و من العجائب أن يخطب الملو ك لحلب فلا- يوجد من يرغب فيها، و لا يمكنه ذبّ الفرنج عنها، و كان السبب فى ذلك أنّ المقدّمين كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه.

و قلّ الربيع ببلد حلب لاستيلاء الفرنج على أكثر بلدها و الخوف على باقيه، و قُلت الأموال و احتيج إليها لصرفها إلى الجند، فباع لؤلؤ قرى كثيره من بلد حلب، و كان المتولّى بيعها القاضى أبا غانم محمّد بن هبه الله بن أبى جواده قاضى حلب، و لؤلؤ يتولّى صرف أثمانها فى مصالح القلعه و الجند و البلد.

و قبض لؤلؤ على الوزير أبى الفضل بن الموصول، و استأصل ماله، و سار إلى القلعه فأقام عند مالك بن سالم، و استوزر أبا الرّجاء بن السّرطان الرحبى مدّه، ثم صادره و ضربه، و طلب أبا الفضل بن الموصول فأعاده إلى الوزاره بحلب.

و جاءت زلزله عظيمه ليله الأحد ثامن و عشرين من جمادى الآخره من سنه ثمان بحلب و حرّان و أنطاكيه و مرعش و الثّغور الشاميه، و سقط برج باب أنطاكيه الشّمالي و بعض دور العقبه و قتلت جماعه.

و خربت قلعه عزاز، و هرب واليها إلى حلب، و كان بينه و بين لؤلؤ مواحشه، فحين وصل إلى حلب قتله و أنفذ إليها من تداركها بالعماره و الترميم، و خرب شىء يسير فى قلعه حلب، و خرب أكثر قلعه الأثارب و زردنا.



وقيل: إنّ مؤذن مسجد عزاز كان حارسا بالقلعه، فحرس و نام على برج المسجد بالقلعه، فلما جاءت الزلزله ألقته على كتف الخندق و هو نائم لم يعلم بها، فاجتاز به جماعه فظنّوه ميّتا، فأخذوا عنه اللّحاف فانتبه و سألهم فأخبروه بما جرى.

و صار شمس الخواصّ مقدّم عسكر حلب، و متولّى أقطاع الجند، و كانت سيرته إذ ذاك صالحه، و كان لؤلؤ في أوّل أمره مقيما بقلعه حلب لا ينزل منها و يدبّر الأمور، فكتب إلى السّليطان على سبيل المغالطه يبذل له تسليم حلب و الخزائن التي خلفها رضوان و ولده ألب أرسلان، و يطلب إنفاذ العساكر إليه.

فوصل برسق بن برسق مقدّم الجيوش و منكوبرس(١) و غيرهم من أمراء السّليطان في سنه تسع و خمسمائه، فتغيّرت نيّه لؤلؤ الخادم عمّا كان كتب به إلى السّليطان، و كتب إلى أتابك طغتكين يستصرخه و يستنجده، و وعده تسليم حلب إليه، و أن يعوّضه طغتكين من أعمال دمشق، فبادر إلى ذلك(٢).

و وصل حلب، و العساكر السّلطانيّه باللس متوجّهين إلى حلب فرحلوا

١- كذا بالأصل و جاء في الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٢٧١: «برسق بن برسق صاحب همذان و معه الأمير جيوش بك و الأمير كتغدى».

٢- لم يذكر ابن القلانسي هذا الخبر لكن أكده ابن الأثير ج ٨ ص ٢٧١ مع المزيد من التفاصيل الهامه.

منها إلى المعرّه، ووصلهم الخبر أنّ ذلك اليوم وصل أتابك إلى حلب فأعرضوا عن حلب، و ساروا إلى حماه فتسلّموها.

و تسلّموا رفنيه (١) من أولاد علي كرد، و سلّموها إلى خير خان بن قراجا، فخاف طغتكين من عساكر السلطان أن يقصد دمشق، فأخذ عسكر حلب، و شمس الخواص، و ايلغازي بن أرتق، و استنجد بصاحب أنطاكية روجار و غيره من ملوك الفرنج و نزلوا أجمعين أفاميه.

و نزلت العساكر السيلطانية أرض شيزر، و جعل أتابك يرث الفرنج عن اللقاء خوفا من الفرنج أن يكسروا العساكر السيلطانية فيأخذوا الشام جميعه، أو ينكسروا فتستولي العساكر السلطانية على ما في يده.

و خاف الفرنج و ضاقت صدور أمراء عسكر السيلطان من المصابره، فرحلوا و نزلوا حصن الأكراد و أشرف على الأخذ، فاتفق أتابك و الفرنج على عود كلّ قوم إلى بلادهم، ففعلوا ذلك.

و توجّه أتابك إلى دمشق، و عاد عسكر حلب و شمس الخواص إلى حلب، فقبض عليه لؤلؤ الخادم و اعتقله فعادت عساكر السيلطان حينئذ عن حصن الأكراد، و ساروا إلى كفر طاب، و حصروا حصنا كان الفرنج عمروه بجامعها و أحكموه، فأخذوه و قتلوا من فيه، و رحلوا إلى معرّه النعمان.

---

١- ما تزال بقايا رفنيه قائمه قرب بلده بعين (بارين) على الطريق الذي يصل مصياف بحمص، هذا و ما أورده كل من ابن القلانسي ص ٣٠٦ و ابن الأثير ج ٨ ص ٢٧٢ بشأن رفنيه يحالف روايه ابن العديم هذه، و يوضح ابن الأثير أن الذي استولى عليه عسكر السلطان ثم آل إلى خير خان هو مدينه حماه، و هو الصحيح.

و أمن الترك و انتشروا فى أعمال المعرّه و اشتغلوا بالشرب و النهب و وقع التّحاسد فيما بينهم، و وصل رسول من بزاعا من جهه شمس الخواص يستدعيهم لتسليم بزاعا، و يقول إنّ شمس الخواص مقبوض عليه عند لؤلؤ الخادم، و لؤلؤ يكشف أخبار العساكر و يطالع بها الفرنج، و رحل برسق و جامدار صاحب الرّحبه نحو دانيث(١) يطلبون حلب، فنزل جامدار فى بعض الضّياع.

و وصل برسق بالعسكر إلى دانيث بكره الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الآخر، و الفرنج يعرفون أخبارهم ساعه فساعه، فوصلهم الفرنج؛ و قصدوا العسكر من ناحيه جبل السّماق، و العسكر على الحال التى ذكرناها من الانتشار و التفرّق، فلم يكن لهم بالفرنج طاقه، فانهزموا من دانيث إلى تلّ السلطان(٢).

و استتر قوم فى الضّياع من العسكر فنهبهم الفلّاحون و أطلقوهم، و غنم أهل الضّياع ممّا طرحوه وقت هزيمتهم ما يفوت الإحصاء، و أخذ الكفّار من هذا ما يفوت الوصف، و غنموا من الكراع و السّلاح و الخيام و الدّوابّ و أصناف الآلات و الأمتعه ما لا يحصى، و لم يقتل مقدّم و لا مذكور.

---

١- دانيث بلد من أعمال حلب بين حلب و كفر طاب. معجم البلدان.

٢- تل السلطان موضع بينه و بين حلب مرحله نحو دمشق، و فيه خان و منزل للقوافل و هو المعروف بالفنيديق. معجم البلدان. و يبعد تل السلطان عن ادلب ٤٧ كم.

و قتل من المسلمين نحو خمسمائه و أسر نحوها و اجتمع العسكر على تل السيلطان، و رحلوا إلى النقره مخذولين مختلفين، و نزلوا النقره؛ و كان أونبا(١) قد طلع أصحابه إلى حصن بزاعا، و كان قد تقدّم العسكر إليها، فلمّا بلغهم ذلك نزلوا و وصلوا إلى العسكر.

و توجّهت العساكر إلى السيلطان و إلى بلادهم، و وصل طغتكين من دمشق فتسلم رفيه(٢) ممّن كانوا بها، و أطلق لؤلؤ شمس الخواص من الاعتقال، و سلّم إليه ما كان أقطعه من بزاعا و غيرها، فوصل إلى طغتكين فردّ عليه رفيه، و عاد إلى دمشق و استصحبه معه.

و أما لؤلؤ الخادم فأنه صار بعد ملازمه القلعه ينزل منها في الأحيان و يركب، فاتفق أنه خرج في سنه عشر و خمسمائه بعسكر حلب و الكتاب إلى بالس، و هو في صورته متصيّد، فلمّا وصل إلى تحت قلعه نادر قتله الجند(٣).

و اختلف في خروجه، فقيل: إنّه كان حمل مالا- إلى قلعه دوسر، و أودعه عند ابن مالك فيها، و أراد ارتجاعه منه و العود إلى حلب، و كان السلطان قد أقطع حلب و الرّحبه أقر سنقر البرسقى(٤)، فواطأ جماعه من

١- كذا و عند ابن الأثير ج ٨ ص ٢٧٢ «جيوش بك».

٢- يتوافق هذا مع ما أورده ابن القلانسي ص ٣٠٦ و ابن الأثير ص ٢٧٢.

٣- في ترجمه ألب أرسلان بن تتش روى ابن العديم «فلما وصل إلى دير حافر»، و أورد ابن الأثير ج ٨ ص ٢٧٩ أنه قتل سنه ٥١١ هـ و أعطى المزيد من التفاصيل، و من أجل قلعه نادر و هي قرب بالس انظر الأعلام الخطيره- قسم حلب- ج ٢ ص ٢٥. هذا و دير حافر مركز ناحيه تابعه لمنطقه الباب في محافظه حلب، و يبعد عن حلب مسافه ٥٠ كم.

٤- للبرسقى ترجمه جيده في بغيه الطلب ص ١٩٦٣ - ١٩٧٠.

أصحابه على أن أظهروا مفارقتهم، وخدموا لؤلؤا و صاروا من خواصه، وواطأهم على قتل لؤلؤ، و أمّل أنّهم إذا قتلوه تصحّ له أقطاع حلب فقتلوه.

و سار بعضهم إلى الرّحبه فأعلمه، فأسرع أق سنقر البرسقى المسير إلى حلب من الرّحبه، و انضاف بعض عسكره إلى بقيه القوم الّذين قتلوه، و طمعوا فى أخذ حلب لأنفسهم، و ساروا إليها فسبقهم ياروقتاش الخادم- أحد خدم الملك رضوان- و دخل حلب.

وقيل: إنّ لؤلؤا كان قد خاف فأخذ أمواله، و خرج طالبا بلاد الشرق للنجاه بأمواله، فلمّا وصل إلى قلعه نادر قال سنقر الجكرمشى: «تركونه يقتل تاج الدّوله و يأخذ الأموال و يمضى!» و صاح بالتركيه: «أرنب أرنب» فضربوه بالسهم فقتلوه.

ولما خرج عن حلب أقامت القلعه فى يد آمنه خاتون بنت رضوان يومين إلى أن وصل ياروقتاش (١) الخادم مبادرا فدخل حلب و نزل بالقصر، و أخرج عسكر حلب، و أوقع بالّذين قتلوا لؤلؤا، و ارتجع ما كان أخذوه من عسكر حلب و انهزم بعض من كان فى الثّوبه فالتقوا أق سنقر فى بالس فى أوّل محرّم سنه إحدى عشره و خمسمائه.

و لم يتسهّل للبرسقى ما أمّل و راسل أهل حلب و من بها فى التّسليم إليه فلم يجيبوه إلى ذلك.

---

١- ياروقتاش هو شمس الخواص المتقدم ذكره، انظر ابن الأثير ج ٨ ص ٢٧٩.

و كاتب ياروقتاش الخادم نجم الدين إيلغازى بن أرتق ليصل من ماردين و يدفع أق سنقر، و كاتب روجار صاحب أنطاكية أيضا فوصل إلى بلد حلب، و أخذ ما قدر عليه من أعمال الشّرقية، فحينئذ أيس البرسقى من حلب، و انصرف من أرض بالس إلى حمص فأكرمه خير خان صاحبها، و سار معه إلى طغتكين إلى دمشق فأكرمه، و وعده بانجاده على حلب.

و هادن ياروقتاش صاحب أنطاكية روجار، و حمل إليه مالا و سلّم إليه حصن القبة، و ربّب مسير القوافل من حلب إلى القبله عليه، و أن يؤخذ المكس منهم له.

ثم إن ياروقتاش طلع إلى قلعه حلب، و عزم على أن يعمل حيله يوقعها بالمقدّمين و يملكها مثل لؤلؤ، فقبض عليه مقدّمو القلعه بأمر بنات رضوان بعد تمام شهر من ولايته، و أخرجوه من حلب و ولّوا فى القلعه خادما من خدم رضوان.

و ردّ أمر سلطان شاه و تقدمه العسكر و تدبير الأمور إلى عارض الجيش العميد أبى المعالى المحسن بن الملحى، فدبّر الأمور و ساسها، و ضعفت حلب و قلّ ارتفاعها و خربت أعمالها.

و وصل إيلغازى بن أرتق إلى حلب فأنزله فى قلعه الشّريف، و منعه من القلعه الكبيره، و استولى على تدبير الأمور و تربيّه سلطان شاه فى سنه إحدى عشره و خمسمائه، و سلّموا اليه بالس و القليعه.

و قبض على أبي المعالي بن الملحى، و قصر ارتقاع حلب عما يحتاج إليه ايلغازى و التركمان الذين معه، و لم ينتظم له حال، و استوحش من أهل حلب و جندها فخرج عنها إلى ماردين، و بقيت بالس و القليعه فى يده، و أخرج ابن الملحى من الاعتقال و أعيد إلى تدبير الأمور.

و أفسد الجند الذين ببالس فى أعمال حلب فاستدعوا الفرنج، و خرج بعض عسكر حلب و معهم قطعه من الفرنج و حصروها، فوصل ايلغازى فى جمع من التركمان إليها، فعاد عسكر حلب و الفرنج عن بالس و باعها لابن مالك، و عاد إلى ماردين، و بقى تمرتاش ولده رهينه فى حلب.

و وصل فى هذه السنينه أتابك طغتكين و أق سنقر البرسقى إلى حلب، و راسل أهلها فى تسليمها فامتنعوا من إجابته، و قالوا: «ما نريد أحدا من الشرق» و أنفذوا و استدعوا الفرنج من أنطاكية لدفعه عنهم، فعاد أق سنقر إلى الرّحبه و أتابك إلى دمشق.

و اشتدّ الغلاء بأنطاكية و حلب، لأن الزّرع عرق و لحقه هواء عند إدراكه أتلفه، و هرب الفلّاحون للخوف، و استدعى أهل حلب ابن قراجا من حمص، فرتبّ الأمور بها، و حصّنها، و سار إلى حلب، و نزل فى القصر خوفا من ايلغازى لما كان بينهما(١).

و خرج أتابك إلى حمص، و نهب أعمالها و شعثها، و أقام عليها مدّه، و عاد إلى

---

١- كان خير خان قد أسر ايلغازى سنه ثمان و خمسمائه و ذلك أثناء نزوله على حمص. انظر ابن القلانسى ص ٣٠٥.

دمشق لحركة الفرنج، و خرجت قافله من حلب إلى دمشق فيها تجار و غيرهم، و حملوا ذخائرهم و أموالهم لما قد أشرف عليه أهل حلب، فلما وصلوا إلى القبة نزل الفرنج إليهم، و أخذوا منهم المكس، ثم عادوا و قبضوهم و ما معهم بأسرهم، و رفعوهم إلى القبة، و حملوا الرجال و النساء بعد ذلك إلى أفاميه، و معزّه النعمان، و حبسوهم ليقروا عليهم مالا.

فراسلهم أبو المعالي بن الملحى و رغبهم فى البقاء على الهدنه و أن لا ينقضوا العهد، و حمل إلى صاحب أنطاكيه مالا و هديه، فردّ عليهم الأحمال و الأثقال و غير ذلك، و لم يعدم منه شىء.

و قوى طمع الفرنج فى حلب لعدم النجد و ضعفها، و غدروا و نقضوا الهدنه، و أغاروا على بلد حلب، و أخذوا مالا لا يحصيه إلاّ الله، فراسل أهل حلب أتابك طغتكين، فوعدهم بالإنجاد، فكسره جوسلين و عساكر الفرنج، و راسلوا صاحب الموصل و كان أمره مضطربا بعد عوده من بغداد.

و نزل الفرنج بعد عودهم من كسره أتابك على عزاز، و ضايقوها و أشرفت على الأخذ، و انقطعت قلوب أهل حلب إذ لم يكن بقى لحلب معونه إلاّ من عزاز و بلدها، و بقيه بلد حلب فى أيدي الفرنج، و الشرقى خراب مجذب، و القوت فى حلب قليل جدا، و مكوك الحنطه بدينار، و كان إذ ذاك لا يبلغ نصف مكوك بمكوك حلب الآن، و ما سوى ذلك مناسب له.

و يئس أهل حلب من نجده تصلهم من أحد من الملوك، فاتفق رأيهم



على أن سيروا الأعيان و المقدمين إلى إيلغازى بن أرتق، و استدعوه ليدفع الفرنج عنهم و ظنوا أنه يصل فى عسكر يفرج به عنهم، و ضمنوا له مالا يقسطونه على حلب يصرفه إلى العساكر.

فوصل فى جند يسير و المدبر لحلب جماعه من الخدم؛ و القاضى أبو الفضل بن الخشاب هو المرجوع إليه فى حفظ المدينه و النظر فى مصالحها؛ فامتنع عليه البلد، و اختلفت الآراء فى دخوله، فعاد فلحقه القاضى أبو الفضل بن الخشاب و جماعه من المقدمين، و تطفوا به و لم يزالوا به حتى رجع.

و وصل إلى حلب، و دخلها، و تسلّم القلعه، و أخرج منها سائر الجند و أصحاب رضوان و أنزل سلطان شاه بن رضوان و بنات رضوان فى دار من دور حلب.

و قبض على جماعه ممن كان يتعلّق بالخدم و يخدمهم، و أخذ منهم ما كان صار إليهم من مال رضوان و مال الخدم العذيين استولوا على حلب بعده.

و راسل الفرنج فى مال يحمله عن عزاز ليرحلوا عنها، فلم يلتفتوا لقوه أطماعهم فى أمر الاسلام؛ و كان إيلغازى يعجز بحلب عن قوت الدواب، و حلب على حدّ التلف.

فلما عرف من عزاز ذلك و يئسوا من دفع الفرنج سلموها إلى الفرنج، و راسلهم من بحلب فى صلح يستأنفونه معهم، فأجابوا إلى ذلك لطفًا من

اللّٰه بهم، على أن يسلموا إلى الفرنج تلّ هراق و يؤدّون القطيعه المستقرّه على حلب عن أربعه أشهر، و هى ألف دينار، و يكون لهم من حلب شمالا و غربا.

و زرعوا أعمال عزاز و قووا فلاحها و عادوا إلى أنطاكيه و صار يدخل إلى حلب ما يتبلّغون به من القوت.

و سار إيلغازى إلى الشرق ليجمع العساكر و يعود بها إلى حلب؛ و سارت الرّسل إلى ملوك الشرق و التّرکمان يستنجدونهم.

و كان ابن بديع رئيس حلب عند ابن مالک بقلعه دوسر، فنزل إلى إيلغازى ليطلب منه العود إلى حلب، فلمّا صار عند الزّورق ليقطع الماء إلى العسكر و ثب عليه اثنان من الباطنيه فضرباه عدّه سكاكين، و وقع ولداه عليهما فقتلاههما، و قتل ابن بديع و أحد ولديه و جرح الآخر، و حمل إلى القلعه فوثب آخر من الباطنيه و قتله، و حمل الباطنى ليقتل فرمى بنفسه فى الماء و غرق. و توجه إيلغازى إلى ماردين و معه أتاكك، و راسلا من بعد و قرب من عساكر المسلمين و التّرکمان، فجمعا عسكرا عظيما، و توجه إيلغازى فى عسكر يزيد عن أربعين ألفا فى سنه ثلاث عشره و خمسمائه، و قطع الفرات من عبر بدايا و سنجه(١).

و امتدت عساكره فى أرض تلّ باشرو تلّ خالد و ما يقاربهما، يقتل

---

١- سنجه نهر يجرى بين حصن منصور و كيسوم و هما من ديار مضر، و على هذا النهر قنطره عظيمه. معجم البلدان.

و ينهب و يأسر، و غنموا كل ما قدروا عليه، و وصل من رسل حلب من يستحثه على الوصول لتواصل غارات الفرنج من جهة الأثارب و اياس أهلها من أنفسهم، فسار إلى مرج دابق ثم إلى المسلميه، ثم إلى قنسرين في أواخر صفر من سنه ثلاث عشره و خمسمائه.

و سارت سراياه في أعمال الزوج و الفرنج يقتلون و يأسرون، و أخذوا حصن قسطون في الزوج، و جمع سرجال صاحب أنطاكيه الفرنج و الأرمن و غيرهم، و خرج إلى جسر الحديد، ثم رحلوا و نزلوا بالبلاط بين جبلين، ممايلي درب سرمداء، شمالي الأثارب، و ذلك في يوم الجمعه التاسع من شهر ربيع الأول.

و ضجر الأمراء من طول المقام، و إيلغازي ينتظر أتابك طغتكين ليصل إليه و يتفقا على ما يفعلانه، فاجتمعوا و حثوا إيلغازي على مناجزه العدو فجدد إيل غازي الأيمان على الأمراء و المقدمين أن يناصحوا في حربهم، و يصابروا في قتال العدو، و أنهم لا ينكلون و يبذلون مهجهم في الجهاد، فحلفوا على ذلك بنفوس طيبه.

و سار المسلمون جرايد، و خلفوا الخيام بقنسرين، و ذلك في يوم الجمعه السادس عشر من شهر ربيع الأول، فباتوا قريبا من الفرنج و قد شرعوا في عماره حصن مطلق على تل عفرين و الفرنج يتوهمون أن المسلمين ينازلون الأثارب أو زردنا، فما شعروا عند الصبح إلا ورايات المسلمين قد أقبلت، و أحاطوا بهم من كل جانب.

و أقبل القاضي أبو الفضل بن الخشّاب يحرض الناس على القتال، و هو راكب على حجر (١) و بيده رمح؛ فرآه بعض العسكر فازدراه و قال: «إنّما جئنا من بلادنا تبعاً لهذا المعمم!» فأقبل على الناس، و خطبهم خطبه بليغه استنهض فيها عزائمهم، و استهدف همهم بين الصّفين، فأبكى الناس و عظم في أعينهم.

و دار طغان أرسلان بن دملاج من ورائهم و نزل في خيامهم، و قتل من فيها و نهبها، و ألقى الله النصر على المسلمين، و صار من انهزم من الفرنج و قصد الخيام قتل.

و حمل التّرك بأسرهم حملة واحدة من جميع الجهات صدقوهم فيها، و كانت السّهام كالجراد، و لكثرة ما وقع في الخيل و السّواد من السّهام عادت منهزمه و غلبت فرسانها، و طحنت الرّجاله و الأتباع و الغلمان بالسّهام، و أخذوهم بأسرهم أسرى.

و قتل سرجال في الحرب، و فقد من المسلمين عشرون نفراً منهم سليمان بن مبارك بن شبل، و سلم من الفرنج مقدار عشرين نفراً لا غير، و انهزم جماعه من أعيانهم.

و قتل في المعركة ما يقارب خمسة عشر ألفاً من الفرنج، و كانت الوقعة يوم السبت وقت الظهر، فوصل البشير إلى حلب بالنّصر، و المصافّ قائم،

---

١- الحجر: الأنتى من الخيل. القاموس.

و النَّاسُ يَصَلُّونَ صَلَاةَ الظُّهْرِ بِجَامِعِ حَلَبَ، سَمِعُوا صَيْحَةَ عَظِيمِهِ بِذَلِكَ مِنْ نَحْوِ الْغَرْبِ، وَ لَمْ يَصِلْ أَحَدٌ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى نَحْوِ صَلَاةِ الْعَصْرِ.

و أَحْرَقَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الْقَتْلَى مِنَ الْفَرَنْجِ، فَوَجَدَ فِي رَمَادِ فَارَسٍ وَاحِدٍ أَرْبَعُونَ نَصْلًا نَشَابًا، وَ نَزَلَ إِيْلَ غَازِي فِي خِيْمَةِ سَرَجَالٍ، وَ حَمَلَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مَا غَنَمُوهُ، فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُمْ إِلَّا سِلَاحًا يَهْدِيهِ لِمُلُوكِ الْإِسْلَامِ، وَ رَدَّ عَلَيْهِمْ مَا حَمَلُوهُ بِأَسْرِهِ.

و لَمَّا حَضَرَ الْأَسْرَى بَيْنَ يَدَيْ إِيْلَ غَازِي، كَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَلْقِ مَشْتَهَرًا بِالْقُوَّةِ، وَ أَسْرَهُ رَجُلٌ ضَعِيفٌ قَصِيرٌ قَلِيلُ السِّلَاحِ، فَلَمَّا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْ إِيْلَ غَازِي قَالَ لَهُ التَّرْكَانُ: «أَمَا تَسْتَحْيِي يَا سُرُكُ مِثْلَ هَذَا الضَّعِيفِ وَ عَلَيْكَ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيدِ؟» فَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا أَخَذَنِي هَذَا، وَ لَا هُوَ مَوْلَايَ وَ إِنَّمَا أَخَذَنِي رَجُلٌ عَظِيمٌ أَعْظَمَ مِنِّي وَ أَقْوَى، وَ سَلَّمَنِي إِلَيْ هَذَا؛ وَ كَانَ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَخْضَرٌ وَ تَحْتَهُ فَرَسٌ أَخْضَرٌ»<sup>(١)</sup>.

و تَفَرَّقَتْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ فِي بَلَدِ أَنْطَاكِيَّةِ وَ السُّوَيْدِيَّةِ وَ غَيْرِهِمَا يَقْتُلُونَ وَ يَأْسُرُونَ وَ يَنْهَبُونَ، وَ كَانَتْ الْبِلَادُ مَطْمَئِنَّةً لَمْ يَبْلُغْهُمْ خَبْرُ هَذِهِ الْوَقْعَةِ، فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ السُّبْيِ وَ الْغَنَائِمِ وَ الدَّوَابِّ مَا يَفُوتُ الْإِحْصَاءَ. وَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ التُّرُكِ إِلَّا أَمْتًا صَدْرُهُ وَ يَدَاهُ بِالْغَنَائِمِ وَ السُّبْيِ.

وَ لَقِيَ بَعْضُ السُّبْرَايَا بَغْدَوِيْنَ الرَّوَيْسِ وَ ابْنُ صَنْجِيلٍ فِي خَيْلِهِمَا بِالْقُرْبِ مِنْ جَبَلِهِ، وَ قَدْ تَوَجَّهَ لِنَصْرِهِ سَرَجَالٌ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَّةِ، فَأَوْقَعَ بِهِمُ التُّرُكَ،

١- أَيْ أَنْ أَسْرَهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

و قتلوا جماعه و غنموا ما قدروا عليه، و انهزم بغدوين و ابن صنجيل، و تعلقوا بالجبال.

و رحل إيلغازى إلى أرتاح، و بادر بغدوين فدخل أنطاكيه، و سلمت إليه أخته زوجه سرجال خزائنه و أمواله، و قبض على أموال القتلى و دورهم، و أخذها و زوج نساء القتلى بمن بقى، و أثبت الخيل، و جمع و حشد و استولى على أنطاكيه، و لو سبقه إيلغازى إلى أنطاكيه لما امتنعت عليه.

و وصل أتابك إلى نجم الدين بارتاح، فعاد و نزل الأثارب، و هجم الرّبض و نهبه، و قتل من قدر عليه، و خرج أحداث من حلب و نهبوا حصنها فطلبوا الأمان فأمنهم بعد أن استأخذت، و سيّهم إلى مأمنهم.

و رحل منها إلى زردنا و كانوا قد حصّو نوها و أحكموا عمارتها، و قاتلها فطلبوا الأمان فأمنهم، و سيّهم إلى أنطاكيه فلقبهم بعض التّركمان، فنهبهم و قتلوا بعضهم و مضوا إلى أهلهم.

و كان صاحب زردنا لما بلغه منازلتها، حمل بغدوين و الفرنج على الخروج لاستنقاذها، و قد عرفوا تفرّق التّركمان بالغنائم و عودهم إلى أهلهم، و أن إيلغازى فى عدّه قليله، فبلغه ذلك فجّد فى قتالها حتى أخذها- كما ذكرناه- و ربّ أصحابه بها، و توجّه بمن بقى معه و استصحب معه عسكر أتابك و طغان أرسلان بن دملاج جرايد إلى دانيث بعد أن ردّ الأثقال و الخيام إلى قنّسرين.

و وصل إلى دانيث فى يومه، فوجد الفرنج قد نزلوها يوم فتحه زردنا فى

مائتي خيمه و راجل كثير، و قيل إنهم كانوا يزيدون على أربعمائه فارس سوى الرّجاله، و ذلك في رابع جمادى الأولى، و التقوا فحمل صاحب زردنا و أكثر خيل الفرنج على عسكر دمشق و حمص و بعض التركمان، فكشفوهم و انهزموا بين أيديهم، و سار ليتدارك أمر زردنا، و يكبس الأثقال و الخيام فعرف أخذها و تسيير الأثقال إلى قنّسرين فعاد.

و حمل بقيه المسلمين على بغدوين و من كان معه، فقتلوهم و ردّوهم على أعقابهم، فحينئذ حمل إيلغازى و طغتكين و طغان أرسلان فيمن بقى من الخواصّ على الفرنج، فكسروهم و قتلوا أكثر الرّجاله و بعض الخياله، و تبعوهم إلى أن دخلوا إلى حصن هاب، و غنموا أكثر ما كان معهم.

و عاد نجم الدّين و طغتكين و طغان أرسلان إلى دانيث، فوجدوا صاحب زردنا و الفرنج قد عادوا بعد أن هزموا من كان بين أيديهم من المسلمين و معرفه أخذ المسلمين زردنا، فلقوهم و قتلوا منهم جماعه كثيره، و انهزم الباقون إلى هاب، و عاد الترك بالظفر و الغنيمه.

و حين بلغ من بقنّسرين مع الأثقال هزيمه من كان في مقابله صاحب زردنا رحلوا إلى حلب، و انزعج أهل حلب غايه الانزعاج، فوصلهم البشير بعد ساعتين بما بدّل غمهم سرورا و همّهم حورا.

و كان البشير من الفرنج قد مضى إلى بلادهم و أخير بكسره صاحب زردنا للمسلمين، فزيّنوا بلادهم، و أظهروا فيها الجدل و المسرّه فوصل ابن

صنجيل من الكسره بعد ذلك، فانقلب سرورهم حزنا و راحتهم تعباً و عناء.

و كان صاحب زردنا، و هو القومص الأبرص و اسمه رونارد<sup>(١)</sup>، قد سقط عن فرسه، فأدركه قوم من أهل جبل السّماق من أهل مريمين<sup>(٢)</sup>، فقبضوه و حملوه إلى إيلغازى بظاهر حلب، فأنفذه إلى أتابك طغتكين، فقتله صبّراً.

ثم دخل إيلغازى إلى حلب، و أحضر الأسرى فأفرد أصحاب القلاع و المقدّمين و ابن يميند صاحب أنطاكية و رسول ملك الروم و نفرا يسيرا ممّن كان معه مال فأخذه و أطلقهم، و بقى من الأسرى تيف و ثلاثون رجلاً بذلوا من المال ما رغب عنه، فقتلهم بأسرهم.

و توجه من حلب إلى ماردين فى جمادى الأولى من سنه ثلاث عشره و خمسمائه، ليجمع من التّركمان من يعود به إلى بلد حلب، و كانت حلب ضعيفه عن مقامه فيها، فخرج الفرنج إلى بلد المعره، فسبوا جماعه، و أدركهم جماعه من التّرك فرجعوا<sup>(٣)</sup>.

ثم خرج بغدوين من أنطاكية فى عسكره و نزل على زور، غربى البارّه- و هو حصن كان لابن منقذ و سلّمه إليهم- و لما جرت الوقعه الأولى

١- رينوماسيور. انظر حوله وليم الصورى ج ١ ص ٥٨٢.

٢- مريمين من قرى منطقه جسر الشغور محافظه أدلب و تبعد عن ادلب ٨٥ كم.

٣- قارن وليم الصورى ج ١ ص ٥٧٩-٥٨٢.



على البلاط عاد و أخذه، فقاتله بغدوين، و أخذه فى جمادى الأولى، و أطلق من كان فيه.

و رحل إلى كفر روما(١) فأخذ حصنها بالسيف، و قتل جميع من كان فيه، و وصلوا إلى كفر طاب، و قد أحرق ابن منقذ حصنها، و أخذ رجاله منه خوفا منهم، فرمّوه، و رتبوا رجالهم فيه، و ساروا إلى سرمين و معرّه مصرين فتسلّموها بالأمان، ثم نزلوا زردنا، و رحلوا عنها إلى أنطاكية.

و مع هذا فغارات عسكر حلب متواصله على ما يقرب منهم، و تعود بالظفر و الغنيمه.

و وصل جوسلين إلى بغدوين خاله وقت أخذه سرمين، فأقطعه الرّها و تلّ باشر، و سيّره إليهما، فأسرى إلى وادى بطنان دفتين، و إلى ما يلي الفرات من جهه الشّام، و قتل و سبى ما يقارب ألف نفس، و أغار جوسلين على منبج و النّقره و أعمال حلب الشرقيه، و أخذ كلّ ما وجدته من [دواب]، و أسر رجالا و نساء، و أسرى إلى الرّاوندان(٢) يتبع طائفه من التّركمان كانت قطعت الفرات، فاقتتلوا فانهمز الفرنج و قتل منهم جماعه.

و فى صفر من سنه أربع عشره و خمسمائه، وقعت مشاحنه بين والى الأثارب بلاق بن اسحاق صاحب نجم الدين إيلغازى و بين الفرنج فأسرى و معه جماعه من عسكر حلب إلى أنطاكية، فلقبهم عسكر أنطاكية

١- كفر روما قريه من قري معره النعمان. معجم البلدان.

٢- الراوندان قلعه حصينه من نواحي حلب. معجم البلدان.

فكسرهم، و عاد فتبعه الفرنج و التقوا ما بين ترمانيين (١) و تلّ أعدى، من فرضه ليلون.

و وصل فى هذه السنه إيلغازى بجمع كثير من التركمان، و قطع الفرات فى الخامس و العشرين من صفر، و توجه إلى تلّ باشر، و أقام أياما و لم يقاتلها، و رحل إلى عزاز يريد أخذها، و لم يمكن أحدا من التركمان من تشعيث ضياعها، و رحل إلى أنطاكية و أقام عليها يوما واحدا، و أقام فى أعمال الرّوم أياما يسيره.

ثم خرج إلى قنسرين فتشوّت قلوب التركمان لأنهم أتلوا من الغنائم مثل السيّنه الخاليه، و لم يقاتل بهم حصنا، و لا غنموا شيئا، و باع الأسرى الذين أسرههم فى الوقعه الأولى، فعادوا إلى بلادهم، و بالغوا فى التشقى من المسلمين و القتل و السبى.

و جرى من نجم الدين إساءه إلى بعض التركمان على شىء أنكره عليهم، فبالغ فى هوانهم و حلق لحي بعضهم، و قطع أعصابهم، فتنزق عسكره و بقى نفر يسير متفرّقين فى أعمال حلب.

فطمع الفرنج و خرجوا إلى دانيث، فوصل طغتكين و عسكر دمشق، و اجتمعوا مع إيلغازى فى عسكر يقاوم الفرنج، فساروا إلى الفرنج، و هم فى ألف فارس و راجل كثير، فدار التّرك حولهم فلم يخرج منهم أحد، و كرهوا

---

١- ترمانيين الآن إحدى قرى منطقه حارم، محافظه ادلب، و تبعد عن ادلب مسافه ٧٦ كم.

أن يعودوا على أعقابهم فتكون هزيمه، فساروا نحو معرّه مصرين لا ينفرد منهم فارس و لا راجل.

و أشرف التّرك على أخذهم، و من خرج منهم قتل، و من وقت دابّته تركها و أخذت، و لا يقدرّون على الماء و هم على حاله الهلاك، و إيلغازى و طغتكين يردّان الناس عنهم بالعصا، فنزلوا بقرب معرّه مصرين، و عاد التّرك عنهم إلى حلب، و عادوا إلى أنطاكيه. (١)

و صالحهم إيلغازى إلى آخر سنه أربع عشره، على أنّ لهم المعرّه و كفرطاب و الجبل و البارّه، و ضياعا من جبل السّمّاق برسم هاب، و ضياعا من ليلون برسم تل أعذى، و ضياعا من بلد عزاز برسم عزاز.

و سار نجم الدّين إيلغازى إلى ماردين ليجمع العساكر، و هدم إيلغازى زردنا فى شهر ربيع الأوّل، و كان أهل حلب قد شكوا إليه تجديد رسوم جدّدت عليهم فى أيّام رضوان، لم تجر بها عاده فى دوله العرب و لا دوله المصريّين و لا فى أيّام أوق سنقر، فأمر بكشف مقدارها، فأخبر أنّها مبلغ اثنى عشر ألف دينار فى كلّ سنه، فرسم بحذفها، و وقّع لهم بذلك، و كتب لوحا بذلك، و سمره على باب الجامع و ذلك فى هذه السنّه.

---

١- مزج ابن العديم هنا كما فعل قبله ابن القلانسى ص ٣٢٠، و ابن الأثير ج ٨ ص ٢٩٤، الروايات حول معركة دانيث لسنه ٥١٣ هـ / ١١١٩ م و معركة دانيث الثانيه لسنه ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م التى انتصر فيها الفرنجه حسب روايه وليم الصورى ج ١ ص ٥٨٣-٥٨٥.

و خرج الفرنج فقبضوا على الفلاحين الذين تحت أيديهم فى هذه الأعمال من المسلمين و عاقبهم و صادروهم، و أخذوا منهم من الأموال و الغلات ما تقووا به، و كانت الضياع التى فى أيدي المسلمين قد عمرت، و اطمأنوا بالصّح، فغدر اللّعين جوسلين، و خرج فأغار على الثّقرة و الأحصّ، و احتجّ بأنه أسر له والى منبج أسيرا، و أنّه كاتب فى ذلك فلم ينصف، و ذلك فى شؤال، و قتل و سبى و أحرق كل ما فى الثّقرة و الأحصّ؛ و نزل الوادى و عاث فيه.

ثم سار إلى تلّ باشر، ثم عاد و حشد و خرج و عمل كفعله الأول، و أخذ فى غارته الأولى المشايخ و العجايز و الضعفاء، فنزع عنهم ثيابهم و تركهم فى البرد عراه، فهلكوا بأجمعهم.

فأنفذ والى حلب إلى بغدوين فى ذلك، و قال: «إنّ نجم الدّين لم يترك هذه البلاد خاليه من العساكر إلّا ثقته بالصّح» فقال: «ما لى على جوسلين يد». و تتابعت من جوسلين غارات متعدده.

ثم خرج الفرنج من أنطاكية عقيب ذلك، و أغاروا على بلد شيزر و أخذوا ما لا يحصى، و أسروا جمعا، و طلبوا المقاطعه التى جرت عادتهم قبل الوقعه بأخذها، فبذل لهم ابن منقذ ذلك على أن يردّوا ما أخذوه، فلم يجيبوه إلى ذلك، فجعل لهم مالا حملة، و صالحهم إلى آخر السنه.

و هرب ملك العرب ديبس بن صدقه الأسديّ من المسترشد و السلطان محمود، فوصل إلى قلعه جعبر، فأكرمه نجم الدّوله مالكا، و أضافه، ثمّ

سار إلى إيلغازى إلى ماردین، و تزوج ابنته فاشتدّ به و أجاره، و وصل معه الأموال العظیمه و التّعمه الوافره، و حمل إليه إيلغازى ما يفوت الإحصاء.

فاشتغل إيلغازى بدییس عن العبور إلى الشام، فخرّب بلد حلب، و استولى الفرنج على معظمه، و أغار جوسلين إلى صفین (١)، و سبى العرب و التركمان، و نزل بزاعا و قاتلها، و أحرق بعض جدارها، و صونع على شىء و دخل بلده.

ثم هجم الفرنج، فى صفر من سنه خمس عشره و خمسمائه، الأثارب، و قتلوا جماعه و أحرقوها و أسروا من لم يعتصم بالقلعه.

ثم إنهم فى ربيع الآخر من السنه، نزلوا نواز (٢)، و زحفوا إلى الأثارب ثانيه، و أحرقوا الدّور و الغلّه، و سار بغدوين، و أغار على حلب؛ و أخذ الناس و الدواب من حاضر حلب و من الفنادق، و أخذ ما يجلّ قدره من الماشيه، و أسر نحوا من خمسين أسيرا، و صاح الصائح فخرج نفر يسير من العسكر فظفروا بالفرنج و خلّصوا المواشى، و عاد الفرنج إلى أعمالهم.

و كان النائب بحلب شمس الدّوله سليمان بن نجم الدين إيلغازى، و كان إيلغازى قد ولى رئاسه حلب، فى سنه أربع عشره فى رجب، مكى بن

---

١- تتوافق هذه الروايه مع ما أراده باختصار ابن القلانسى ص ٣٢٣، لكن ابن الأثير تحدث فى ج ٨ ص ٢٨٩ عن نشاط جوسلين فى منطقه طبريه، و صفين هى منطقه أبى هريره قرب الرقه حاليا.

٢- قريه كبيره فى جبل السماق فى بلد حلب. معجم البلدان.

قرناص الحمويّ، و جعله بين يديه، فكتب إلى ولده و نوابه يأمرهم بصلح الفرنج على ما يريدون، فصالحوهم على سمرمين و الجزر و ليلون و أعمال الشمال على أنها للفرنج، و ما حول حلب للفرنج منه التّصف، حتى أنّهم ناصفوهم في رحي الغريه(١) و على أن يهدم تلّ هراق بحيث لا- يبقى للفتنين فيه حكم، و طلبوا الأثارب فأجاب إيلغازي إلى ذلك، فامتنع من كان فيها من التّسليم فبقيت في أيدي المسلمين.

و كان الذي تولى الصلح جوسلين و جفري، و كان بغدوين في القدس، فلما وصل رضى بذلك، و شرع في عماره دير خراب قديم، بالقرب من سرمد(٢)، و حصّنه ثم أطلقه لصاحب الأثارب سير ألان دمسخين.

و أمر إيلغازي ولده باخراب قلعه الشّريف المجدّده بحلب و إخراج من كان فيها من جند رضوان، فأخرجهم شمس الدّوله و ابن قرناص بعذر الإغاره على أعمال الفرنج، و أغلقت أبواب حلب في وجوههم، و تولى الرئيس مكّي بن قرناص خرابها في جمادى الآخره.

و استنجد الملك طغرل بإيلغازي بن أرتق على الكرج و ملكهم داود، فسار إليه في عالم عظيم و معه ديبس بن صدقه، فكسرهم المسلمون، و دخلوا وراءهم في الدّرب، فكّر الكرج عليهم في الدّرب، فانهزم المسلمون

---

١- لعلها كانت قرب باب الجنان.

٢- سرمد قرية تابعه لمنطقه حارم في محافظه ادلب و تبعد عن ادلب مسافه ٦٤ كم.

و تبعهم الكرج قتلا و أسرا، و نهب لدييس ما مقداره ثلاثمائة ألف دينار، و وصل مع نجم الدين إيلغازى إلى ماردين سالما(١).  
و أنفذ إيلغازى إلى ابنه سليمان بحلب يلتمس منه أشياء، فقبح بذلك عنده، و قيل له أشياء أوجبت عصيانه على والده، فعصى و أخرج الملوك:

سلطان شاه و ابراهيم و غيرهما من حلب، فمضوا إلى قلعه جعبر، و مدّ يده فى مصادره أهل حلب و ظلمهم و الفساد.

و قيل: إن دييس بن صدقه لما سار مع إيلغازى إلى الكرج سأل إيلغازى فى الطّريق أن يهب له حلب و أن يحمل إليه دييس مائه ألف دينار يجمع بها التركمان و يعاضده حتى يفتح أنطاكيه، فأجابه إيلغازى إلى ذلك، و أخذ يده على ذلك.

فلما وقعت كسره الكرج بدا له من ذلك، فأنفذ إلى ولده سليمان، و كان خفيفا، و قال له: «أظهر أنك قد عصيت على حتى يبطل ما بينى و بين دييس». فحملة الجهل على أن عصى و نابذ أباه، و وافقه مكى بن قرناص و الحاجب ناصر، و هو شحنه حلب و غيرهما.

و قبض سليمان حجاب أبيه فصنعهم و حلق لحاهم، و مدّ يده إلى أموال الناس و ظلمهم، فطمع الفرنج و قرّبهم سليمان، فنزلوا زردنا و عمروها لابن صاحبها كليام بن الأبرص.

١- أوسع التفاصيل حول هذه الواقعة عند ابن الأزرقي الفارقي انظر الموسوعه الشاميه فى تاريخ الحروب الصليبيه ص ٥٢٣٠-٥٢٣٣.

ثم سار الفرنج إلى باب حلب، فكبسوا في طريقهم حاضر طيء و غيرها، فخرج إليهم الحاجب ناصر و العسكر فكسروهم و قتلوا منهم جماعه.

و خرج بغدوين في جمادى الآخرة، فنازل خناصره، و أخذها و خزبها، و حمل باب حصنها إلى أنطاكيه، و نزل برج سينا ففعل به كذلك، و كذلك فعل بغيرهما من حصون النقره و الأحص، و سبي و أحرقت و نهب.

و عاد فنزل صلدة - على نهر قويق - و خرج إليه اتز بن ترك طالبا منه الصيلى مع سليمان، فقال: «على شرط أن يعطينى سليمان الأثارب حتى أحفظه، و أنا أذب عنه و أقاتل دونه»، فقال له: «ما يجوز أن يسلم ثغرا من ثغور حلب فى بدو مملكته، بل التمس غير هذا ميا يمكن ليوافقك عليه» فقال له: «الأثارب لا - يقدر صاحب حلب على حفظها، فأنى قد عمرت عليها الحصون بما دارت، و أنا أعلمكم أنها اليوم تشبه فرسا لفارس قد عطبت يداها، و للفارس هرى شعير(1)، يعلفها رجاء أن تبرأ و يكسب عليها، فنفسد هرى الشعير، و عطبت الفرس، و فاته الكسب». ثم رحل نحوها، فحصرها ثلاثه أيام، و اتصل به ما أوجب رحيله إلى أنطاكيه.

و لما بلغ إيلغازى إصرار ولده على العصيان ضاقت عليه الأرض، و أعمل فى الوصول إليه و أخذ حلب منه، فكاتبه أقوام و عرفوه أن ما بحلب من يدفعه عنها، فسار حتى وصل إلى قلعه جعبر فضعفت نفس ابنه سليمان

---

١- الهرى بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان. القاموس.



عن العصيان على أبيه، فأنفذ إليه من استخلفه على الصّيفح عنه و الاحسان إليه و إلى من حسّن له العصيان مثل ابن قرناص و ناصر الحاجب، و أكّد الأيمان على ذلك.

و دخل حلب فى أول شهر رمضان فخرج الناس للقاءه، و دخل إلى القصر، و أحسن إلى أهل حلب، و سامحهم بشىء من المكوس، و صرف الشّحنة الّذى كان يؤذى الناس فى البلد.

و قبض على الرّئيس مكى بن قرناص و على أهله، و شقّ لسانه و كحله و أخذ ما وجد له، و سلّم أخاه إلى من يعذّبه و يستصفى ماله.

و كحل ناصر الحاجب، فعنى به من تولّى أمره فسلمت إحدى عينيه، و عرقب طاهر بن الزائر، و كان من أعوان الرّئيس مكى.

و أعاد الملوک أولاد رضوان من قلعه جعبر إلى حلب، و خطب بنت الملك رضوان، و تزوّج بها، و دخل بها بحلب، و ولى رئاسه حلب سلمان بن عبد الرزّاق العجلانى البالىسى، و ولى ابن أخيه بدر الدّوله سليمان بن عبد الجبار نيابته فى حلب، و صالح الفرنج مدّه سنه كامله، و أعطاهم من الضياع ما كان فى أيديهم أيام مملكتهم الأثارب و زردنا.

و سار فى محرّم من سنه ستّ عشره و خمسمائه إلى الشرق ليجمع العساكر، فمات وزيره بحلب أبو الفضل بن الموصول فى صفر و ولى الوزاره أبو الرجاء بن السرطان.

و عبر إيلغازى و بلڪ فى سابع عشر شهر ربيع الآخر الفرات- و كان بلڪ غازى ابن أخيه بهرام بن أرتق، و استدعاه من أعمال الزوم و بيده عده قلايع بالقرب من ملطيه- و صحبتها عدّه من التركمان دون ما جرت عادته باستصحابه، فعزل أبا الرجاء بن السرطان عن الوزارة، و قبض عليه لسعاه سعى به إليه عليه.

و نزل إيلغازى زردنا، نزل عليها فى العشرين من جمادى الأولى، و حصرها أياما و أخذ حوشها، و كان صاحبها قد سمع حين عبر إيلغازى الفرات أنه ينزلها، فجمع أصحابه و استحلفهم على المصابره من وقت نزولهم على مدّه خمس عشر يوما، و حلف هو لهم على أن ينجدهم، و مضى على أن يستجيش، فان جازت هذه المدّه و لم يصلهم فإنه يبتاع دماءهم بكلّ ما يملكه، و قال لهم: «و الله لكم على من الشاهدين، لئن لم يخلصكم إلا إسلامى إن قبله أسلمت على يديه لخلاصكم».

و خرج حتى وصل إلى بغدوين صاحب أنطاكيه، و هو بأكناف طرابلس فى حكمه بينه و بين صاحبها، فأخبره بعبور إيلغازى و بما بلغه من قصده زردنا، فقال: «مدحنا له و حلف لنا ما نكثنا، و حفظنا بلده فى غيبته و نحن شيوخ، و ما أظنه يغدر، بل ربّما قصد طرابلس أو قصدنى فى القدس، لأننى ما صالحته إلا على أنطاكيه و أعمالها، بل يجب أن تعود إلى أفاميه و كفرطاب و تكشف ما يتجدد». فعاد و كشف الأمر.

و سیر إلى بغدوين فأعلمه بنزوله إلى زردنا، فصالح صاحب

طرابلس، و شرط عليه الوصول إليه. و وصل أنطاكية، و استدعى جوسلين، و نصب المسلمون مجانيق أربعة على زردنا، و أخذوا الفصيل الأول، فوصل الفرنج بعد أربعة عشر يوما من منازل المسلمين لها، فنزلوا تحت الدّير.

و بلغ الخبر إيلغازى، فترك زردنا و توجه نحوهم، فنزل نواز، و طلب أن يخرج الفرنج من المضيق إلى السّعه فلم يخرجوا، فرجل إلى تلّ السلطان، و أتاك طغتكين فى صحبتته، فخرج الفرنج فنزلوا على نواز و هجموا ربض الأثارب و أحرقوا البيدر و الجدار.

و دخل صاحبها يوسف بن ميرخان قلعتها، و نزلوا أبين، و رحلوا منها فنزلوا دانيث، و أقاموا عليها فلم يصلهم أحد، فعادوا إلى بلادهم، فعاد إيلغازى فنزل زردنا، و هجم الحوش الثّانى، و قتل جماعه من الفرنج.

فعاد الفرنج و نزلوا تحت الدّير، فرحل إيلغازى إلى نواز، و أقام ثلاثة أيام يزاحف الفرنج و هم لا يخرجون إلى الصّحراء، فاتفق أن أكل إيلغازى لحم قديد كثيرا و جوزا أخضر و بطيخا و فواكه، فانتفخ جوفه و ضاق نفسه، و اشتدّ به الأمر، فرحل إلى حلب، و تزايد به المرض، فسار طغتكين إلى دمشق و بلك غازى إلى بلاده.

و دخل إيلغازى ليتداوى بحلب، فنزل القصر، و لم يخلص من علته، و خرج عسكر حلب فى ألف فارس إلى نبل (١) من عمل عزاز، و معهم

---

١- نبل من قرى أعزاز فى محافظة حلب و تبعد عن حلب مسافه ٢٢ كم.

أمراء منهم دولت بن قتلмыш، فنهبوا و عادوا؛ فوقع عليهم عند حربل(١) كليام في أربعين فارسا، فانهزم المسلمون و قتل منهم جماعة.

و في شهر رجب من هذه السنه، ظفر بلك غازى باللعين جوسلين و ابن خالته قمران(٢) بالقرب من سروج، فأسرهما و أسر ابن أخت طنكرید، و قد كان أسره في وقعه ليلون، و اشترى نفسه بألف دينار و أسر ستين فارسا.

و طلب جوسلين و قمران أن يسلمما ما بأيديهما من المعقل فلم يفعلوا و قالوا: «نحن و البلاد كالجمال و الحدج، متى عقر بعير حوّل رحله إلى آخر؛ و الذى بأيدينا قد صار بيد غيرنا». فأخذهما و مضى إلى بلده.

و وصل الفرنج بعد ذلك من تلّ باشر في شعبان، و كبسوا تلّ قباسين(٣) فخرج النائب ببزاعا مع أهلها فالتقوا، و انهزم المسلمون و قتل منهم تسعون رجلا.

و أمّا إيلغازى فأقام أياما، و صلح من مرضه، و سار إلى ماردین، ثم خرج منها يريد ميافارقين، فاشتدّ مرضه في الطريق، و توفّي بالقرب من ميافارقين بقریه يقال لها «عجولين»، في أول شهر رمضان من سنه ستّ عشره و خمسمائه.

١- حربل من قرى منطقه أعزاز في محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ٢٠ كم.

٢- أو في التفاصيل حول هذا الموضوع في نص السريانى المجهول، انظر كتابى الحروب الصليبيه ص ٤٨٤-٤٨٩.

٣- تل قباسين من قرى العواصم من أعمال حلب. معجم البلدان.

و ملك ابنه سليمان ميافارقين، و ابنه تمر تاش مارددين، و ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق حلب، و لما سمع صاحب أنطاكيه بوفاته حشد عسكره و جماعه من الأرمن، و نزل وادى بزاعا، و عاث فيه و أفسد ما قدر عليه، و حمل إليه أهل «الباب» من الوادى مالا و خدموه.

فرحل إلى بالس و قاتلها بالمنجنقات، و قرروا على بالس مع ابن مالك مالا يحمل إليه، فأسرف في الطلب و كان ببالس جماعه من التركمان و من خيل حلب، فخرج أهلها و الخيل التي عندهم و اقتتلوا، فقتل من الفرنج جماعه من المقدمين، و ظفر المسلمون أحسن ظفر.

فرحل بغدادين إلى الوادى و قد وصل [سليمان بن] إيلغازى فحصر البيره (١) و تسلّم حصنها على أن يؤمّن أهلها على أنفسهم فأخذهم و سار بهم إلى أنطاكيه، و تابعت غارات الفرنج حول حلب إلى آخر سنه ستّ عشره و خمسمائه.

و ولى بدر الدولة سليمان الوزاره بحلب أبا الرّجاء سعد الله بن هبه الله بن السّيرطان، فى صفر، بعدما قبض عليه إيلغازى - كما تقدم ذكره -

و جدّد بدر الدولة المدرسه التي بالرّجاجين بحلب، المعروفه ببنى

---

١- البيره بلده فى تركيه الآن- اسمها بيره جك- على الفرات قرب سميساط. الأعلام الخطيره- قسم الجزيره- ج ٢ ص ٧٦٩.

العجمي(١)، بإشاره أبي طالب بن العجمي. و ذكر لى أنه عزم على أن يقفها على الفرق الأربيع، و نقل آلتها من كنيسه دائره كانت بالطّحّانين بحلب.

و فى العاشر من شهر صفر من سنه سبع عشره و خمسمائه، استقر الصّلىح بين بدر الدّوله صاحب حلب و بين بغدوين صاحب أنطاكيه، و على أن يسلم بدر الدوله إليه قلعه الأثارب فتسلموها، و صارت لصاحبها أولا سير ألان دمسخين، و بقيت فى يده إلى أن مات، و كانت فى يد الحاجب جبريل بن برق، فعوضه بدر الدّوله عنها شحنكيه حلب.

و فى يوم الأربعاء تاسع عشر صفر، سار بغدوين صاحب أنطاكيه ليقاتل نور الدّوله بلك بن بهرام بن أرتق، و كان محاصرا قلعه كركر(٢)، فالتقى على موضع اسمه «اروش» بالقرب من قنطره سنجه، فكسره نور الدّوله بلك، و أسره، و قتل معظم عسكره و مقدّميه و نهب [خيمه]، و فتح [كركر] بعد جمعه؛ و كان فى دون عدّه الفرنج، و جعل بغدوين فى خرتبرت(٣) مع جوسلين و قمران.

ثم إنّ نور الدوله بلك عبر الفرات و نزل على حلب و ضايقتها، و نزل

١- تسمى الآن مجامع أبى ذر فى محله الجبيله. الآثار الإسلاميه و التاريخيه فى حلب ص ١٩٢.

٢- كركر أو جرجر: حصن و بلده قرب ملطيه بين سميساط و حصن زياد (خرتبرت) غربى الفرات تولاهما الخراب. اللؤلؤ المنثور ص ٥١٨.

٣- و يعرف أيضا باسم حصن زياد بأرض أرمينيه بين آمد و ملطيه. اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٦. و من أجل الأسرى انظر وليم الصورى ص ٥٩٠-٥٩١. مع نص السريانى المجهول.

من قبلتها، ثم انتقل إلى بانقوسا(١) و أقام أياما، و رحل إلى أرض النيرب، و جبرين(٢) و أمر بحرق الغله و أخذ الدواب.

و مضى قطعه من عسكره إلى حدادين(٣)، فأخذ أحدهم عنزا، فرماه بعض فلاحى الضيعة بسهم فقتله فحصرت مغارتها و أخذت بعد أن أمتنع أهلها من التسليم، فدخنوا على المغاره فاختنق بها مائه و خمسون.

و خنق فى مغاره تلّ عبود و تعجين جماعه و سبوا نساء عقر بوز(٤) و أولادها و باعوا بعضهم و استعبدوا بعضا و أخذ لاهل حلب جشير(٥) خيل ثلاثمائه رأس، و كان حريق الزرع من رهقات بلك و كان سببا للغلاء العظيم.

و فى صباح يوم الثلاثاء، غره جمادى الأولى من سنه سبع عشره و خمسمائه، تسلّم مدينه حلب سلّمها إليه مقامد بن سقويق بالأمان و مفرج بن الفضل، و نودى بشعار بلك من عدّه جهات، و كسر باب أنطاكيه، و أخربت ثلمه من غربى باب اليهود.

و فى يوم الجمعه رابع الشهر تسلّم القلعه و جلس بها بعدما نزل بدر الدوله منها بيوم؛ و قرر حالها، و أخرج سلطان شاه بن رضوان، و سيّره إلى حرّان، و كان قد فتحها فى شهر ربيع الآخر خوفا منه.

١- بانقوسا: جبل فى ظاهر حلب من جهه الشمال. معجم البلدان.

٢- جبرين: قريه على باب حلب. معجم البلدان.

٣- حدادين من قرى منطقه جبل سمعان فى محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ١٦ كم.

٤- عقربوز من قرى منطقه جبل سمعان فى محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ٣٦ كم.

٥- الجشير: المواشى على أنواعها.

ثم أنه سار إلى الباره و هجمها، و أسر الأسقف الّذى بها و قيده، و وّكل به (١)، و رحل إلى كفرطاب فغفل الموكل به فهرب إلى كفرطاب، فعزم على قتال حصنها و استرجاع الأسقف فى يوم الثلاثاء الثانى عشره من جمادى الآخره.

فوصله من أخبره أن بغدوين الزويس و جوسلين و قلران و ابن اخت طنكريد و ابن أخت بغدوين و غيرهم من الأسرى الّذين كانوا مسجونين بجب خرتبرت عاملوا قوما من أهل حصن خرتبرت فأطلقوهم، و وثبوا على الحصن فملكوه، و أخذوا كلّ ما كان لنور الدّوله فيه و كان جمله عظيمه، فقال جوسلين: «كنا قد أشرفنا على الهلاك و الآن فقد خلصنا، و الصواب أن نمضى و نحمل ما قدرنا عليه». فما سمحت نفس بغدوين بترك الحصن و الخروج منه (٢).

فاتّفق رأيهم على خروج جوسلين، و حلّفوه على أنه لا- يغيّر ثيابه و لا- يأكل لحما و لا- يشرب إلّا وقت القربان إلى أن يجمع جموع الفرنجه و يصل بهم إلى خرتبرت و يخلّصهم.

و أما بلك فإنّه سار حتّى نزل على خرتبرت ففتحته بالسيف فى ثالث و عشرين من رجب، و قتل كل من كان به من أصحابه الّذين كفروا نعمته

١- قارن و استفد من السريانى المجهول.

٢- مع نص السريانى المجهول انظر وليم الصورى ص ٥٩١-٥٩٥.



و من كان فيه من الفرنج، و لم يستبق سوى بغدوين الملك و قمران و ابن أخت بغدوين، و سيرهم إلى حرّان و حبسهم بها.

و أما جوسلين فمضى إلى القدس، و استنجد بالفرنج، و وصلوا تلّ باشر، فسمعوا خبر فتح خرتبرت بالسيف فسار إلى الوادى و قاتل بزاعا و أحرق بعض جدارها ثم أحرق الباب و قطع شجره، و أحرق ما سواه من الوادى.

ثم نزل حيلان(١) ثم حلب من ناحيه «مشهد الجفّ» من الشمال؛ و خرّب المشاهد و البساتين، و كسر الناس عند «مشهد طرود» بالقرب من بستان النقره؛ و قتل و سبى مقدار عشرين نفرا.

ثم رحل و نزل الجانب الغربى فى البقعه السوداء، و خرب مشاهد الجانب القبلى و بساتينه، و نبش الضريح الذى ب «مشهد الدكّه»(٢) فلم يجد فيه شيئا فألقى فيه النار، و الحلبيون فى كل يوم يقاتلونه أشدّ قتال، و يخسر معهم فى كلّ حركه.

ثم رحل يوم الثلاثاء مستهلّ شهر رمضان، و نزل السعدى(٣)، و قطع شجره، و افترقوا منه و سار كلّ إلى بلده، و وجد فى منازلهم التى نزلوها نيف و أربعون حصانا موتى، و نبش الناس منهم موتى جماعه.

١- حيلان: قريه قرب حلب تخرج منها عين فواره كثيره الماء سيقّت إلى حلب. معجم البلدان.

٢- اسمه الآن الشيخ محسن. الآثار الإسلاميه ص ٥٦-٥٨.

٣- انظر الأعلام الخطيره- قسم حلب- ج ١ ص ٣٧١-٣٩٩.

فأمر القاضي ابن الخشاب بموافقته من مقدّمي حلب أن تهدم محاريب الكنائس التي للنصارى بحلب، و أن يعمل لها محاريب إلى جهة القبلة و تغيّر أبوابها، و تتخذ مساجد: ففعل ذلك بكنيستهم العظمى، و سمّى مسجد السراجين (١): و هو مدرسه الحلاويين الآن. و كنيسه الحدادين: و هي مدرسه الحدادين (٢) الآن؛ و كنيسه بدرب الحراف: و هي مكان مدرسه ابن المقدم (٣). و لم يترك للنصارى بحلب سوى كنيستين لا غير، و هي الآن باقيه.

هذا كلّه و نور الدّوله بلّك غائب عن مدينه حلب في بلاده.

ثم إنّ جوسلين خرج في تاسع عشر شهر رمضان إلى الوادي و الثّقره و الأحصّ، و أخذ ما يزيد عن خمسمائه فرس كانت في العزيب (٤)، حتّى لم يبق بحلب من الخيّاله خمسون فارساً لهم خيل، و أخذ من الدّواب البقر و الغنم و الجمال ما لا يحصى، و قتل و سبي و خرب ما أمكنه و عاد إلى تل باشر.

و خرج سير الآن في عسكر أنطاكيه من الأثارب حتّى وصل الحانوته (٥) و حلفاء، و أخذ ما كان بقي من خيل في العزيب في الجانب القبليّ، و ذلك مقدار ثلاثمائة فرس؛ و أخذ قافله كانت واصله من شيزر بغلّه.

١- هو الآن المدرسه الحلويه. الآثار الإسلاميه ص ٥٢-٦٢.

٢- انظر الآثار الإسلاميه ص ٢٥٢.

٣- هي في محله الجلوم. انظر الآثار الإسلاميه ص ٦٧-٦٨.

٤- العزيب من الإبل و الشاء التي عذب عن أهلها في المرعى، و إبل عزيب لا تروح على الحى. القاموس.

٥- الحانوته الآن اسمها تل الحواصيد، و تبعد عن حلب مسافه ٦٠ كم.

ثم عبر جوسلين من الفرات إلى شبختان و أغار على تركمان و أكراد، فأخذ من الغنم و الخيل ما يزيد على عشرة آلاف و سبى و قتل، و من سلم له فرس من عسكر حلب يخرجون مع الحراميه و لا يقطعون الغارات على بلادهم، و يحضرون الأسارى مرّه بعد أخرى.

ثم أغار جوسلين على الجبّول، و ما حولها، و أخذ دوابّ كثيره و توجه إلى دير حافر، فخنق أهلها بالدخان في المغاير، و فتح المقابر، و سلب الموتى أكفانهم.

و في يوم الأربعاء سادس عشرين من ذى القعدة، عبر بلڪ إلى الشام و قبض على نائب بهرام داعى الباطنيه بحلب، و أمر بإخراجهم من حلب فباعوا أموالهم و رحالهم و خرجوا منها.

ثم إنَّ الأمير نور الدّوله بلڪ جمع العساكر، و وصله أتابك طغتكين بعسكر دمشق و عسكر أبق سنقر البرسقى، و عبروا حتى نزلوا على عزاز، و ضايقوها بالحصار، و أخذوا عليها نقوبا إلى أن سهل أمرها، فتجمّع الفرنج و قصدوا ترحيل المسلمين عنها فالتقى الجيشان، و هزم المسلمون، و تفرّقوا بعد قتل من قتل و أسر من أسر.

و عمّر بلڪ حصن الناعوره بالنقره و حصن المغاره- على شطّ الفرات- و تزوّج بالخاتون فرخنده خاتون بنت رضوان، و عرس بها في ثالث و عشرين ذى الحجّه من سنه سبع عشره و خمسمائه.

و في المحرّم من سنه ثمانى عشره و خمسمائه، تنكّر بلڪ على رئيس حلب

سلمان العجلاني و جعل عليها رجلا من أهل حرّان اسمه محمد بن سعدان، و يعرف بابن سعدانه، و كثر الأمن من الدّعار و قطع الطريق عند قدوم بلّك حلب؛ و أقام الهيبة العظيمة؛ و تقدّم بفتح أبواب حلب ليلا و نهارا، و حسم مادّه أرباب الفساد. و قال للحارس: «إنّ عدت سمعتك تصيح ضربت عنقك!».

و نقل بغدوين و من كان معه من حبس حرّان، فحبسه في قلعه حلب.

و توجّه في شهر صفر فرقه من أصحابه الأتراك إلى ناحيه عزاز فوق وقع بينهم و بين الفرنج وقعه عند مشحلا(١)، و ظفر بهم الأتراك، و قتلوا منهم أربعين رجلا من الخياله و الرّجاله و أخذوا أسلابهم، و وصل الباكون عزاز و ما فيهم إلّا من جرح جراحا عدّه.

و انقطع المطر في كانونين و نصف شباط، ثم تدارك فأخصب الزرع و استغلّ الناس، و كان بحلب غلاء شديد.

و في صفر من سنه ثمانى عشره و خمسمائه، تنكّر نور الدوله بلّك على حسّان بن كمشتكين صاحب منبج لشيء بلغه عنه، فأنفذ قطعه من عسكره مع ابن عمه تمر تاش بن إيلغازى بن أرتق، و تقدّم إليهم أن يمروا على منبج، و يطلبوا من حسّان أن يخرج معهم للإغاره على تلّ باشر فإذا خرج

---

١- مشحلا: قرية من نواحي اعزاز من أعمال حلب. معجم البلدان.

قبضوه، ففعلوا ذلك، و دخلوا منبج، و عصى عليهم الحصن و دخله عيسى أخو حسان.

و سير حسان فحبس فى حصن بالو(١) بعد أن عوقب و عزى، و سحب على الشوك فلم يسلمها أخوه.

و كتب عيسى إلى جوسلين: «إن وصلتني و كشفت عنى عسكر بلك سلمت إليك منبج». و قيل: إنه نادى بشعار جوسلين بمنبج، فمضى إلى بيت المقدس و طرابلس و جميع بلاد الفرنج، و حشد ما يزيد على عشرة آلاف فارس و راجل، و وصل نحو منبج ليرحل بلك عن منبج.

فسار إليه بلك لما قرب من منبج، و التقيا يوم الاثنين ثامن عشر شهر ربيع الأول، و اقتتل العسكران، و انهزم الفرنج، و تبعهم المسلمون يقتلون و يأسرون إلى آخر النهار.

و حمل فيهم بلك ذلك اليوم خمسين حملة يفتك فيهم و يخرج سالما، يضرب بالسيوف و يطعن بالرماح و لا يكلم، و عاد إلى منبج فبات مصليا مبتهلا إلى الله تعالى لما جدده على يده من الظفر بالفرنج.

و أصبح يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الأول قتل كل أسير أسره فى الوقعه، ثم زحف نحو الحصن ليختار موضعا ينصب فيه المنجنيق، و عليه بيضه و بيده ترس.

---

١- بالو: قلعه حصينه و بلده من نواحي أرمينية بين أرزن الروم و خلاط. معجم البلدان.

و كان قد عزم على أن يستخلف ابن عمه تمر تاش بن إيلغازى على حصار منبج، و يطلع منجدا لأهل صور، فإنَّ الفرنج كانوا فى مضايقتها(١)، و فى تلك المضايقه أخذوها، فبينا كان بلك قائما يأمر و ينهى إذ جاءه سهم من الحصن، و قيل: إنَّه كان من يد عيسى فوق فى ترقوته اليسرى فانتزعه و بصق عليه، و قال: «هذا قتل المسلمين كلهم»، و مات لوقته.

و قيل: بقى ساعات و قضى نحبه- رحمه الله- و حمل إلى حلب، و دفن بها قبلى مقام ابراهيم(٢)- عليه السّلام-.

و وصل حسام الدين تمر تاش بن إيلغازى إلى حلب يوم الأربعاء العشرين من شهر ربيع الأوّل، و دخل القلعه و نصب علمه، و نادى الناس بشعاره.

و سار سليمان بن إيلغازى من ميفارقين إلى خرتبرت و حصون بلك، و هى تيف و خمسون موضعا فتسلّمها.

و سار داود بن سكرمان، فأخذ حصن بالو و أطلق حسّان بن كمشكين فعاد إلى منبج.

فأما تمر تاش فإنَّه لَمَّا ملك حلب ألهاه الصّبى و اللعب عن التشمير و الجدّ و النظر فى أمور الملك، ففسدت الأحوال، و ضعف أمر المسلمين بذلك،

١- انظر ابن القلانسى ص ٣٣٦-٣٣٧.

٢- اسمه الآن مقام الصالحين. الآثار الإسلاميه ص ٥٢-٥٣.

و استوزر أبا محمّد بن الموصول، ثم عزله و صادره في رجب من سنة ثمانى عشره و استوزر أبا الرّجاء بن السّيرطان، و ولى الرئاسه بحلب فضائل بن صاعد بن بديع.

و سّير إلى حرّان فحمل منها سلطان شاه بن رضوان، و كان بلك أسكنه بها؛ فاعتقله في دار بقلعه ماردین و كان فيها طاقه فتدلّى منها بحبل و هرب إلى دارا، ثم رحل منها إلى حصن (١) كيفا إلى داود بن سکمان.

و في العشر الأواخر من ربيع الأول سار نائب جوسلين من الرها و أغار على ناحیه شبختان و نهبها فسار إليه نائب تمرتاش عمر الخاص و كان نائبه و ريب أبيه إيلغازى و ركب خلفه في ثلاثمائه فارس فلحقه على مرج اكساس، فقاتله و هزمه و قتله، و قتل أكثر من كان معه من الفرنج، و عاد غانما، و أنفذ رؤوسهم و ما غنمه إلى تمرتاش إلى حلب.

و ولّاه تمرتاش شحنكيه حلب، و هو المدفون في القبه التي مقابل باب مشهد ابراهيم- عليه السلام- و اسمه مكتوب على جهاتها الأربع.

و ولى قلعه حلب رجلا يقال له عبد الكريم.

و في غره جمادى الأولى من هذه السنه استقرّ الأمر بين الملك بغدوين صاحب أنطاكيه- و كان في سجن بلك بحلب- و بين تمرتاش بن إيلغازى على تسليم الأثارب و زردنا و الجزر و كفرطاب، و على تسليم عزاز و ثمانين ألف دينار، و قدّم منها عشرين ألف دينار.

١- بلده عظيمه مشرفه على دجله بين آمد و جزيره ابن عمر. اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٧.

و حلف على ذلك و على أن يخرج ديبس بن صدقه (١) من الناس، و كان قد وصل ديبس منهزما من المسترشد بعد أن كسره المسترشد، و قتل خلقا من عسكره فترك بلاده، و حمل ما قدر عليه من العين و العروض على ظهور المطايا؛ و وفد على ابن سالم بن مالك بن بدران إلى قلعه دوسر، و استجار به فأجاره، و غاضب المسترشد و السلطان محمودا في أمره.

و كاتب ديبس قوما من أهل حلب؛ و أنفذ لهم جملة دنانير، و سامهم تسليمها إليه، و كشف ذلك رئيسها فضائل بن صاعد بن بديع، فأطلع على ذلك تمرتاش بن إيلغازي، فأخذهم و عذبهم و شق بعضهم، و صادر بعضا، و أحرق بعضا.

و كان المتوسط حديث بغدوين مع تمرتاش الأمير أبو العساكر سلطان بن منقذ، و سير أولاده و أولاد إخوته رهنا عن بغدوين إلى حلب.

و فكّت قيود بغدوين و أحضر إلى مجلس تمرتاش، و تواكلا و تشاربا و خلع عليه قباء ملكيا و قلنسوه ذهب و خفافا و رانا (٢)؛ و أعيد عليه الحصان الذي كان أخذه منه بلسك يوم أسره، فركبه، و سار إلى شيزر يوم الأربعاء رابع جمادى، فبقى عند أبي العساكر حتى أحضر جماعه رهنا على الوفاء بما شرطه لتمرتاش و هم: ابنته، و ابن جوسلين، و غيرهما من أولاد الفرنج، و عذبهم اثنا عشر نفرا، و حمل العشرين ألف دينار التي عجلها.

١- لديس ترجمه مفیده فی بغیہ الطلب ص ٣٤٧٨-٣٤٩٣.

٢- ما يشد حول الساق.



و قبض صاحب شيزر الرهائن، و أطلق بغدوين من سجن شيزر، فى يوم الجمعة سابع عشر شهر رجب، فخرج - لعنه الله - و غدر بتمرتاش و أنفذ إليه يقول: «البطريك الذى لا يمكن خلافه سألتى عما بذلت، و ما الذى استقرّ، فحين سمع حديث عزاز و تسليم حصنها منى أبى، و أمرنى بالدفع عنها و قال: إنّ خطيئتك تلزمنى، و لا أقدر على خلافه». فترددت الرسل بينهما فلم يستقرّ على قاعده.

و خالط ديبس جوسلين و بغدوين، و صافاهم و صافوه بوساطه الأمير مالك بن سالم صاحب قلعه جعبر، و اتفق ديبس و الفرنج على قواعد تعاهدوا عليها منها أن تكون حلب لديس و الأموال و الأرواح للفرنج مع مواضع من بلد حلب تكون للفرنج؛ و تقدّم ديبس إلى مرج دابق فخرج إليه حسام الدين تمرتاش فكسره.

و سار تمرتاش من حلب عندما علم بغدر الفرنج به إلى ماردین، فى الخامس و العشرين من شهر رجب، ليستنجد بأخيه سليمان بن إيلغازى و بجمع العساكر، و بقى بنو منقذ رهائن بقلعه حلب عند تمرتاش، و أولاد الفرنج رهائن عند أبى العساكر بن منقذ بشيزر.

و الرسل مع هذا تردد بين تمرتاش و بغدوين إلى أن عادت الرسل فى ثامن عشر شعبان مخبره بنقض الهدنه، و بخروج بغدوين إلى أرتاح قاصدا النزول على حلب.

و رحل بغدوين من أرتاح حتى نزل على نهر قويق و أفسد كلّ ما كان

عليه، ثم رحل فنزل على باب حلب، فى يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان، وهو السادس من تشرين الأول.

وخرج ديبس وجوسلين من تلّ باشر، وقصدا ناحيه الوادى، وفسدا القطن والدخن، و سائر ما كان به وقوم ذلك بمائه ألف دينار، ورحلا و نزلا مع بغدوين على حلب، و وصل إليهم الملك سلطان شاه بن رضوان.

و نزل بغدوين مقدّم الفرنج من الجانب الغربى من حلب فى الحلبه، و نزل جوسلين على طريق عزاز و ما يجاوره يمنه و يسره. و نزل ديبس و سلطان شاه بن رضوان ممايلى جوسلين من الشرق؛ و فى صحبه ديبس عيسى بن سالم بن مالك.

و نزل يغبى سبان بن عبد الجبار بن أرتق صاحب بالس ممايلى ديبس من الشرق، و كانت عدّه الخيم ثلاثمائه: للفرنج مائتا خيمه، و للمسلمين مائه خيمه.

و أقاموا على حلب يزاحفونها، و قطعوا الشجر و خربوا مشاهد كثيره، و نبشوا قبور موتى المسلمين، و أخذوا توابيتهم إلى الخيم و جعلوها أوعيه لطعامهم، و سلبوا الأكفان، و عمدوا إلى من كان من الموتى لم تنقطع أوصاله، فربطوا فى أرجلهم الحبال، و سحبوهم مقابل المسلمين.

و جعلوا يقولون: «هذا نبيكم محمد» و آخر يقول: «هذا عليكم» و أخذوا مصحفا من بعض المشاهد بظاهر حلب و قالوا: «يا مسلم أبصر

كتابكم». و ثقبه الفرنجى بيده، و شدّه بخيطين، و عمله ثفرا(١) لبرذونه؛ فظل البرذون يروث عليه، و كلّمَا أبصر الروث على المصحف صَفَّق بيديه و ضحك عجباً و زهوا.

و أقاموا كلّمَا ظفروا بمسلم قطعوا يديه و مذاكيره و دفعوه إلى المسلمين؛ و المسلمون يفعلون بمن يأسرونه من الفرنج كذلك. و ربّما شتق المسلمون بعضهم، و يخرج الغزاه من باب العراق، و يسرقونهم من المخيم، و يقطعون عليهم الطّرق، و يقتلون و يأسرون.

و يصيح المسلمون على ديبس من الأسوار: «ديبس، يا نحيس». و الرسل تتردد بينهم فى الصّيلح، و لا يستتب إلى أن ضاق الأمر بالمسلمين جدًا.

و كان بحلب بدر الدّوله سليمان بن عبد الجبّار و الحاجب عمر الخاص، و معهما مقدار خمسمائه فارس، و الذى يتولّى تديرها و هو فى مقام الرئاسه القاضى أبو الفضل بن الخشّاب، و تولّى حفظ المكان و بذل المال و الغلال.

فاتفقوا على أن سيّروا جدّ أبى قاضى حلب القاضى أبا غانم محمد بن هبه الله بن أبى جراده و نقيب الأشراف و أبا عبد الله بن الجلى فخرجوا ليلا، و مضوا إلى تمر تاش إلى ماردين مستصرخين إليه و مستغيثين به فوجدوه و قد مات أخوه سليمان بن إيلغازى صاحب ميافارقين فى شهر رمضان، و سار تمر تاش إلى بلاده ليملكها، و اشتغل بملك تلك البلاد عن حلب.

١- الثفر: الجلده التى توضع تحت الذيل و يربط بها حلس الدابه.

و كانت الرسل متردده بينه و بين أقر سنقر البرسقى صاحب الموصل فى اتفاق الكلمه على قصد الفرنج و كشفهم عن حلب؛ فاشتغل بهذا الأمر عن هذا التقرير، و الحلبيون عنده يمنيهم و يملطهم.

و لما خرج الحلبيون من حلب بلغ الفرنج ذلك فسيروا خلفهم من يلحقهم، فلم يدركهم و أصبحوا فى صباح تلك الليله و صاحوا إلى أهل حلب: «أين قاضيكم؟ و أين شريفكم؟» فأسقط فى أيديهم إلى أن وصل منهم كتاب بخبر سلامتهم.

و بقى الحلبيون عند تمرتاش يحثونه على التوجه إلى حلب، و هو يعدهم و لا يفعل، و هم يقولون له: «نريد منك أن تصل بنفسك، و الحلبيون يكفونك أمرهم».

فضاق الأمر بالحلبيين إلى حدّ أكلوا فيه الكلاب و الميتات، و قلت الأوقات، و نفذ ما عندهم، و فشا المرض فيهم، فكان المرضى يثنون لشده المرض، فإذا ضرب البوق لزحف الفرنج قام المرضى كأنما أنشطوا من عقال، و زحفوا إلى الفرنج و ردّوهم إلى خيامهم، ثم يعودون إلى مضاجعهم.

فكتب جدى أبو الفضل هبه الله بن القاضى أبى غانم كتابا إلى والده يخبره بما آل أمر حلب إليه من الجوع، و أكل الميتات، و المرض؛ فوقع كتابه فى يد تمرتاش فغضب و قال: «انظروا إلى هؤلاء يتجلّدون علىّ، و يقولون إذا وصلت فأهل حلب يكفونك أمرهم، و يغزّرون بى حتى أصل فى قلّه، و قد

بلغ بهم الضعف إلى هذه الحالة».

ثم أمر بالتوكيل و التضييق عليهم، فشرعوا في أعمال الحيله و الهرب إلى أق سنقر البرسقى، ليستصرخوا به فاحتالوا على الموكلين بهم، حتى ناموا و خرجوا هارين، فأصبحوا بدار(١).

و ساروا حتى أتوا الموصل، فوجدوا البرسقى مريضا مدنفا، و الناس قد منعوا من الدخول عليه إلا الأطباء، و الفروج يدق له لشده الضعف، و وصل إلى ديبس من أخبره بذلك، فضرب البشاره في عسكره، و ارتفع عنده التكبير و التهليل، و نادى بعض أصحابه أهل حلب: قد مات من أمّلتكم نصره، فكادت أنفس الحلبيين تزهق.

و اسؤذن للحلبيين على البرسقى فأذن لهم، فدخلوا إليه، و استغاثوا به، و ذكروا له ما أهل حلب فيه من الضرّ، فأكرمهم - رحمه الله - و قال لهم: «ترون ما أنا فيه الآن من المرض، و لكن قد جعلت لله على نذرا إن عافاني من مرضى هذا لأبدلنّ جهدى في أمركم، و الذبّ عن بلدكم، و قتال أعدائكم».

قال القاضي أبو غانم قاضى حلب: فما مضى ثلاثه أيام بعد ذلك حتى فارقتة الحمى، فأخرج خيمته، و نادى فى العساكر بالتأهب للجهاد إلى حلب.

---

١- مدينه الآن بتركيه هي فى لحف جبل بين نصيبين و ماردين. معجم البلدان.

و بقى أياما و عمل العسكر أشغاله و خرج- رحمه الله- فى عسكر قوى، فوصل إلى الرّحبه، و كاتب أتابكك طغتكين صاحب دمشق، و صمصام الدّين خير خان بن قراجا صاحب حمص.

و رحل إلى بالس، و سار منها إلى حلب فوصلها يوم الخميس لثمان بقين من ذى الحجه من سنه ثمانى عشره.

و لما قرب من حلب رحل ديبس ناشرا أعلامه البيض إلى الفرنج عند قربه من حلب، و تحوّلوا إلى جبل جوشن كلّهم، و خرج الحلبيون إلى خيامهم فنهوها و نالوا منها ما أرادوا.

و خرج أهل حلب و التقوا قسيم الدوله عند وصوله، و سار نحو الفرنج فانهمزوا بين يديه من جبل جوشن، و هو يسير وراءهم على مهل حتى أبعدها عن البلد.

فأرسل الشالشيّه(١)، و أمرهم أن يردّوا العسكر، فجعل القاضى ابن الخشّاب يقول له: «يا مولانا لو ساق العسكر خلفهم أخذناهم، فانهم منهزمون و العسكر محيطه بهم». فقال له: «يا قاضى تعلم أنّ فى بلدكم ما يقوم بكم و بعسكرى لو قدر علينا- و العياذ باللّٰه- كسرّه؟» فقال: «لا».

فقال: «ما يؤمّنا أن يرجعوا علينا و يكسرونا، و يهلك المسلمون، و لكن قد كفى اللّٰه شرّهم و ندخل إلى البلد و نقوّيه و ننظر فى مصالحه، و نجتمع لهم إن شاء اللّٰه، و نخرج إليهم بعد ذلك»(٢).

١- حملة شارات و أعلام كانوا يقومون بوظيفه مراقبه أمن الجيش و نظامه.

٢- لمزيد من التفاصيل انظر ترجمه آق سنقر البرسقى فى بغيه الطلب ص ١٩٦٣ - ١٩٧٠.

و رجع و دخل البلد و تسلّم قلعتها، و نظر فى مصالح البلد و قوّاه، و أزال الظلم و المكوس و عدل فيهم عدلا شاملا و أحسن إليهم إحسانا كاملا.

و كتب لأهل حلب توقيعا باطلاق المظالم و المكوس، نسخته موجوده، بعدما كان الحلبيون منوا به من الظلم و المصادره من عبد الكريم والى القلعه، و عمر الخاص والى البلد، و تسليطهما الجند و الأتراك على مصادره الناس بحيث أنهم استصفوا أموالهم من الأكاير و الصدور و غيرهم فى حاله الحصار.

و أما الفرنج فانهم توجّهوا إلى الأثارب و دخلوا أنطاكيه.

و شرع الناس فى الزرع ببلد حلب فى الثانى عشر من شباط و جعلوا يبلّوا الغلّه بالماء، و يزرعونها فنبتت و تداركت عليها الأمطار فأخصبت، و جاءت الغلّه من أجود الغلال و أزكاها.

و أطلق البرسقى بنى منقذ من الاعتقال بقلعه حلب، و رحل إلى تلّ السلطان فى سنه تسع عشره و خمسمائه، فى أواخر المحرم، و أقام به ثلاثه أيام، و رحل إلى أن وصل إلى شيزر فى سابع صفر، و تسلّم أولاد الفرنج من ابن منقذ، و باعهم بثمانين ألف دينار حملت إليه.

و أقام بأرض حماه أياما حتى وصل إليه أتابك طغتكين، فرحل فى عساكره التى لا تحدّ كثره، و نزل كفرطاب فسلمت إليه يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر، و سلّمها إلى صمصام الدين خيرخان بن قراجا، و كان قد

وصل إليه من حمص و التقاه بتلّ السلطان.

و سار إلى عزاز و قاتلها، و نقتب قلعته فقصدهم الفرنج، فالتقوا سادس عشر ربيع الآخر، و كسر البرسقى كسر عظيمه، و استشهد جماعه من المسلمين من السّوقه و العامه، و لم يقتل من الأمراء و المقدّمين أحد.

و وصل أق سنقر البرسقى سالما إلى حلب، و أقام على قنّسرين أياما، و تفرّقت العساكر إلى بلادهم، و وصل أمير حاجب صارم الدّين بابك بن طلّماس، فولّاه البرسقى حلب و بلدها، و عزل عنها سوتكين واليا كان ولّاه.

و وقعت الهدنه بين البرسقى و الفرنج على أن يناصفهم في جبل السّيماق و غيره مما كان بأيدي الفرنج، و سار البرسقى إلى الموصل فلم يزل الفرنج يعلّون الشّحن و المقطعين بالمحال في مغلّ ما وقعت الهدنه عليه إلى العشرين من شعبان من السنّه.

و سار بغدوين إلى بيت المقدس و الرسول خلفه يعلمه بأن الفرنج لا يمكنون أحدا من رفع شىء من الصّيافي؛ و أخذ بعض متصرفى المسلمين بعض الارتفاع من بعض الأماكن و الهدنه على حالها، فتجمّع الفرنج و نزلوا رفيه.

و خرج شمس الخواص صاحبها طالبا أق سنقر البرسقى مستصرخا به، و سلّمها إليهم ولده المستخلف فيها فى آخر صفر من سنه عشرين و خمسمائه، و قصدوا بلد حمص فشعّثوه.



فجمع البرسقيّ العساكر و حشد، و سار نحو الشّام لحربهم حتى وصل الرّقه في أواخر شهر ربيع الآخر، و سار إلى أن نزل بالثّقره على التّاعوره في الشهر المذكور، و أقام به أيّاما و الفرنج يراسلونّه، فراسله جوسلين على أن تكون الضّياع ما بين عزاز و حلب مناصفه و أن يكون الحرب بينهما على غير ذلك، فاستقرّ هذا الأمر.

و كان بدر الدّوله سليمان بن عبد الجبّار و شهريار بك ابن عمه، قد توجّها مع جماعه من التركمان إلى المعرّه فأوقعوا بعسكر الفرنج، و قتل المسلمون منهم مائه و خمسين، و أسروا جفري بلنك، صاحب بسرفوث، من جبل بنى عليم، و أودع في سجن حلب.

و كان قد سيّر البرسقيّ ولده عزّ الدين مسعودا منجدا لصاحب حمص، فاندفع الفرنج عنها فعاد عزّ الدين إلى والده، فتركه بحلب، و عزل بابك عن ولايتها و ولّاهها كافور الخادم إلى أن ينظر فيمن يوليه إياها ولايه مستقله.

و رحل قسيم الدوله إلى الأثارب في الثامن من جمادى الآخره من سنه عشرين، و سيّر بابك بن طلماس في جماعه من العسكر و النّقابين إلى حصن الدير المجدّد فوق سرمداء ففتحه سلما.

و قتل من الخياله بعد ذلك خمسون فارسا، و نهب العساكر الغلال و الفلاحين في سائر البلد الذي وصلت الغارات إليه، و رفعوا الغلّه جميعها إلى حلب، و زحفوا إلى قلعه الأثارب، و خربوا الحوشين، و لم يتيسر فتحها.

و وصل بغدوين من القدس فى جموع الفرنج، و وصل إليه جوسلين، و نزلوا عم(١) و أرتاح، و سيّروا إلى البرسقى: «ترحل عن هذا الموضع، و تتفق على ما كُنّا عليه فى العام الخالى، و نعيد رفيه عليك»، فتجنّب الحرب، و خشى أن يتم على المسلمين ما تمّ على عزاز فصالحهم إلى أن فرّج الخناق عن الأثارب، و خرج صاحبها بماله و رجاله.

فغدر الفرنج و قالوا: «ما نصالح إلّا على أن تكون الأماكن التى ناصفنا فيها فى العام الماضى لنا دون المسلمين». فامتنع من ذلك و أقام على حلب أياما و الرسل تتردد بينهم، فلما لم تتفق حال عاد أق سنقر، و نزل قنسرين، و رحل إلى سرمين، و امتدت العساكر إلى الفوعه و دانيث.

و نزل الفرنج على حوش معزّه مصرين، فأقاموا كذلك إلى نصف رجب، و نفذت أزواد الفرنج، فعادوا إلى بلادهم، ثم عاد البرسقى و فى صحبته أتابك طغتكين، و كان وصل إليه و هو على قنسرين فدخلوا من العسكر و نزلوا باب حلب.

و مرض أتابك فعملت له المحفّات، و أوصى إلى البرسقى، و توجه إلى دمشق، و سلّم البرسقى حلب و تديرها إلى ولده عزّ الدين مسعود، فدخل حلب، و أجمل السيره و تحلّى بفعل الخير.

و سار أبوه إلى الموصل، فدخلها فى ذى القعدة سنه عشرين

---

١- عمّ: قريه غناء ذات عيون جاريه و أشجار متدانيه بين حلب و أنطاكيه- معجم البلدان.

و خمسمائه، و قصد الجامع بها ليصلّي فيه يوم الجمعة تاسع ذى القعدة، و قصد المنبر، فلما قرب منه وثب عليه ثمانية نفر في زيّ الرّهاد، فاخترطوا خناجر و قصدوه و عليه درع من الحديد، و حوله جمع عظيم و هو متحفظ منهم، فسبّحوا أصحابه إليه، فضرّبوه حتى أثخنوه و حمل جريحا فمات من يومه.

و قتل من كان وثب عليه من الباطنيّ غير شاب واحد كان من كفر ناصح (١) - ضيعه من عمل عزاز - فإنّه سلم، و كان له أم عجوز فلما سمعت بقتل البرسقى و قتل من وثب عليه و كانت قد علمت أنّ ابنها معهم فرحت و اكتحلت و جلست مسروره فوصلها ابنها بعد أيام سالما فأحزنها ذلك، و جزّت شعرها و سوّدت وجهها.

و قيل: إنّ البرسقى قتل بيده منهم ثلاثة، و كان البرسقى - رحمه الله - قد رأى تلك الليله في منامه عدّه من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها، و نال منه الباقون أذى شديدا، فقصّ رؤياه على أصحابه، فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدّه أيام، فقال: «لا أترك الجمعة لشيء أبدا»، و كان من عادته أن يحضر الجمعة مع العامه - رحمه الله - و كان وزير البرسقى المؤيد بن عبد الخالق، و كان قدم معه حلب حين قدمها.

و ملك عزّ الدين مسعود حلب عند ورود الخبر عليه بقتل أبيه في سنه

---

١- ما تزال كفر ناصح تحمل الاسم نفسه و هي في منطقه جبل سمعان - محافظه حلب و تبعد عن حلب مسافه ٣٣ كم. انظر بغيه الطلب ١٩٦٨ - ١٩٧٠ حيث المزيد من التفاصيل.

عشرين، و استوزر المؤيد وزير أبيه و ولى فيها من قبله الأمير تومان.

و سار من حلب فى سنه إحدى و عشرين و خمسمائه إلى السلطان محمود و هو ببغداد، فسأله أن ينعم عليه ببلاد أبيه، فكتب له منشورا بذلك، فوصل إلى الموصل و ملكها، ثم نزل إلى الرّحبه قاصدا إلى الشام؛ و كان يظن أن قاتل أبيه قوم من أهل حماه، فأضمر للشّام و أهله شرّا عظيما.

و رجع عما كان عليه من الأفعال المحموده و الإقبال على مجاهده الفرنج، و بلغ طغتكين عنه أنه يقصده، فتأهب له فلما نزل بظاهر الرّحبه امتنع واليها من تسليمها، فحاصرها أياما فسلمها الوالى إليه، و نزل فوجده قد مات فجأه، و قيل: سقى سما فمات.

و ندم الوالى على تسليم الرّحبه، و كان قد وصلت قطعه من العسكر لتقويه حلب فمنعهم تومان من الدّخول إليها، فوقع الشّر بينه و بين رئيس حلب فضائل بن بديع، و داخلهم إلى حلب.

فوصل إلى حلب ختلغ أبه(١) السّيلطانيّ غلام السّيلطان محمود، و معه توقيع مسعود بن البرسقى بحلب، كتبه قبل وصوله إلى الرّحبه فلم يقبله تومان والى حلب فعاد ختلغ أبه إلى الرّحبه،- و قد جرى فيها ما ذكرناه من موت مسعود.-

فعاد ختلغ أبه على فوره إلى حلب فتسلّمها من يد تومان، آخر جمادى

الآخـره، و صعد إلى قلعـتها بطالع اختاره له المنجـمون، فأخذـه الطمـع في أموال الناس، و صادر جماعه من أهل حلب، و اتهمهم بـودائع المجنّ الفوعى، رئيس حلب المقتول في أيام رضوان.

و قبض على شرف الدّين أبى طالب بن العجمى و عمّه أبى عبد الله، و اعتقلهما بحلب، و ثقب كعاب أبى طالب و صادره، فعاد فعله القبيح عليه بالبوار، و ضلّ رأى منجمه فى ذلك الاختيار.

و قام أهل حلب عليه فحـصروه، و قدّموا عليهم بدر الدّوله سليمان بن عبد الجبّار، و نادى أهل حلب بشعار بدر الدّوله، و ساعده على ذلك رئيس حلب فضائل بن صاعد بن بديع، و قبض على أصحاب ختلغ أبه، و ذلك فى الثانى من شوال.

و قصد حلب فى تلك الحال ملك أنطاكيه و جوسلين فصانعه على مال حتّى رحل(١)؛ و ضايقوا القلعه و أحرقوا القصر، و دخل إليهم إلى المدينه الملك ابراهيم بن رضوان؛ و وصل اليهم حسيان صاحب منبج، و صاحب بزاعا؛ و دام الحصار إلى النّصف من ذى الحجّه.

و كان أتابك عماد الدّين زكى بن قسيم الدّوله أق سنقر قد ملك الموصل بتواقيع السّيلطان محمود، فسير إليه شهاب الدّين مالك بن سالم صاحب قلعه جعبر، و أعلمه بأحوال حلب و حصارها؛ فسير أتابك إليها

عسكرا مع الأمير سنقر دراز و الأمير الحاجب صلاح الدين حسن (١).

و دخل الأمير صلاح الدين فأصلح الحال، و وفق بينهما على أن استدعيا أتابك زنكي من الموصل، فتوجه بالجيش إلى حلب، و قيل: إن بدر الدولة و ختلغ سارا إليه.

---

١- كذا بالأصل و هذه الرواية مشوشة صوابها ما رواه ابن العديم نفسه في بغية الطلب ص ٣٢١٨ - ٣٢١٩: « نصف ذى الحجة وصل الأمير سنقر دراز و الأمير حسن قراقرش و جماعه أمراء في عسكر قوى إلى باب حلب و اتفق الأمر على يسير بدر الدولة و خطبوا إلى باب الموصل إلى المولى الاصفهسلار الملك عماد الدين قسيم الدولة زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر إلى الموصل، فلمن ولى عاد إلى منصبه، و أقام بحلب الأمير حسن قراقرش مع الأمير الحاجب صلاح الدين العمادى، فوصل إلى حلب، و أطلع إلى القلعه واليا من قبله، و رتب الأمور».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة



نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩